التفسير الأسمى

لقوله تعالى ثم دنا فتدلى

وهو بحثٌ مُوثَّقٌ بالأدلةِ أن الدُّنوَّ والتَّدلِّيَ
كان بين جبريل ومُحمدٍ عليهما السَّلام
وأنَّ اللهَ موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهةٍ ولا مكانٍ

الشيخ جميل بن محمد علي حليم
دكتور محاضر في العقائد والفرق
رئيس جمعية المشايخ الصوفية

دار المشاريع
للطباعة والنشر والتوزيع

التفسيرُ الأسمى

لقولِه تعالى ثمَّ دنا فتدلى

وهو بحثٌ مُوثَّقٌ بالأدلةِ

أنَّ الدُّنُوَّ والتَّدَلِّيَ كان بين جبريلَ ومحمدٍ عليهما السلامُ

وأنَّ اللهَ موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهةٍ ولا مكانٍ

حَفِيدُ الرَّسُول

خَادِمُ الآثَارِ النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة

الشَّيخُ الدُّكتور جَمِيل مُحَمَّد علي حَلِيم الأشعَرِيّ الشَّافِعِيّ

رئيسُ جمعيَّة المشَايخ الصُّوفيَّة

غَفَر اللهُ لَهُ ولوالِدَيهِ وَلِـمَشَايِخِه

يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللّٰهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،

مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ

فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لكَ من الشَّاكرين.

يضاف التوطئة + ترجمة الشيخ جميل + نسبه

المقدمة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، الحمد لله الذي رفع عماد السنة وأعلى منارها، وخفض بساط البدعة وأوضح شواهد الحقيقة وأظهر أسرارها، وكشف طرائق الباطل وطمس آثارها، وأحكم بناء التحقيق وشيد أسوارها، وأمر باتباع السنة وألزم إيثارها، فالسعيد من استبصر فأبصر، والموفق من نبه فتذكر، والشقي من بدل في الدين وغير فلما نزغت طوائف اتخذت الجهل مهادا، والبدعة وسادا، والهوى عمادا والحق أن جبريل نادى ومن سيد الكونين دنا وهذا أمر ربنا الأعلى وهو القول الأولى وهو ما عليه العلماء أهل التقى لا علو مكان من الرحمن ومن قال من أهل السنة بدنو الرحمن قال دنا بلا مكان لا على ما تتصوره الأذهان فأحببنا أن نحارب الهوى والإفك ومن غوى بكتاب أسميناه التفسيرُ الأسمى لقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ فنسأل الله الإعانة والإثابة ونرجو المغفرة والإنابة وهو المطلع على السرائر وما تخفي الضمائر فاهدنا ربنا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وأما سبب إخراج هذا الكتاب: هو القيام بالواجب من نفي التجسيم والجهة والحد والدنو عن رب العالمين ولما برزت جماعات قالت دنا الرحمن وكان بينه وبين محمد قاب قوسين أي مسافة وهذا محال لا يقبله العقل السليم والعياذ بالله تعالى سعينا حفظًا للأمة من الانجرار خلف تلك الفئة

الباغية أن نبين الحق وهو أن الدنو دنو جبريل من محمد وهو ما عليه إجماع أهل الحق وما عليه العلماء من مفسرين وأهل الحديث وغيرهم.

وأما سبب تسميتنا له بالتفسير الأسمى: فليس لأنّنا نريد به الاعتداد بأنفسنا ولا الافتخار على الناس ولا الرياء ولا السُّمعة، وإنّما أسميناه بذلك لأنّنا اعتمدنا على تفسير رسول الله ﷺ لهذه الآية الشريفة، كما تجد ذلك في ذكر باب الأحاديث المفسِّرة فلا شَكّ أنّه سيكون الأسمى والأرقى والأعظم والأدقّ والأصحّ، فتفسير رسول الله ﷺ هو المقدَّم على تفسير كلّ علماء ومفسِّري الأُمّة.

سبب نزول الآيَتين

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

هُما آيتان مِن سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وتسمى أيضًا سورة النجم بدون واو، وهي مكية على الإطلاق فقد قال أبو العباس الضرير في «مقامات التنزيل»: إنها مكية بالإجماع، وعدد آياتها ثنتان وستون آية في المصحف الكوفي، وإحدى وستون في غيره، وكان نزولها بعد سورة الإخلاص، فهي تعتبر من أوائل ما نزل على النبي ﷺ من قرءان، إذ لم يسبقها في النزول سوى اثنتين وعشرين سورة، أما ترتيبها في المصحف، فهي السورة الثالثة والخمسون، وفي الإتقان استثنى منها: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [سورة النجم] وهي كما أخرج ابن مَرْدوَيه عن ابن مسعود قال: هي أول سورة أعلن النبي ﷺ بقراءتها، وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال يكفيني هذا، وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عنه صلى الله عليه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة سورة «والنجمِ»، فسجد رسول الله ﷺ وسجد الناس كلهم إلا رجلًا رأيته يأخذ كفًا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا، وهو أمية بن خلف.

وأما سبب هذه السورة: فهو أن المشركين قالوا إن محمّدًا يتقول القرءان ويختلق أقواله فنزلت السورة في ذلك ذكره أبو حيان وقد افتتحت السورة الكريمة بقسم منه سبحانه بالنجم، على صدق النبيّ ﷺ فيما يبلغه عن ربه، ثم وصف سبحانه جبريل عليه السلام وهو أمين الوحي، بصفات تدل على قوته وشدته، وعلى أنّ النبي ﷺ قد رءاه على هيئته التي خلقه الله عليها.

قال الفخر الرازي والبرهان النسفيّ: قد قيل إن السور التي تقدمت وهي التي أقسم الله تعالى فيها بالأسماء دون الحروف: الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها:

فالقسم في الأولى: لإثبات الوحدانية، كما قال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ [سورة الصافات].

وفي الثانية: لوقوع الحشر والجزاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [سورة الذاريات].

وفي الثالثة: لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾[سورة الطور].

وفي هذه السورة: لبيان النبوة[1] كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [سورة النجم] لتكمل الأصول الثلاثة: الوحدانية والنبوة والحشر.

---

(١) أَيْ ذَلِكَ النَّجْمُ الَّذِي هَوَى هُوَ لِهَذِهِ النُّبُوَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ.

والوجه الآخر في المناسبة لما قبلها هو أن الكفرة بالغوا في المكابرة والمعاندة في حق النبي ﷺ، وطعنوا فيما نطق به من الكلام، كما مر بيانه في تلك السورة، فقال في هذه ما يدل على صدقه في دعواه، وصدق ما نطق به وأجراه مؤكدًا بالقسم.

وأما مناسبة أول هذه السورة إلى آخر ما قبلها فمن وجوه:

أحدها: أن اختتام تلك السورة - أي الطور - بالنجم وافتتاح هذه السورة بالنجم مع القسم.

ثانيها: أنه تعالى أمر رسول الله ﷺ بالصبر في آخر تلك السورة، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة الطور] والصبر أمر صعب، فذكر في أول هذه السورة ما يدل على علو منزلته وعظم شأنه ليسهل عليه ذلك الأمر.

ثالثها: لما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [سورة الطور] بيّن له أنه جزاه بخير، فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [سورة النجم].

تعريف الحدِّ والجسم

الحدُّ لغةً:

الحدُّ هو منتهى الشيء وغايته منها ما قاله ابن منظور في اللسان[1]: «الحَدُّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أَحدهما بالآخر أَو لئلا يتعدى أَحدهما على الآخر وجمعه حُدود، وفصل ما بين كل شيئين حَدٌّ بينهما ومنتهى كل شيء حَدُّه ومنه أَحد حُدود الأَرضين وحُدود الحرم».

وقال الرازي في مختار الصحاح[2]: «الحَدُّ الحاجز بين الشيئين وحد الشيء منتهاه». وقال الزبيدي[3]: «الحَدُّ: الفَصْلُ الحاجِزُ بَيْنَ الشيئين لئلّا يَختلِط أَحدُهما بالآخَرِ، أَو لئلّا يَتعدَّى أَحدُهما على الآخَرِ، وجمعُه حُدُودٌ. وفَصْلُ ما بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ حَدٌّ بينهما. والحَدُّ: مُنْتَهَى الشَّيءِ».

الحدُّ اصطلاحًا:

أما في الاصطلاح فمن معاني الحد ما قاله ابن الأثير في «غريب الحديث

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (ح د د)، (١٤٠/٣).

(٢) **مختار الصحاح**، الفخر الرازي، باب الحاء، (ص/١٦٧).

(٣) **تاج العروس**، الزبيدي، مادة (ح د د)، (٦/٨).

والأثر»[1]: «(الحدود) محَارم الله وعُقُوبَاتُه الَّتي قرَنَها بالذُّنوب. وأصْل الحَدّ المنْع والفَصْل بين الشَّيئين فكأنَّ حُدُودَ الشَّرع فَصَلَتْ بين الحلال والحرام فمنها ما لا يُقْرَب كالفَواحش المحَرَّمة ومنه قوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [سورة البقرة].

الجسمُ لغةً:

الجسم كلمة وردت في القرءان الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[سورة البقرة].

قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»[2]: «(جسم) الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجسم كلُّ شخصٍ مُدْرِكٍ. كذا قال ابن دريد[3]. والجَسيم: العظيم الجِسم، وكذلك الجُسام. والجُسْمان: الشخص. (جسد)

---

(١) **غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، باب الحاء مع الدال، (٩٠٩/١).

(٢) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، مادة (ج س م)، (٤٥٧/١).

(٣) **جمهرة اللغة**، ابن دريد، (٩٤/٢).

الجيم والسين والدال يدلُّ على تجمُّع الشيء أيضًا واشتدادِه».

وقال الرازي[1]: «قال أبو زيد: الجِسْمُ الجسد، وكذا الجُسْمانُ والجُثْمانُ. وقال الأصمعيّ: «الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان: الشخص. وقال جماعة: جسم الإنسان أيضًا يقال له الجسمان مثل ذئب وذؤْبان، وقد جَسُمَ الشيء أي عظم فهو جَسِيمٌ وجُسَامٌ بالضم وبابه ظرف، والجِسَامُ بالكسر جمع جَسيمٍ، وتجسم من الجسم».

وقال ابن منظور[2]: «الجِسْمُ: جماعة البَدَنِ أو الأعضاء من الناس والإبل والدوابّ وغيرهم من الأنواع العظيمة الخَلْق، والجمع أَجْسامٌ وجُسومٌ، والجُسْمانُ جماعة الجِسْمِ، والجُسْمانُ جِسْمُ الرجل، ويقال إنه لنَحيفُ الجُسْمان، وجُسمانُ الرجل وجُثْمانُه واحد، ورجُل جُسْمانيٌّ وجثْمانيٌّ إذا كان ضَخْم الجُثَّة».

وقال الفيوميّ[3]: «(ج س م): جَسُمَ الشَّيْءُ جَسامةً وِزَانُ ضَخُمَ ضَخامةً، وَجَسِمَ جَسمًا مِنْ باب تَعِبَ عَظُمَ فهو جَسِيمٌ وَجَمْعُهُ جِسَامٌ، والجسمُ قال ابن دُرَيْدٍ - عن الجسم - هو كلُّ شخصٍ مُدركٍ، وقال أبو زيدٍ: الجسمُ: الجسد. وَفِي التَّهذيب ما يُوافقه قال: الجسمُ مَجمعُ البَدَنِ وأعضاؤُهُ من النَّاس والإبلِ

---

(١) **مختار الصحاح**، الفخر الرازي، باب الجيم، (ص/١١٩).

(٢) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (ج س م)، (٢/٩٩-١٠٠).

(٣) **المصباح المنير**، الفيوميّ، مادة (ج س م)، (ص/١٠١).

والدَّوابّ ونحوِ ذلك ممَّا عظُمَ منْ الخلقِ الجسيمِ، وعلى قول ابنِ دُرَيْدٍ يكون الجسمُ حيوانًا وجمادًا ونباتًا ولا يصحُّ ذلك على قول أبي زَيْدٍ، والجسمانُ بالضَّمّ الجثْمانُ».

وقال أبو البقاء أيوب القريمي الكفوي في كتابه «الكلّيّات» ما نصه[1]: «الجسم في اللغة مبني على التركيب والتأليف بدليل أنهم إذا راموا تفضيل الشخص على شخص في التأليف وكثرة الأجزاء يقولون: فلان أجسَم من فلان، إذا كان أكثر منه ضخامةً وتأليف أجزاء»[2].

وقال اللغويّ محمد مرتضى الزَّبيديّ في «تاج العروس» ممزوجًا بمتن «القاموس»[3]: «ج س م: الجسمُ بالكسرِ: جماعةُ البَدَنِ أو الأعضاءِ. ومن النّاسِ والإبلِ والدَّوابّ وسائر الأنواع العظيمة الخَلْقِ، كالجُسمان بالضَّمّ. قال

---

(١) **الكليات**، الكفوي، (ص/٢٨٦).

(٢) فإن قيل: الجسم هو القائم بنفسه، فقد رد هذا القول صاحب الكليات قائلًا: وردّ ـ أي القول بأن الجسم هو القائم بنفسه ـ بالجوهر الفرد وبالباري تعالى، فإنه قائمٌ بنفسه وليس بجسمٍ، مع أنه مخالفٌ لوضع اللغة لما تحقق من أن مدلول الجسم هو التأليف ولا تأليف في الجوهر الفرد ولا في الباري تعالى. وإن قيل أن تعريف الجسم هو الموجود، فقد ردَّ هذا القول القريمي أيضًا قائلًا: وردّ ـ أي القول بأن الجسم هو الموجود ـ بالجوهر الفرد وبالعرض فإنهما شيءٌ وليسا بجسمٍ. **الكليات**، الكفوي، (ص/٢٨٦).

(٣) **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة (ج س م)، (٤٠٤/٣١).

أبو زيدٍ: الجسمُ: الجسدُ، وكذلك الجسمان. والجُثمان: الشخص، ويُقال: إنَّه لنحيفُ الجُسمان. وقال بعضهم: إنَّ الجُثمان والجُسمان واحد. وقال الراغب: الجِسْمُ: ما له طولٌ وعَرْضٌ وعُمْقٌ، ولا تَخرُج أجزاء الجسمِ عن كونها أجسامًا وإنْ قُطِعَ وجُزّئ، بخلاف الشَّخص فإنَّه يخرج عن كونه شخصًا بتجزئتِهِ، (ج: أجسامٌ وجُسومٌ و)جَسُمَ (كَكَرُمَ) جسامَةً: (عَظُمَ فهو جَسِيمٌ)، كأميرٍ. والجَمْعُ جِسامٌ، (وجُسامٌ، كغُرابٍ، وهي بهاء) قال: (أَنْعَتُ عَيْرًا سَهْوَقًا جُسامًا والجَسِيمُ: البَدِينُ) أي: العَظِيمُ البَدَنِ. وَممّا يُستدركُ عليه: رجلٌ جُسمانيٌّ: إذا كان عظيم الجُثَّة، والجُسُمُ، بضمَّتين: الأمور العِظامُ، وأيضًا: الرِجالُ العقلاءُ، ويقال: هو من جِسام الأمور وجَسِيماتِ الخُطُوب، وفلانٌ يتجشَّمُ المجاشم، ويتجسَّمُ المعاظم. وتجسَّم في عيْني كذا: تصوَّر. وتجسَّم فلانٌ من الكرمِ. وكأنَّه كَرَمٌ قد تجسَّم. وكلُّ ذلك مجازٌ».

الخلاصة: يدل كلام أئمة اللغة المتقدمين منهم والمتأخرين على أن الجسم في اللغة يدلّ على التجمّع والتركيب والتأليف والتشخيص وذوي الأبعاد، وقد يُعَبَّر عن الجسم بالجوهر إذ هما بمعنى واحد، إلا أن الجسم أخصّ اصطلاحًا لأنه المركّب من الجواهر، وقد عرّف اللغويّ الزَّبيديّ في «الإتحاف» الجوهرَ والعَرَضَ فقال ما نصّه[1]: «الجوهر: ما له قيام بذاته بمعنى أنه لا يفتقر إلى محلّ يقوم به، والعَرَض: ما يفتقر إلى محلّ يقوم به، وقد يعبّر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام، وعليه جرى المصنّف - أي الغزاليّ - وهما في اللغة بمعنى

(١) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، (١٤٨/٢).

وإن كان الجسم أخصّ من الجوهر اصطلاحًا لأنه المؤلَّف من جوهرين أو أكثر».

قال الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني في معرض شرحه لبعض مصطلحات أهل العلم[1]: «فإن كان الجوهر دقيقًا بحيث انتهى في الدقة إلى أنه لا يقبل الانقسام بوجه فهو المسمى بالجوهر الفرد، وإن كان يقبل الانقسام فهو المسمّى بالجسم، ويسمى كل واحد من أجزائه جسمًا، وإن كان ذلك الجزء قد انتهى في الدقة إلى أنه لا يقبل القسمة فإنه لا يسمى جسمًا، وإنما يمتنعون من تسمية الدقيق الذي لا يقبل القسمة جسمًا إذا كان وحده منفردًا عن انضمام مثله إليه، هذا هو اصطلاحهم».

الجسم اصطلاحًا:

بعد أن بيّنّا المعنى اللّغوي لكلمة الجسم ننتقل إلى بيان المعنى الاصطلاحي، فنقول وبالله التوفيق:

قال الشريف الجرجانيّ[2]: «الجسم جوهر قابل للأبعاد الثلاثة - أي الطول والعرض والعمق - وقيل: الجسم هو المركّب المؤلف من الجوهر.

الجسم التعليميّ: هو الذي يقبل الانقسام طولًا وعرضًا وعمقًا، ونهايته

---

(١) **كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته**، سعيد بن محمد العقباني، (ص/٤٠).

(٢) **التعريفات**، الجرجانيّ، (١٠٤/١).

السطح وهو نهاية الجسم الطبيعيّ، ويسمّى جسمًا تعليميًّا إذ يُبْحَثُ عنه في العلوم التعليمية، أي الرياضية الباحثة عن أحوال الكمّ المتصل والمنفصل منسوبة إلى التعليم والرياضة فإنهم كانوا يبتدئون بها في تعاليمهم ورياضتهم لنفوس الصبيان لأنها أسهل إدراكًا».

وقال عبد الرؤوف المناويّ[1]: «الجسم: ما له طول وعرض وعمق، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وإن قُطّعَ وجُزّئ - أي تصير أجسامًا صغيرة - بخلاف الشخص فإنه يخرج عن كونه شخصًا بتجزئته، كذا عبّر عنه الراغب». يريد الراغب الأصبهاني.

ويروى عن إمام أهل السّنة والجماعة أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه أنّه قال[2]: «اختلف المتكلّمون - من الذين تكلموا وألّفوا في علم الكلام من أهل السّنة والجماعة ومن غيرهم - في الجسم ما هو على اثنتي عشرة مقالة:

- **فقال قائلون**: الجسم هو ما احتمل الأعراض كالحركات والسكون وما أشبه ذلك، فلا جسم إلا ما احتمل الأعراض، وزعموا أن الجزء الذي لا يتجزّأ جسم يحتمل الأعراض.
- **وقال قائلون**: الجسم إنما كان جسمًا للتأليف والاجتماع، وزعم هؤلاء أن الجزء الذي لا يتجزأ إذا جامع جزءًا آخر لا يتجزأ، فكل واحد منهما

---

(١) **التعاريف**، المُناويّ، (٢٤٥/١).

(٢) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصَلّين**، منسوب لأبي الحسن الأشعري، (٤/٢-٥).

جسم في حال الاجتماع لأنه مؤتلف بالآخر، فإذا افترقا لم يكونا ولا واحد منهما جسمًا، وهذا قول بعض البغداديين.

- **وقال قائلون**: معنى الجسم أنه مؤتلف، وأقل الأجسام جزآن، ويزعمون أن الجزأين إذا تآلفا فليس كل واحد منهما جسمًا ولكن الجسم هو الجزآن جميعًا، وأنه يستحيل أن يكون التركيب في واحد، والواحد يحتمل اللون والطعم والرائحة وجميع الأعراض إلا التركيب.
- **وقال أبو الهذيل (المعتزلي)**: الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل، وأقلّ ما يكون الجسم ستة أجزاء أحدها يمين والآخر شمال، وأحدها ظهر والآخر بطن، وأحدها أعلى والآخر أسفل[1].
- **وزعم بعض المتكلمين**: أنه - أي الجسم - الجزآن اللذان لا يتجزآن يحلّهما جميعًا التأليف، وأن التأليف الواحد يكون في مكانين، وهذا قول الجبّائي المعتزليّ.

وقد عرفنا مما سبق معنى الجسم في اللغة والاصطلاح، ويظهر أن هناك توافقًا واضحًا بين المعنى اللغويّ والمعنى الاصطلاحيّ، فهو في اللغة يدلّ على التأليف والتركيب والتشخيص، وهو في الاصطلاح يدلّ على التركيب والتشخيص وقبول الأبعاد.

---

(١) ومع شذوذ وانحراف المعتزلة في العقائد إلا أنهم وافقوا أهل السنة والجماعة في ما ذُكِر.

ثم الأجسام منها ما هو كثيف يضبط باليد يستطيع الواحد أن يمسكه بكفه، كجسم الإنسان والحيوان والنبات وسائر الجمادات، ومنها ما هو لطيف لا يضبط باليد لا يستطيع الواحد أن يمسكه بكفه كالروح والريح والضوء والهواء. قال أبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط[1] ما نصُّه: «والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي».

وقال أيضًا[2]: «إنّ الشيطان وهو إبليس يبصركم هو وجنوده ونوعه وذريته من الجهة التي لا تبصرونه منها، وهم أجسام لطيفة معلوم من هذه الشريعة وجودهم، كما أنّ الملائكة أيضًا معلوم وجودهم من هذه الشريعة ولا يستنكر وجود أجسام لطيفة جدًّا لا نراها نحن ألا ترى أنّ الهواء جسم لطيف لا ندركه نحن وقد قام البرهان العقلي القاطع على وجوده».

وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرءان»[3] أثناء كلامه عن الروح: «والصحيح فيه أنه جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة». وقال البغويُّ في تفسيره[4]: «الرّوح جسم لطيف يحيا به الإنسان».

فالله سبحانه لا حدَّ له، وليس بجسم ولا جوهر، لا كثيف ولا لطيف،

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (٤٠٧/١).

(٢) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (٢٣٢/٤).

(٣) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٢٦٢/١٥).

(٤) **معالم التنزيل**، البغوي، (٣٨٠/٤).

وبعبارة أخرى نقول: ليس لذات الله تعالى جرم ولا حجم ولا حد ولا كثافة ولا تشخيص ولا تشكيل ولا تأليف ولا جمع ولا تفريق ولا حركة ولا سكون، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى].

وهذا ما عليه جميع الأنبياء عليهم الصلا والسلام وهو مذهب السلف الصالح من أهل السّنة والحديث وعلماء الكلام الذين ينزّهون الله تعالى عن الجسم والهيئة والكيف، وهذا هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل الحقّ والعقل، بل قد وافقت المعتزلةُ والزيديةُ والجعفرية والإباضية والخوارج كلامَ أهلِ السّنة في هذه المسألة وإن ضلَّت في مسائل غيرها، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشواذ من الفرق التي انتسبت إلى الإسلام، والإسلام منها براء من مشبهة ومجسّمة ومن تبعهم.

تعريف الكَيْف

قال الراغب الأصبهاني[1] في «المفردات في غريب القرءان»: «كيف لفظ يسأل به عما يصح أي يقال فيه شبيه وغير شبيه كالأبيض والأسود والصحيح والسقيم، ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجلَّ كيف» اهـ.

قال الفقيه اللغوي الفيروزآبادي[2] (ت ٨١٧هـ) ما نصه: «يصف أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية» من كتابه «القاموس» المحيط.

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي[3] (ت ١٠٣١هـ) في كتابه "التوقيف على مهمات التعاريف" ما نصه: «كيف: كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس».

وإليك الآن هذه النصوص والنقول بدءًا بقول مصباح التوحيد وصباح التفريد إمام الهدى باب مدينة العلم سيدنا ولي الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه:

١- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «إن الذي كيّف الكيف لا كيف له وإن الذي أيّن الأين لا أين له». ذكره أبو إسحاق الإسفراييني

---

(١) **المفردات في غريب القرءان**، الأصبهاني، (ص/٤٤٤).

(٢) **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، (مادة: هـ ال - ص ١٣٨٦).

(٣) **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ص/٦١٤).

في كتابه التبصير في الدين.

٢- قال الإمام علي[١] بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ما نصه: «بل جلّ أن يُكَيَّف المُكَيِّفُ للأشياء»، وقال: «بل هو بلا كيفية»، وقال: «سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات».

٣- نقل الحافظ البيهقي[٢] عن أئمة السلف، مالك والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من أئمة السلف أنهم قالوا في آيات وأحاديث الصفات أمرّوها كما جاءت بلا كيف، وذلك في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، وحتى الذهبي وابن كثير المجسمان نقلا ذلك عنهم، وهذا دليل على تذبذب الوهابية وتناقضها في مسائل العقيدة لأنهم في كتبهم يقولون ما فيه إثبات الكيفية وما هو من صفات المخلوقين في حق الله تعالى والله منزه عن ذلك.

٤- روى البيهقي عن الإمام مالك رضي الله عنه وهو إمام دار الهجرة وكما قال فيه الإمام أحمد: «إذا ذكر الحديث فمالك النجم»، أنه قال: «ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع». وفي رواية: «والكيف غير معقول» رواه

---

(١) **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، (٧٢/١).

(٢) **السنن الكبرى**، البيهقي، (٢/٣).

البيهقي في الأسماء والصفات. وهذا فيه تنزيه لله عن القعود والجلوس وعن الحركة والسكون وعن كل ما كان من صفات المخلوقين.

وأما الذي تلهث به الوهابية (وهو لم يثبت عن مالك) قولهم: «والكيف مجهول» وهذه العبارة لم تثبت من حيث الإسناد عن الإمام مالك، بل قال البيهقي عن الرواية التي ذكرناها أولًا «والكيف غير معقول» إسنادها جيد.

ففي رواية عبد الله بن وهب: قال مالك لرجل صاحب بدعة: «الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج».

في هذه الرواية: «أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران» له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي[1] (ت ٣٣١هـ) فما بعدها، و"الأنساب[2]".

وهذه هي أصح الروايات: قال الذهبي في العلو: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب...».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وأخرج البيهقي بسند جيد عن

---

(١) **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، (٧٢/١).

(٢) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (ص/١٨٧).

ابن وهب». أما رواية محمد بن النعمان بن عبد السلام التيمي عند أبي الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان: ونص الإجابة «الإستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالًا أخرجوه من داري».

فيها محمد بن النعمان[1] هذا وله ترجمة في طبقات المحدثين للأصبهاني وتاريخ الإسلام للذهبي[2] ولم يذكره أحد بجرح أو تعديل.

وأما رواية عبد الله بن نافع عند ابن عبد البر المجسم: ونص الإجابة: «استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء».

فيها أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن: وهو صدوق لم يكن ضبطه بالجيد كما قال ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ونقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام (ت ٣٩٠هـ) وابن حجر في «اللِّسان»[3].

وفيها أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك: وهو ثقة يهم قليلًا.

---

(١) **طبقات المحدثين**، الأصبهاني، (٢/٢١١).

(٢) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (ص/ ٣٧٥).

(١) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (ص/٣٧٥).

(٣) **لسان الميزان**، ابن حجر، (٣/٣٥٣).

وفيها عبد الله بن نافع: قال أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه.

وأما رواية جعفر بن ميمون عند الصابوني: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالًا وأمر به أن يخرج من مجلسه».

وأما رواية أيوب بن صالح المخزومي عند ابن عبد البر: ونص الإجابة: «سألتَ عن غير مجهول وتكلمت في غير معقول إنك امرؤ سوء أخرجوه»، فيها محمد بن عبد الملك بن ضيفون القرطبي، قال فيه ابن الفرضي: «كان رجلًا صالحًا أحد العدول وكتب الناس عنه وعلت سنّه فاضطرب في أشياء قرئت عليه وليست مما سمع ولا كان من أهل الضبط»[1] (ت ٤٩٢هـ) كما في «لسان الميزان» للحافظ العسقلاني.

وفيها عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله المرادي أبو محمد يعرف بالقبري: وهو كثير الرواية عن بقي بن مخلد، ترجمته في [2] لابن الفرضي.

وفيها أيوب بن صالح بن سلمة المخزومي: ضعّفه ابن معين وقال فيه ابن عديّ: «روى عن مالك ما لم يتابعه عليه أحد»، كما في كتاب

---

(١) **لسان الميزان**، ابن حجر، (٥/٢٦٧).

(٢) **تاريخ العلماء**، ابن الفرضي (١/٢٦٥).

«الضعفاء والمتروكين»[1] لابن الجوزي.

وأما رواية بشار الخفاف الشيباني أو غيره عند ابن ماجه في التفسير، وفيها ما ذكر بالإضافة الى بشار بن موسى الخفاف تكلم فيه البخاري ويحيى بن معين وأبو داود والنسائي وعلي بن المديني وغيرهم.

وأما رواية يحيى بن يحيى التميمي عند البيهقي: ونص الإجابة: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا فأمر به أن يخرج».

وفيها أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني: له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي[2] (ت ٤٣٠هـ).

وأما جعفر بن عبد الله عدّه الذهبي في المشتبه في الرواة عن مالك، وتعقبه بن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»[3] بقوله: «فيه نظر لأن هذا الإطلاق يوهم أن شيخ جعفر مالك بن أنس الإمام، وكأنه - والله أعلم - عند المصنِف الإمام مالك، فلهذا أطلقه وليس بالإمام، إنما هو مالك بن خالد الأسدي البصري كما سماه الأمير وغيره»، وذكر نحوًا من هذا

---

(١) **الضعفاء والمتروكين**، ابن الجوزي، (١٣١/١).

(٢) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (ص/٢٨١).

(٣) **توضيح المشتبه**، ابن ناصر الدين، (٩٨/٤ - ٩٩).

ابن حجر في تبصير المنتبه: وقد اضطرب فيها مهدي بن جعفر (وهو صدوق له أوهام): فمرة رواها عن مالك مباشرة عند ابن عبد البر وفيها محمد بن عبد الملك وعبد الله بن يونس وقد تقدما، ونص روايته: «استواؤه مجهول، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة».

ومرة رواها عن جعفر عن رجل عن مالك عند الدارمي، ومرة رواها عن جعفر بن عبد الله عن مالك: عند أبي نعيم في الحلية ونص الرواية: «الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وأمر به فأخرج.

٥- قال الإمام أبو بكر الباقلاني[1] (ت ٤٠٣هـ) ما نصه: «فإن قال قائل وكيف هو قيل له إن أردت الكيفية التركيب والصورة والجنسية فلا صورة له ولا جنس فنخبرك عنه». وذلك في كتابه التمهيد.

٦- وقال في الكتاب نفسه ما نصه: «قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] بغير مماسة وكيفية ولا مجاورة».

٧- قال الشيخ أبو عمر الداني (ت ٤٤٤هـ) ما نصه: «واستواؤه جلّ جلاله علوّه بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة». وذلك في الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات.

٨- قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى

---

(١) **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، الباقلاني، (٣٠٠/١).

بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي (ت ٥٤٤هـ) ما نصه: «ولا يصح تقدير كيفية قول الله لأن كلام الله لا يكيف» نقله الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»[١].

٩- وقال القاضي: «ويا ليت شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحق على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكر في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك، وسلّموا وأطبقوا على تحريم التكييف والتخييل والتشكيل». من كتابه «إكمال المعلم بفوائد مسلم» عند شرح حديث الجارية.

١٠- قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المفسر المالكي الأشعري (ت ٦٧١هـ) ما نصه: «فإن الكيفية محال على الله تعالى وعلى صفاته من جميع الوجوه». وذلك في كتابه الإعلام بما في دين النصارى[٢].

١١- وقال الإمام أبو العباس ضياء الدين أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم القرطبي (ت ٦٦٢هـ) ما نصه: «هو الله لا أين ولا كيف عنده ولا حدَّ يحويه ولا حصر ذي حدِّ». من رسالة له سماها «زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري».

١٢- قال الإمام محمد الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ) ما نصه: «فالراسخون في

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٢/١).

(٢) **الإعلام بما في دين النصارى**، القرطبي، (١٠٨/١).

العلم يقولون ءامنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه». وذلك في كتاب «شرح موطأ مالك»[1].

١٣- قال أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) ما نصه: «وينفي التشبيه والتكييف عنها إذ لا كفؤ للموصوف فيشبه». وذلك في كتابه «قوت القلوب»[2].

١٤- قال ابن عطية المالكي (ت ٥٤١هـ) ما نصه: «وهو تعالى منزَّه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره». وذلك في كتابه "المحرر الوجيز[3]".

١٥- قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي (ت ٥٤٤هـ) ما نصه: «واتفقوا على تحريم التكييف والتشبيه». وذلك في «إكمال المعلم بفوائد مسلم»[4].

١٦- وقال في الكتاب نفسه ما نصه: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق» أي لا فَرقَ.

١٧- قال الإمام القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ) ما نصه: «وقول مالك "والكيف غير معقول" معناه أن ذات الله تعالى لا يوصف بما وضعت العرب له

---

(١) **شرح موطأ مالك**، الزرقاني، (٢٠٨/٦).

(٢) **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، (٥٢/٢)، مع أنّ النُّسخة المتداوَلة اليوم فيها ما يُحذَر.

(٣) **المحرر الوجيز**، ابن عطية، (١٨٤/٣).

(٤) **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، القاضي عياض، (٢٥٩/٢).

كيف وهو الأحوال المتنقلة والهيآت الجسمية من التربع وغيره فلا يعقل ذلك في حقه تعالى لاستحالته في جهة الربوبية». وذلك في كتابه "الذخيرة[1]".

قال قاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي الروي في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني عند - القول المنسوب إليه في رسالته - «وهو فوق عرشه المجيد بذاته» ما نصه: «قال الفاكهاني وسمعت شيخنا أبا علي البجائي يقول إن هذه لفظة دست على المؤلف رضي الله عنه».

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المالكي في شرحه على الرسالة السالفة الذكر عن -القول المنسوب إلى القيرواني في رسالته - ما نصه: «أخذ عليه في قوله «بذاته» لأن هذه اللفظة لم يرد بها السمع».

ولفظة «بذاته فوق العرش» لم تثبت عن أحد ممن يعتد بقوله لأن الله موجود أزلًا وأبدًا بلا مكان والعرش والأماكن حادثة وجدت بعد عدم، وهذا تكذيب للوهابية التي تلهث بهذه العبارة من غير تحقيق ولا سند.

١٨- قال ابن الحاجّ المالكي (ت ٧٣٧هـ) ما نصه: «جلّ جلاله عن الصورة والكيفية». وذلك في كتابه «المدخل»[2].

---

(١) **الذخيرة**، القرافي، (٢٤٣/١٣).

(٢) **المدخل**، ابن الحاج المالكي، (٢٠٠/٢).

١٩- وقال أيضًا عن الله تعالى «فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لأنه خالق الزمان والمكان إلى غير ذلك من صفاته الجليلة». وذلك في كتابه «المدخل».

٢٠- وقال عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت ٨٧٦هـ) ما نصه: «والعقيدةُ أنه تعالى منزهُ عن الحواسِّ والتشبيهِ والتكييفِ لا ربَّ غيره». وذلك في كتابه «الجواهر الحسان في تفسير القرءان»[١].

٢١- قال محمد بن أحمد المشهور بميّارة المالكي (ت ١٠٧٢هـ) ما نصه: «بغير اتصال بالأجسام ولا تكييف بالذات والآلام وقيل ترجع في حقه تعالى إلى العلم وقيل بالوقف وهو أحسنها». وذلك في كتابه «الدر الثمين»[٢].

٢٢- قال المفسر أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) ما نصه: «وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف والمعنى أنه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن». وذلك في تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم»[٣].

---

(١) **الجواهر الحسان في تفسير القرءان**، الثعالبي، (٢/٢٠٤).

(٢) **الدر الثمين**، محمد ميارة الفاسي، (١/٥٦).

(٣) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم**، أبو السعود الحنفي، (٤/١٥٠).

٢٣- قال الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري[١] الحنفي (٧٣٠هـ) في كتابه «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام » يقول: «يجوز أن يراه المؤمنون بلا كيف أو جهة، كما يرى هو نفسه بلا كيف ولا جهة».

٢٤- قال الشيخ سعد الدين سعود التفتازاني[٢] الحنفي (ت ٧٩١هـ) ما نصه: «ولا بالكيفية أي من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الأجسام أو توابع المزاج والتركيب».

٢٥- قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وهو المجتهد المطلق الصديق ولي الله الذي فيه فسر بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا قريشًا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علمًا ونورًا**» أخرجه الترمذي (ت ٢٠٤هـ) قال ما نصه: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد». رواه اليافعي في روض الرياحين[٣].

---

(١) **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**، علاء الدين البخاري، (١٥٦/١).

(٢) **شرح العقيدة النسفية**، التفتازاني، (ص/٧١).

(٣) **روض الرياحين**، اليافعي، (ص/٤٨٩).

وذلك لأن الذي يُتخيل في الذهن ويُتصور في البال يكون ذا كيفية من الكيفيات والله تعالى قال عن نفسه «الخالق البارئ المصور»، ومعنى المصوِر في حق الله تعالى أنه خالق الأشكال والصور لأنها كيفيات ولو كان ذا كيفية وشكل وصورة لقال: «المصوَر»، وهذا رد قرعاني على الوهابية لأنهم اعتقدوا في الله تعالى أنه ذا هيئة وكيفيات كالجلوس والقعود والحركة والسكون والجسم والجثة والصورة، وهذه الآية تكذبهم. ولذلك قال الإمام الشافعي عنهم وعن أمثالهم: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه».

٢٦- قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ما نصه: «روي عن مالك وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة مع اعتقاد أن الظاهر المتبادر غير مراد». وذلك في كتاب الزكاة من «السُّنَن».

٢٧- قال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إمام أهل السنة والجماعة رضي الله عنه وأرضاه (ت ٣٢٤هـ) ما نصه: «وكذلك قالت الحشوية المشبهة أن الله سبحانه وتعالى يُرى مكيفًا محدودًا كسائر المرئيات وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية إنه سبحانه لا يرى بحال من الأحوال فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما فقال يرى-أي في

الآخرة- من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هو سبحانه وتعالى وهو غير محدود ولا مكيف فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف». وذلك فيما رواه الإمام الحافظ ابن عساكر الشافعي الدمشقي رضي الله عنه في كتابه «تبيين كذب المفتري»[1].

٢٨- قال الإمام الحافظ الشهيد محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان أبو حاتم البستي الشافعي رحمه الله تعالى (ت ٣٥٤هـ) ما نصه: «ومن زعم أن السُّنَن إذا صحت يجب أن تروى ويؤمن بها من غير أن تُفَسَّر ويعقل معناها فقد قدح في الرسالة، اللّٰهُمَّ إلا أن تكون السنن من الأخبار التي فيها صفات الله جل وعلا التي لا يقع فيها التكييف بل على الناس الإيمان بها». وذلك في كتابه «صحيح ابن حبان»[2].

٢٩- وقال في شرح حديث النزول ما نصه: «صفات الله عز وجل لا تكيف ولا تقاس إلى صفات المخلوقين». وذلك في «صحيحه» أيضًا.

٣٠- قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ) ما نصه: «والله بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف». وذلك في كتابه اعتقاد

---

(١) **تبيين كذب المفتري فيما نُسِب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، ابن عساكر، (ص/١٥٠).

(٢) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٤٦/١٥)

أئمة الحديث[1]".

٣١- قال الإمام أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ما نصه: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية». وذلك فيما رواه الإمام أبو بكر البيهقي رضي الله عنه في «الأسماء والصفات»[2].

٣٢- وقال في شرحه على «صحيح البخاري»: «وليس معنى قول المسلمين إن الله استوى على العرش هو مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته لكنه بائن من جميع خلقه - أي غير مشابه لهم بوجه من الوجوه - إنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». من كتاب أعلام الحديث ونقله عنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» مُقِرًّا له.

٣٣- قال الأستاذ المتكلم أبو بكر بن فورك[3] (ت ٤٠٦هـ) ما نصه: «موجود بلا حدّ موصوف بلا كيف». وذلك في كتابه «مشكل الحديث».

٣٤- قال الإمام الأصولي الأستاذ أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادي

---

(١) **اعتقاد أئمة الحديث**، أبو بكر الإسماعيلي، (٥٠/١).

(٢) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (١٤٨/٢).

(٣) **مشكل الحديث**، أبو بكر بن فورك (ص/٢٤).

الشافعي الأشعري رضي الله عنه (ت ٤٢٩هـ) عن محمد بن كَرّام[١] ما نصه: «ولا يدري العاقل من ماذا يتعجب أمن جسارته على إطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية». وذلك في كتابه «الفرق بين الفرق»[٢].

٣٥- قال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمـن بن أحمد الصابوني (ت ٤٤٩هـ) ما نصه: «ونشهد أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءَ غلبةٍ كما بينه في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] وفي آيات أُخرَ والرسول ﷺ تسليمًا ذكر فيما نقل عنه ومن غير أن يكيف استواءه عليه، أو يجعل لفعله وفهمه أو وهمه سبيلًا إلى إثبات كيفية، إذ الكيفية عن صفات ربنا منفية». وذلك فيما رواه ابن عديم في كتابه «بغية الطلب في تاريخ

---

(١) هُو مجسِّم مُشبِّه كان من سجستان فنفي عنها، له أتباع يُعرَفون بالكرّاميّة، بالغوا في التجسيم كما بالغ جهم في التعطيل، فزعموا أن معبودهم جسم له حدّ ونهاية من تحته والجهة التي يلاقي منها عرشه وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا. وزعم ابن كرامٍ في كتابٍ لَهُ أنّ الله مماس لعرشه وأن العرش مكان له إلى أمثال ذلك من الهذيانات التي تدل على أن قائلها غارِقٌ في الكفر. انظر: **التبصير في الدين**، أبو المظفّر الأسفراييني، (ص/١١١).

(٢) **الفرق بين الفرق**، أبو منصور البغدادي، (٢٠٧/١).

حلب»[1].

٣٦- وقال الإمام الكبير فخر الدين بن عساكر أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي الأشعري (ت ٦٢٠هـ) ما نصه: «الله موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كلّ ولا بعض ولا يقال: متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كوّن الأكوان ودبّر الزمان لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان ولا يشغله شأن عن شان ولا يلحقه وهم ولا يكتنفه عقل ولا يتخصص بالذهن ولا يتمثل في النفس ولا يتصور في الوهم ولا يتكيّف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». وذلك في «العقيدة المرشدة» التي قال إنها عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣٧- قال الإمام المحدث الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المشهور ببدر الدين ابن جماعة[2] (ت ٧٣٣هـ) ما نصه: «ومن انتحل قول السلف، وقال بتشبيه أو تكييف أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين فهو كاذب في انتحاله بريء من قول السلف واعتداله». وذلك في كتابه "إيضاح الدليل في قطع حجج أهل

---

(١) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، كمال الدين ابن العديم، (١١٨/٢).

(٢) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين ابن جماعة، (ص/٩٣).

التعطيل".

٣٨- وقال الحافظ الإمام الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى (ت ٤٥٨هـ) ما نصه:» وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا -يعني المتشابه- ولم يتكلم فيه أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات». وذلك في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد[1].

٣٩- وقال أيضًا ما نصه: «الباطن هو الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية». وذلك في كتابه «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد».

٤٠- وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب (ت ٤٦٣هـ) ما نصه: «أخبرنا أبو علي بن الخلال أنا جعفر أنا السلفي أنا محمد بن مرزوق الزعفراني ثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وحققها قوم من المثبتين

(١) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، البيهقي، (ص/١١٧).

فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، تعالى الله عن ذلك».

وذلك فيما رواه عنه الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام»[1].

٤١- وقال أيضًا الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ما نصه: «فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف». وذلك فيما رواه عنه أيضًا الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام»[2].

٤٢- وقال الإمام العلامة تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكي الحموي المصري الشافعي (ت ٥٩٩هـ) ما نصه:

قَدِ اسْتَوَى اللهُ عَلَى العَرْشِ كَمَا شَاءَ وَمَنْ كَيَّفَ ذَاكَ جَسَّمَا

من قصيدته «حدائق الفصول وجواهر الأصول» التي صنّفها للسلطان المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي الأشعري رحمه الله تعالى.

٤٣- وقال طاهر بن محمد، ويقال شاهفور بن طاهر أبو إسحاق الأسفراييني أبو المظفر (ت ٤٧١هـ) ما نصه: «وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية و الأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مَمَّ كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان». وذلك في كتابه «التبصير في

---

(١) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (٢٤٠/٧).

(٢) **تاريخ الإسلام**، الذهبي، (٢٤١/٧).

الدين»[1].

٤٤- وقال أيضًا ما نصه: «فقال - أي ابن كَرّام - باب كيفوفية الله فلا يدري العاقل مم يتعجب من لفظه الذي أطلقه أو من حسن معرفته بمواضع العربية وليت شعري كيف أطلق الكيفية عليه ولعله أراد أن يخترع من نفسه عبارة لم يسبق إليها تليق بعقله». وذلك في كتابه «التبصير في الدين».

٤٥- وقال المفسر النحوي أبو حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ما نصه: «معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة ولا يشبه بشيء من خلقه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث وكل هذا مقرر في علم أصول الدين». وذلك في تفسيره «البحر المحيط»[2].

٤٦- قال الإمام الفقية الذي كان من أصحاب الوجوه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون جمال الدين المتولي الشافعي (٥٧٨هـ) ما نصه: «والبارئ تعالى يتقدس عن التحديد والكيفية». وذلك في كتابه «الغنية في أصول الدين»[3].

٤٧- قال الفقيه محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ) ما

---

(١) **التبصير في الدين**، الأسفراييني، (١٦٠/١).

(٢) **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، (٤١٩/٣).

(٣) **الغنية في أصول الدين**، المتولي، (١٤٦/١).

نصه: «وأنه تعالى منزّه عن الكيف والكَمّ». وذلك في كتابه «التِّبْر المسبوك»[1].

٤٨- وقال أيضًا في الكتاب نفسه ما نصه: «لو قال القائل كيف يرى رب الأرباب في الآخرة، كان جوابه محالًا لا محالة لأنه يسأل عن كيفية ما لا كيفية له، إذ معنى قول القائل كيف هو أي مثل أي شيء هو مما عرفناه، فإن كان ما يسأل عنه غير مماثل لشيء مما عرفه، كان الجواب محالًا ولم يدل ذلك على عدم ذات الله تعالى».

٤٩- قال الإمام عبد الكريم بن هوزان القشيري (ت ٥١٤هـ) ما نصه: «وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مُقلةٍ من جهةٍ، كما هم يَرَوْنه بلا كيفية».

٥٠- قال الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الشافعي (ت ٥٤٨هـ) ما نصه: «فإنه كما يسلب عنه المادة يسلب عنه الصورة أعني الصورة الجسمية ويسلب عنه الكيفية والكمية والوضع والحيز والمكان والزمان». وذلك في كتابه «الملل والنحل»[2].

٥١- قال إمام الهدى أبو العلمين شيخ العريجاء سلطان الأولياء أحمد بن علي الرفاعي الكبير رضي الله عنه وارضاه الولي الفقيه الشافعي (ت ٥٧٨هـ) ما نصه: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان».

---

(١) **التِّبْر المسبوك**، الغزالي، (١/١).

(٢) **الملل والنحل**، الشهرستاني، (٢/٢٠٠).

وذلك في كتابه «البرهان المؤيد»[1].

٥٢- وقال أيضًا[2] نفسه في الكتاب ما نصه: «مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث وعلى ذلك درج الأئمة».

٥٣- قال الإمام شهاب الدين ابن جهبل الشافعي (ت ٧٣٣هـ) ما نصه: «وقال سهل رضي الله عنه لا تطلعوا الأحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الإلـه واحد فرد صمد منزه عن الكيفية والأينية». وذلك في رسالته في نفي الجهة عن الله تعالى.

٥٤- قال أبو الفتح الاسكندراني الوفائي الشافعي (ت ٧٦٠هـ) ما نصه: «الحمد لله الذي جل عن الكيف والأين». وذلك في كتابه «ترجمان الأشواق وروضة العشاق».

٥٥- قال الإمام بدر الدين الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤هـ) ما نصه: «لأن الإحاطة المقتضية للتكييف مستحيلة في حقه سبحانه فلا بد من هذا العلم الضروري لتصح الرؤية». وذلك في كتابه «البحر المحيط»[3].

٥٦- قال الإمام الفقيه تقي الدين الحِصني الشافعي (ت ٨٢٩هـ) ما نصه: «والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية». وذلك في كتابه «دفع شبه

---

(١) **البرهان المؤيد**، السيد أحمد الرفاعي، (ص/ ١٠).

(٢) **المصدر السابق**، (ص/ ١٧).

(٣) **البحر المحيط في أصول الفقه**، بدر الدين الزركشي، (٧٠/١).

من شبّه وتَمَرَّد ونسب ذلك إلى الإمام المبَجَّل أحمد»[1].

٥٧- وقال أيضًا فيه ما نصه: «الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة».

٥٨- قال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ما نصه: «ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال منزهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم». وذلك في كتابه «فتح الباري بشرح «صحيح البخاري»»[2].

٥٩- وقال أيضًا في الكتاب نفسه ما نصه: «وقيل: سلبت - أي نفيت عنه وهو منزه عنها - عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له».

٦٠- وقال أيضًا: «فإنّ إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجّه على حكمه لم ولا كيف، كما لا توجه عليه في وجوده أين وحيث».

٦١- قال الشيخ عبد الرحمـن بن عبد السلام الصفوري الشافعي (ت ٨٩٤هـ)

---

(١) **دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام المبجل أحمد**، تقي الدين الحصني، (٤٩/١).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر، (٤٧/١٣).

ما نصه: «وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أين ربنا؟ قال الذي أوجد الأين لا يسأل عنه بأين، قال كيف ربنا؟ قال رضي الله عنه إن الذي كيَّف الكيف لا يسئل عنه بكيف، قال متى كان ربنا؟ قال ويحك ومتى لم يكن». وذلك في كتاب «نزهة المجالس»[1].

٦٢- قال الحافظ عبد الرحمن جلال الدين ابن أبي بكر السيوطي الفقيه المفسر الحافظ (ت ٩١١هـ) ما نصه: «صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف». وذلك في كتابه «الإتقان»[2].

٦٣- وقال في كتابه[3] «الكنز المدفون والفلك المشحون» ما نصه: «فوائد نفيسة: لا يقال للمعبود "كيف هو"، لأنه يستخبر بكيف عن الهيئة والحال، والله سبحانه لا هيئة له ولا حال. ولا يقال ما لونه؟ لأن الألوان متضادة، فهي مستحيلة في حقه سبحانه».

٦٤- قال الحافظ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ) ما نصه: «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾

---

(١) **نزهة المجالس**، الصفوري، (٩/١).

(٢) **الإتقان في علوم القرءان**، السيوطي، (٥٦/١).

(٣) **الكنز المدفون والفلك المشحون**، السيوطي، (ص/١٠١).

﴿ [سورة الملك]، ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم»، ثم قال: «واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شك في الوجود والموجود وغير قادح في التوحيد»، ثم قال: «وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق». وذلك في شرحه على «صحيح مسلم»[1].

٦٥- وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني الشافعي (ت ٩٧٣هـ) ما نصه: «فإنه تعالى موصوف معروف من غير تكييف». وذلك في كتابه «لطائف المنن والأخلاق».

٦٦- قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي الشافعي (ت ١٠٣١هـ) ما نصه: «إنكم أيها المؤمنون لن تروا ربكم بأعينكم يقظة حتى تموتوا رؤية منزهة عن الكيفية». وذلك في كتابه «فيض القدير»[2].

٦٧- قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في كتابه «إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري» ما نصه: «فقوله: كيف غير معقول أي كيف من الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى» اهـ.

---

(١) **المنهاج في شرح صحيح مسلم**، النووي، (٥/٢٤-٢٥).

(٢) **فيض القدير**، المناوي، (٢/٥٥٧).

٦٨- وقال أيضًا: «قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة] بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة». من كتابه «إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري».

٦٩- قال القاضي أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي الأزهري (ت ٩٢٦هـ) ما نصه: «قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة] » بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة». من كتابه «مِنحة الباري بشرح صحيح البخاري».

٧٠- قال الفقيه محمد بن أحمد الشّربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) ما نصه: «وقال أهل السنة: الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف - أي بلا جلوس ولا استقرار ولا تمكن ولا مماسة ولا حلول في جهة ولا مكان -» من كتابه «تفسير القرءان».

٧١- قال الشيخ محمود محمد خطاب السبكي المصري (١٣٥٢هـ) في فصل عَقَدَهُ لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كتابه «إتحاف الكائنات[1]» ما نصه: «أن خالق العالم لا يشبه خلقه، فإنّ الصانع لا يشبه الصنعة، وأنّ التكييف والتحديد لا يكون إلا في المخلوق لأنّهما صفتان للمحدث».

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطابي السبكي، (ص/ ١٩١).

٧٢- قال الشيخ عبد الفتاح الزعبي[١] نقيب السادة الأشراف في طرابلس الشام (١٣٥٤هـ) بعد كلام في تنزيه البارئ سبحانه وتعالى في المواعظ الحميدية في الخطب الجمعية، ما نصه: «كل ذلك يدل على وجود صانع منزه عن الكيفية والمثلية، ومقدس عن خطرات الأوهام ومزاعم الحلولية».

٧٣- قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي[٢] الأزهري (١٣٦٢هـ) في «تفسير القرءان الكريم» ما نصه: «ظنوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها - أي الأجسام - على طريق المقابلة في الجهات والأحياز، ولا ريب في استحالته،وإنما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة».

٧٤- قال الإمام المجتهد المطلق النعمان بن ثابت أبو حنيفة رضي الله عنه وأرضاه وهو من أئمة السلف واحد التابعين الأجلاء فإنه قد اجتمع بسبعة من الصحابة وأخذ العلم عن ما يقارب المائة تابعي وهو الذي قال فيه الشافعي: «إني لأتبرك بأبي حنيفة»، (ت ١٥٠هـ) ما نصه: «فهو -

---

(١) **المواعظ الحميدية في الخطب الجمعية**، عبد الفتاح الزعبي، (ص/٨٦)

(٢) **تفسير القرءان الكريم**، محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي، (١٠١/١)

أي الله - له صفات بلا كيف». وذلك في كتابه «الفقه الأكبر»[1].

٧٥- وقال أيضًا (ت ١٥٠هـ) عن حديث النزول ما نصه: «ينزل بلا كيف».روى ذلك عنه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات والإمام ملا علي القاري في كتابه شرح «الفقه الأكبر».

٧٦- وقال أيضًا (ت ١٥٠هـ) ما نصه: «واللهُ تعالى يُرَى في الآخرَةِ، ويَراهُ المؤمنونَ وهُم في الجنةِ بأعينِ رؤوسِهم بلا تشبيهٍ ولا كيْفِيَّةٍ ولا جهة ولا يكونُ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ مسافَةٌ». وذلك في كتابه «الفقه الأكبر».

٧٧- قال الإمام أبو جعفر الوَرّاق أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي السَّلَفِيّ رضي الله عنه (ت ٣٢١هـ) ما نصه: «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية». وذلك في «العقيدة الطحاوية» التي قال فيها إنها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

٧٨- قال الإمام أبو منصور الماتريدي رضي الله عنه (ت ٣٣٣هـ) ما نصه: «إن رؤية الله في الآخرة واجبة سمعًا بلا كيف، فإن قيل كيف يُرى؟ قيل بلا كيف إذ الكيفية تكون لذي صورة بل يُرى بلا وصفِ قيامٍ وقعودٍ واتكاءٍ وتعلقٍ واتصالٍ وانفصالٍ ومقابلةٍ ومدابرةٍ وقصيرٍ وطويلٍ ونورٍ وظلمة وساكنٍ ومتحركٍ ومُماسٍ». وذلك في كتابه «التوحيد».

---

(١) **الفقه الأكبر**، أبو حنيفة، (ص/١).

٧٩- قال الشيخ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلاباذي (ت ٣٨٤هـ) ما نصه: «كذلك قبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها عبارة عن قبض السماوات وجمعها فهو إشارة إلى المقبوض والمجموع لا حكاية عن يد الله التي هي صفة أزلية لله ليست بجارحة، ولا عضو، ولا جزء، ولا كيفية لها فيوصف بالقبض والبسط المفهوم عندنا كأيدي المحدثين تعالى الله عن أوصاف الحدث علوًا كبيرًا». وذلك في كتابه «بحر الفوائد»[1].

٨٠- وقال الإمام عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ) في الرسالة القشيرية ما نصه: «إن الحق سبحانه وتعالى موجود ليس بجسم ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ولا يخصه هيئة».إلى أن قال: «لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف»، وذكر أن هذه العقيدة هي عقيدة الأئمة الكبار والصوفية الصادقين وذكر عددًا كبيرًا بأسمائهم في كتابه «الرسالة».

٨١- قال القاضي الصدر العلامة شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن المحدث عبد الكريم بن موسى النسفي البزدوي (ت ٤٩٣هـ) ما نصه: «قال أهل السنة إن الله تعالى جائز الرؤية، وأنه يُرى في الآخرة بلا محاذاة ولا كيف ولا حد». وذلك في كتابه

---

(١) **بحر الفوائد**، الكلاباذي، (٣٩٤/١).

«أصول الدين»[1].

٨٢- وقال أيضًا في الكتاب نفسه ما نصه: «فأهل الجنة يرون الله تعالى بأعينهم كما يعلمون الله تعالى بقلوبهم في الدارين جميعًا بلا كيفية ولا محاذاة ولا تحديد».

٨٣- وقال أيضًا في الكتاب نفسه ما نصه: «وأما رؤية الإنسان اللهَ تعالى في المنام: فقال عامة أهل السنة والجماعة قد تكون لكن بشرط أن لا يراه مكيّفًا محدودًا، أما إذا رءاه مكيفًا محدودًا فذاك: ليس برؤية الله تعالى».

٨٤- قال الإمام ميمون بن محمد النسفي المكحولي أبو الْمُعِين النسفي (ت ٥٣٧هـ) ما نصه: «ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض، ولا متحيز، ولا متركب، ولا متناه، ولا يوصف بالماهية، ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء».

٨٥- قال العلامة كمال الدين البياضي[2] الحنفي (كان حيا في القرن الحادي عشر الهجري) في «إشارات المرام»[3] ما نصه: «أنه تعالى لا يتصف

---

(١) **أصول الدين**، النسفي، (ص/٧٧).

(٢) **إشارات المرام**، كمال الدين البياضي، (ص/١١٠)

(٣) **المصدر السابق**، (ص/ ١١٠).

بشيء من الكيفيات المحسوسات بالحس الظاهر أو الباطن والطعوم والروائح والشهوة والنضرة والحزن والتأسف والغضب والإشفاق والتمني والفرح، ولا بالآلام واللذات الحسية لأنه لا يعقل منها إلا ما يخص الأجسام وإن كان البعض منها مختصا بذوات الأنفس، ولأن البعض منها تغيرات وانفعالات وهي على الله تعالى محال، ولإجماع الأمة» اهـ

٨٦- وقال الفقيه ملا علي القاري الحنفي (ت ١٠١٤هـ) ما نصه: «مجمل الكلام وزبدة المرام أن الواجب لا يشبه الممكن ولا الممكن يشبه الواجب فليس بمحدود ولا معدود ولا متصور ولا متبعض ولا متحيز ولا مركب ولا متناه ولا يوصف بالمائية والماهية ولا بالكيفية من اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة واليبوسة وغير ذلك مما هو من صفات الأجسام». من شرحه على «الفقه الأكبر»[1].

٨٧- نقل الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها (ت ٤١٠هـ) في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل» رضي الله عنه عن الحافظ الكبير إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت ٢٤٦هـ) ما نصه: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل

(١) **شرح الفقه الأكبر**، القاري، (ص/٩١).

اللغة وضعوا هذا الاسم على الذي له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل».

فليُتأمَّل هذا النقل من هو ناقِلُ، إنّه رئيس الحنابلة وابن رئيسها عبد العزيز بن الحارث التميمي، وليس رئاسته في قرية نائية أو مدينة صغير بل ذلك بغداد أي مكان اجتماع الحنابلة في تلك الأيام.

والنقل هو عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إمام المذهب الحنبلي يقول: «أنكر أحمد على من قال بالجسم»، أي أنكر أحمد على من وصف الله بالجسم، فهذا تصريح من الإمام أحمد رضي الله عنه في تنزيه الله عن هذه الأشياء الستة، فقد نزّه الله عن الطول والعرض والسمك والتركيب والصورة والتأليف وهذا ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة والجماعة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد.

لذلك فليعلم أن نفي الجسم وهو ما له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف عن الله تعالى قد جاء به السلف، فظهر أنّ ما يدّعيه بعض الناس من أن السلف لم يتكلموا في نفي الجسم عن الله فغير صحيح.

فنحن نذكر ما نقله أبو الفضل التميمي البغدادي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأن استحضار كلام الإمام أحمد ينفع لدفع

تمويه بعض الناس الذين يقولون السلف ما تكلموا في نفي الجسم عن الله وكلامهم هذا باطل لأن الإمام أحمد من الأئمة الأعلام وهو من السلف الصالح. ثم تأملوا جيدًا في قوله رضي الله عنه: «إن الأسماء مأخوذة من الشريعة ومن اللغة». لأن أسماء الأشياء تعرف إما من اللغة وإما من الشرع فهناك أشياء عرفت أسماؤها من اللغة وأشياء عرفت أسماؤها من الشرع مثل الصلاة الشرعية ومثل الصيام ومثل الزكاة الشرعية.

وأما قوله: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم» فذلك يُفيدُ أنّهم قد عرفوا هذا بالنقل أي عرفوا بالنقل أن إطلاق اسم "الجسم" على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف لأن اللغة العربية ليست شيئًا بالمواضعة إنما هي بالوحي فقد قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ فمعنى أطلقوا أو وضعوا نقلوا إلينا ليس معناه اجتمعوا وقرروا أن يطلقوا هذا الاسم أي الجسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، فالله المنزَّه كلامُه عن اللغات أوحى باللغة إلى الأنبياء، ثم من الأنبياء استفاد البشر من اللغات.

ثم قول الإمام رضي الله عنه: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وتأليف والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كله».

أي كل هذا يستحيل على الله لأن الله لا يشبه شيئًا من خلقه ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [سورة الشورى]. ثم لو كان الله جسمًا كبيرًا أو صغيرًا كثيفًا أو لطيفًا، كثيفًا كالبشر والحجر أو لطيفًا كالنور والهواء لاحتاج لمن خصصه بهذه الصورة والكيفية والمحتاج لا يصح في العقل أن يكون إلها.

وقوله رضي الله عنه: «والله خارج عن ذلك كله ولم يجئ ذلك في الشريعة فبطل» أي ما جاء في الشريعة إطلاق الجسم على الله بل الذي جاء في الشريعة تنزيه الله عن الجسم وعن صفات الجسم، ومن أطلق ذلك على الله كلامه باطل مخالف لعقيدة المسلمين. فيلزمه الرجوع إلى الإسلام بالشهادتين.

٨٨- نقل كذلك الإمام أبو الفضل التميمي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما نصه: «جملة اعتقاد أحمد رضي الله عنه في الذي كان يذهب إليه أن الله عز وجل واحد لا من عدد لا يجوز عليه التجزّؤ ولا القسمة»، وقال: «ومذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن لله عزّ وجل وجهًا لا كالصور المصورة والأعيان المخططة وليس بمعنى الجسم»، وقال: «الله يدان وهما صفة ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا جنس من الأجسام ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ولا يقاس على ذلك ولا مرفق ولا عضد - معناه لا يوصف بذلك رب العالمين وكل ما كان من معاني الجسمية فهو على الله تعالى محال - ولا فيما يقتضي ذلك»، وقال: «وهذا يدل على

أنه عالم بعلم وأن علمه بخلاف العلوم المحدثة التي يشوبها الجهل ويدخلها التغير ويلحقها النسيان ومسكنها القلوب وتحفظها الضمائر ويقومها الفكر وتقويها المذاكرة وعلم الله بخلاف ذلك كله وليس بقلب ولا ضمير واعتقاد ومسكن ولا علمه متغاير ولا هو غير عالم بل هو - أي العلم - صفة من صفاته»، وقال: «إن لله كلاما هو به متكلم وذلك صفة له خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها»، وقال: «ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش»، وقال: «وذهب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إلى أن عدل الله عزَّ وجلَّ لا يدرك في العقول وشرح بعض أصحابه ذلك فقال:«لما كان الله سبحانه وتعالى لا يتصور في العقول ولا يتمثله التمييز وفات العقول دركه ومع ذلك فهو شيء ثابت ما تصور بالعقل فالله بخلافه». وذلك فيما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها (ت ٤١٠هـ) في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه»[1].

٨٩- قال الحافظ أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ما نصه: «إنما يقع الاشكال في وصف من له أشكال وإنما

---

(١) **اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل**، التميمي، (٣٠٠/١).

تضرب الأمثال لمن له أمثال فأما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال، عظمته عظمت عن نيل كف الخيال، كيف يقال له كيف؟ والكيف في حقه محال! أنى تتخيله الأوهام! وهي صنعه؟! كيف تحده العقول! وهي فعله؟! كيف تحويه الأماكن! وهي وضعه أي خلقه؟!»، ثم قال: «ما عرفه من كيّفه ولا وحده من مثّله ولا عبده من شبّهه، المشبه أعشى والمعطل أعمى». وذلك في كتابه «المدهِش»[1].

٩٠- قال محمد بن بدر الدين ابن بَلْبان الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٣هـ) ما نصه: «فصل ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه - أي غير مشابه بوجه من الوجوه - فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان ولا يعرف بالحواس ولا يقاس بالناس ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا فهو الغني عن كل شيء ولا يستغني عنه شيء ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسما أو قال إنه جسم لا كالأجسام فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تضرب له الأمثال ولا يعرف بالقيل والقال وبكل حال مهما خطر بالبال وتوهمه الخيال فهو بخلاف ذي

---

(١) **المدهش**، ابن الجوزي، (ص/١٣٧).

الإكرام والجلال». وذلك في كتابه «مختصر الإفادات».

قال الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة رضي الله عنه ما نصه: «استوى كما أخبر لا كما يخطر بالبشر». وذلك فيما رواه عنه الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات»[1].

٩١- قال الإمام الحافظ العلامة المحدث الفقيه المجدد المجتهد حامي حمى الملة والدين أشعري زمانه وشافعي أوانه شيخ الإسلام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الحبشي العبدري رضي الله عنه المتوفى في (٢رمضان ١٤٢٩هـ) ما نصه: «وكذا نقول إنه تعالى لا يتصف باللون والطعم والرائحة لأنها من أمارات الحدث، وكذا لا يتصف بالكيفية بمعنى الهيئة لذلك قال علماء أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى منزه عن الكمية والكيفية، وقال صاحب «القاموس» في تفسير الهَيولى، والكمية معناه الحجم. أما الكيفية فهي الصفات التي تقوم بالجرم، فهو منزه عن كل ذلك، فإذا ذكرت كلمة الكيفية بهذا المعنى مضافة إلى الله تعالى كان ذلك تشبيها له بخلقه، وأما من ذكر لفظ الكيفية في بعض العبارات بمعنى الحقيقة فليس في ذلك تشبيه لله بخلقه كهذا البيت الذي يذكره بعض المؤلفين من أهل السنة كابن الجوزي والزركشي:

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٤١٥/٢).

حَقِيقَةُ العَبْدِ لَيْسَ العَبْدُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الجَبَّارِ فِي القِدَمِ

وفي رواية: «حَقِيقَةُ النَّفْسِ لَيْسَ العَبْدُ يُدْرِكُهَا».

فقوله: «فكيف كيفية الجبار في القدم» معناه فكيف حقيقة الجبار.

قلت: - أي الشيخ الهرريُّ - ولو غيّروا هذا البيت فقالوا:

حَقِيقَةُ الْمَرْءِ لَيْسَ العَبْدُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ يُدْرَكُ كُنْهُ الخَالِقِ الأَزَلِي

لكان ذلك سالمًا.

وقال بعض الكرامية إنَّ لله تعالى كيفيَّة لا يعرفها إلا هو وهو قول فاسد لأنها عبارة عن الهيئات وذلك مستحيل عليه. ولا يوصف أيضًا بالماهية لأنها عبارة عن المجانسة وذلك لأن كل ذي جنس شبيه بذي جنسه فكان القول بالماهية قولًا بالتشبيه ومن روى عن أبي حنيفة أنه قال: «إن لله تعالى ماهية لا يعرفها إلا هو» فقد افترى عليه. ولا يوصف تعالى بالتبعض خلافًا لليهود لعنهم الله ولا بالتناهي خلافًا لبعض الكرامية فإنهم يقولون: إنه غير متناه من خمس جهات متناه من جهة واحدة وهي الجهة السفلى التي تلاقي العرش». وذلك في كتابه إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

وقال في شرحه على العقيدة النسفية «المطالب الوفية»[1] ما نصه: «**وَلَا**

(١) **المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، عبد الله الهرري (ص/٤٥- ٤٦).

بالكَيْفِيَّةِ يعني أن الله تعالى منزه عن الكيفية، ومراده بالكيفية ما كان من نحو اللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مما هو من صفات الأجسام وتوابع التركيب. قال القونوي في شرحه على الطحاوية ما نصُّه: قال نُعيم بن حماد: «مَن شَبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر»، وقال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم» اهـ كلام العلامة الهرري.

٩٢- قال شيخ شيوخ الأمصار ولي الله الكبير أبو مَدْيَن شعيب بن الحسن الأنصاري المشهور بأبي مَدْيَن الغوث (ت ٥٩٤هـ) ما نصه: «الحمد لله الذي تنزّه عن الحد والأين والكيف والزمان والمكان المتكلم بكلام قديم أزلي - هو صفة من صفاته قائم بذاته أي ثابت له - لا منفصل عنه ولا عائد إليه ولا يحل في المحدثات ولا يجانس المخلوقات ولا يوصف بالحروف والأصوات تنزهت صفات ربنا عن الأرض والسماوات، اللَّهُمَّ إنا نوحدك ولا نحدك ونؤمن بك ولا نكيفك ونعبدك ولا نشبهك ونعتقد أن من شبّهك بخلقك لم يعرف الخالق من المخلوق، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، ثم قال رضي الله عنه: «ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوظ، فهو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود

والبؤوس، ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس، هو الله لا إلــه إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس، لا العرش له من قبله القرار ولا التمكن له من جهة ولا الاستقرار، العرش له حد ومقدار، والرب لا تدركه الأبصار، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول، وهو مع ذلك محمول - أي العرش - وهو - أي الله - لا يزول، العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الإلــه ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا خلف فيسنده ولا أمام فيحدّه جلّ عن التكييف والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». وذلك من كتاب أبي مدين الغوث رضي الله عنه.

٩٣- قال الإمام القاضي أبو محمد عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي البغدادي رئيس الحنابلة في بغداد وابن رئيسها (ت ٤١٠هـ) قال: «ولا يجوز أن يثبت له كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن وذلك يؤول إلى التجسيم وإلى قدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام». وذلك في كتابه «شرح عقيدة الإمام مالك الصغير» للقاضي أبي محمد عبد الوهاب المالكي.

وثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه[1] «الأسماء والصفات»، بإسناد جيد كما قال الحافظ ابن حجر[2] في «الفتح» من طريق عبد الله ابن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمـن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل» اهـ.

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله:» أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعترض عليه.

وروى الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات[3] من طريق يحيى بن يحيى قال:« كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله فكيف استوى ؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال:الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا فأمر

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (ص/٤٠٨).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٣/٤٠٦ - ٤٠٧).

(٣) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (ص/٤٠٨).

به أن يخرج»، قال البيهقي: وروي في ذلك عن ربيعة بن عبد الرحمـن أستاذ مالك بن أنس رضي الله عنهما» اهـ.

وقال المحدث الشيخ سَلامة العَزَّامي[1] - من علماء الأزهر - في «فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان»: «قول مالك عن هذا الرجل «صاحب بدعة» لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن جسم على جسم واستقراره عليه وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة».

وأما ما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول:» الله في السماء وعلمه في كل مكان»، فغير ثابت. قال الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه ذكره ابن كثير في البداية والنهاية. قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، وقال ابن فرحون: كان أصم أميًا لا يكتب. وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا.

فبان مما ذكرناه أن ما تنسبه المشبهة للإمام مالك تقوُّلٌ عليه بما لم يقُل.

وسئل الإمام أبو حنيفة[2] رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «من قال لا

---

(١) **فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان**، سلامة العَزّامي، (ص/٢٢).

(٢) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، (ص/٤٩).

أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر»، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه. وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كالإمام ابن عبد السلام في حل الرموز والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» والإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» وغيرهم.

وأما ما قاله المجسم ابن القيم في نونيته:

كـذلك قـال النعمـان وبعـده ... يعقـوب والألفـاظ للنعمـان

مـن لـم يقـر بعرشـه سـبحانه ... فـوق السـماء وفـوق كل مـكان

ويقـر أن الله فـوق العـرش لا ... يخفى عليـه هـواجس الأذهـان

فهـو الذي لا شـك في تكفـيره ... لله درك مـن إمـام زمـان

فنقول: إن هذا المجسم يريد أن يروج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. والفقه الأكبر متداول بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غالى فيها كل الغلو وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «الفقه الأكبر» فيه: «والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه» وفيه أيضًا: «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين

رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة»، وفي «الوصية» للإمام: «لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة»، وفي «الوصية»: «نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى ! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» اهـ

وفي «الفقه الأبسط»: «كان الله ولا مكان كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء».

وقال أيضًا: «فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء هو أم في الأرض فهو كافر، كذلك من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» اهـ

وإنما كفر الإمام قائل هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصا بجهة وحيز وكل ما هو مختص بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى، بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله - وقد نقلنا ذلك - ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان !». ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة البياضي الحنفي في «إشارات المرام» والشيخ الكوثري في «تكملته» وغيرهما.

وفي «شرح الفقه الأكبر» لملا علي القاري في الرد على المجسمة المحرفين لكلام أبي حنيفة ما نصه: «وما روي عن أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وعرشه فوق سبع سماواته، قلت: فإن قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض !، قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر كونه في السماء فقد كفر لأن الله تعالى في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل، والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتابه «حل الرموز» أن الإمام أبا حنيفة قال: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه» اهـ، ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح أي شارح عقيدة الطحاوي، مع أن أبا مطيع رجل وضَّاع عند أهل الحديث كما صرَّح به غير واحد» انتهى كلام ملا علي القاري.

قال الشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي في كتابه "غوث العباد ببيان الرشاد": ومن هذا الكلام يعلم أمور منها:

الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في «الفقه الأكبر»، وإنما نقلها عن أبي حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبًا يراد به ترويج البدعة.

الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضَّاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعي فضلًا عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ماذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا الناقل صرح به إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله عنه، فاعتماد الكذَّاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبتت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

وأما ما نسبه المجسم ابن القيم إلى يعقوب وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي - من علماء الأزهر -: «لا شك أنه كذب يروج به هذا الرجل بدعته» اهـ وكذا قال الكوثري في «تكملته».

فبهذا ينتسف ما قاله المجسم ابن القيم وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنه قال: «الله في السماء» فغير ثابت ففي سنده أبو محمد بن حيان ونعيم بن حماد ونوح بن أبي مريم أبو عصمة، فالأول ضعفه بلديُّه الحافظ العسال.

ونعيم بن حماد مجسم. وكذا زوج أمه نوح ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه، ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة، فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه ؟!، قال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه» عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي في "الكامل في الضعفاء": كان يضع الأحاديث وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديث منكر مجهول» اهـ.

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبي نقلًا عن البيهقي في «الأسماء والصفات».

قلنا: رواه البيهقي[1] في «الأسماء والصفات» وقال: «إن صحت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبي في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أن القول بأن الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في تكملته: «وقد أشار البيهقي بقوله: «إن صحت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل» اهـ.

على أن الإمام البيهقي ذكر في «الأسماء والصفات» في كثير من المواضع أن الله منـزه عن المكان والحد ومن ذلك قوله: "واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه تعالى بقول النبي ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» رواه مسلم، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان" ا هـ.

---

(١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (ص/٤٢٩).

وقوله: «وما تفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به والبارئ قديم لم يزل» اهـ.

وقوله: «وأنّ الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ.

فوضح بعد هذا البيان الشافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذًا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: «ءامنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك» اهـ

ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» وغيرهما كثير، وقال أيضًا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». ذكره الإمام المحدث عبد الله الهرري في كتابه «الصراط المستقيم» والإمام الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد» والشيخ سلامة العزامي وغيرهم، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية والجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

ولما سئل عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه - أي الله -

على لسان نبيه ﷺ». اهـ

ذكره الشيخ ابن جهبل في رسالته في نفي الجهة عن الله التي رد فيها على المجسم ابن تيمية.

وقال الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكانَ لا يجوز عليه التغييرُ في ذاته ولا التبديل في صفاته» اهـ. كما نقله عنه الزبيدي في كتابه "إتحاف السادة المتقين".

وقال الشافعي رضي الله عنه أيضًا جامعًا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد» "شرح الفقه الأكبر".

قلنا: ما أدَقّها من عبارة وما أوسع معناها شفى فيها صدور قوم مؤمنين فرضي الله عنه وجزاه عنا وعن الإسلام خيرًا وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى]. ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم]، وكل هذا يدل على أن الإمام الشافعي رضي الله عنه على تنـزيه الله عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك، نعم فقد روى السيوطي[1] "الأشباه

(١) **الأشباه والنظائر**، السيوطي، (ص/٥٩٨).

والنظائر" وغيره أن الإمام الشافعي قال: «المجسم كافر».

قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي[1] في كتابه «نجم المهتدي» ما نصه: «نقلًا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين في كتابه المسمى «كفاية النبيه في شرح التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به، قال: «وهذا يفهم من كفره مجمع عليه ومن كفرنا من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي رضي الله عنه» اهـ

وأما ما ترويه المشبهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشارى وابن كادش. أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله (ت ٥٢٦هـ)من أصحاب العشارى اعترف بالوضع، وحكم مثله عند أهل النقد معروف. وأما العشارى فهو أبو طالب محمد بن علي العشارى (ت ٤٥٢ هـ) مغفل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان وغيره، وكذا ما ينسب للشافعي«وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل، فليحذر تمويهات المجسمة فإن هذا دأبهم ذكر ما

(١)**نجم المهتدي**، ابن المعلم القرشي، (ق/٢٨٧ مخطوط).

يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلًا.

وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» والإمام الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك على السيد الجليل أحمد»، وغيرهما.

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أرشقها فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم إذ فيها تنـزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار ومحاذاة ونحو ذلك، أما المشبهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم من جلوس وقعود ونحو ذلك، وهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورًا الذين يحرفون كلمة «استوى» فيقولون جلس، قعد، استقر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا كالمجسم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى» فقال: «إن محمّدًا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه» اهـ. وقال فيما رءاه الإمام أبو حيان الأندلسي بخطه: «إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى مكانًا يقعد فيه رسول الله» اهـ كما في «النهر الماد» إلى غير ذلك من تخريفاته وتحريفاته.

ونقل أبو الفضل التميمي في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد» عن الإمام أنه قال: «والله تعالى لا يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ينكر- الإمام أحمد - على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة» اهـ

وبين الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» براءة أهل السنة عامة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبهة وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ» انتهى بحروفه.

وقال القاضي بدر الدين ابن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل[1]" إن الإمام أحمد كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى» اهـ.

وعبارته المشهورة التي رواها عنه أبو الفضل التميمي الحنبلي «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» دليل على نصاعة عقيدته وأنه على عقيدة التنـزيه.

وقال المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع»: «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال عن من قال جسم لا كالأجسام كفر» اهـ.

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأول قول الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه[2].

وقال الحافظ البيهقي أيضًا في «مناقب أحمد»: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل ابن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله

---

(١) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، (ص/٩٣).

(٢) **تاريخ ابن كثير**، ابن كثير، (٦٤٨/١).

- يعني أحمد - يقول: «احتجوا علي يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] إنما يأتي قدرته وإنما القرءان أمثال ومواعظ. قال الحافظ البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنـزول الذي وردت به السنة انتقالًا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلامَ الله وصفةً من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه» اهـ

وقال الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري في "المقالات السنية": «وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أن الله متحيز في مكان أو أن له حركة وسكونًا وانتقالًا من علو إلى سفل على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادا التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظًا ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منـزهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون «بلا كيف» كما قالت الأئمة وتارة يقولون «على ما يليق بالله»، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على

المجيء بمعنى التنقل من علو وسفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل». انتهى بحروفه.

وورد في الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية للعالم للمفسّر محمد بن علاّن الصدّيقي الشافعي الأشعري المكّي (ت ١٠٥٧هـ) رحمه الله تعالى في باب الحثّ على الدعاء والاستغفار في النصف الثاني من كلّ ليلة ما نصّه: وأنّه تعالى منـزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحقّ ومنهم الإمام أحمد وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة. انتهى بحروفه.

وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ذكر ابن شاهين قال: رجلان صالحان بُليا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد، وأحمد بن حنبل. اهـ

وذكر في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ): عقيدة إمام السُنّة أحمد بن حنبل: هي عقيدة أهل السُنّة والجماعة من المبالغة التامّة في تنـزيه الله تعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون عُلُوًّا كبيرًا مِن الجهة والجسمية وغيرهما مِن سائر سمات النقص بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مُطْلق، وما اشتُهِرَ بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد مِنْ أنّه قائل بشيء مِن الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه فلَعن اللهُ مَنْ نسبَ ذلك إليه أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برّأه الله منها» اهـ.

ونقل الإمام الحافظ العراقي والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم».

تعريف المكان والجهة

عَرَّف المكان جمع من اللغويين وأهل العلم، ونقتصر هنا على ذكر البعض:

- قال اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ما نصه[١]: «المكان عند أهل اللغة الموضع الحاوي للشيء» اهـ.
- وقال اللّغويّ الشّيخ محمّد بن مكرّم الإفريقيّ المصريّ المعروف بابن منظور (٧١١هـ) ما نصه[٢]: «والمكان الموضع والجمع أمكنة وأماكن» اهـ. ثم قال: «فقد دلّ على هٰذا أنّه مصدر من كان أو موضع منه» اهـ.
- وقال العلّامة عليّ بن محمّد السّيد الشّريف الجرجانيّ (٨١٦هـ) ما نصّه[٣]: «المكان: عند الحكماء: هو السّطح الباطن من الجسم الحاوي المماسّ للسّطح الظّاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهّم الّذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده» اهـ.
- وقال اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب

---

(١) **المفردات في غريب القرءان**، الراغب الأصفهاني، مادة (م ك ن)، (ص/٤٧١).

(٢) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (م ك ن)، (ص/٤٧١).

(٣) **معجم التعريفات**، الجرجاني، مادة (م ك ن)، (ص/٤٧١).

«القاموس» (٨١٧هـ) ما نصه[١]: «المكان: الموضع، ج: أمكنة وأماكن» اهـ.

- وقال العلامة كمال الدين أحمد بن حسن البَياضي الحنفي (١٠٩٨هـ) ما نصه[٢]: «المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم» اهـ.
- وقال الشيخ يوسف بن سعيد الصفتي المالكي (١١٩٣هـ) ما نصه[٣]: «قال أهل السنة: المكان هو الفراغ الذي يحُلُّ فيه الجسم» اهـ.
- وقال الحافظ المحدّث الفقيه اللغوي الحنفي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) ما نصه[٤]: «المكان: الموضع الحاوي للشيء» اهـ.
- وقال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي (١٣٧٦هـ) ما نصه[٥]: «المكان هو الموضع الذي يكون فيه الجوهر على قدره، والجهة هي ذلك المكان» اهـ.
- وقال الشيخ المحدث الفقيه العلامة الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحَبشي رحمه الله (١٤٢٩هـ) ما نصه: «المكان هو ما يأخذه الحجم من الفراغ» اهـ.

---

(١) **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، مادة (م ك ن)، (ص/١٥٩٤).

(٢) **إشارات المرام**، كمال الدين البياضي، (ص/١٩٧).

(٣) **حاشية الصفتي**، الصفتي، (ص/٢٧).

(٤) **تاج العروس**، الزبيدي، مادة (م ك ن)، (٩/٣٤٨).

(٥) **فرقان القرءان**، القضاعي، (ص/٦٢).

فهذا النقل عن اللغويين وأهل العلم لبيان معنى المكان دليلٌ على أن النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى موجودٌ بلا مكان، وأن الله لا يسكن العرش ولا يسكن السماء لأن القرءان نزل بلغة العرب كما قال الله عزّ وجلّ في القرءان الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء] والنبيّ أعلم الناس بلغة العرب، فبطل بذلك تمسك المشبهة المجسمة بظواهر بعض الآيات والأحاديث المتشابهة التي ظاهرها يوهم أن لله مكانًا، فمثل هذه النصوص لا تحمل على الظاهر باتفاق علماء السلف والخلف لاعتقادهم بأن الله تبارك وتعالى يستحيل عليه المكان كما هو ثابت بالقرءان والحديث والإجماع وكلام اللغويين وغيرهم.

وبعد هذا البيان يتبيَّن لك أيها القارئ أن الله تعالى ليس في مكان من الأماكن العلوية والسفلية وإلا لكان المكان حاويًا لله تعالى، ومن كان المكان حاويًا له كان ذا مقدار وحجم وهذا من صفات الأجسام والمخلوقين، واتصاف الله تعالى بصفة من صفات البشر محال على الله، وما أدى إلى المحال فهو محال، فثبت صحة معتقد أهل السنة الذين ينزهون الله عن المكان والجهة.

أما موضوع الجهة فإن مجسّمة هذا العصر يعمدون إلى التمويه على الناس فيقولون: الله موجود في جهة ما وراء العالم، فلبيان الحق من الباطل نبيّن معنى الجهة من أقوال العلماء من فقهاء ومحدثين ولغويين وغيرهم:

- قال اللغوي الشيخ محمد بن مكرّم الإفريقي المصري المعروف بابن

منظور، وكان عارفًا بالنحو واللغة والأدب (٧١١هـ) ما نصه[١]: «والجِهةُ والوِجْهةُ جميعًا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده» اهـ.

- قال الشيخ مصطفى بن محمد الرومي الحنفي المعروف بالكستلي (٩٠١هـ) ما نصه[٢]: «قد يطلق الجهة ويراد بها منتهى الإشارات الحِسيّة أو الحركات المستقيمة فيكون عبارة عن نهاية البُعد الذي هو المكان، ومعنى كون الجسم في جهة أنه متمكّن في مكان يلي تلك الجهة، وقد يُسمى المكان الذي يلي جهة ما باسمها كما يقال فوق الأرض وتحتها، فيكون الجهة عبارة عن نفس المكان باعتبار إضافة ما» اهـ.
- وقال اللغويُّ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ما نصه[٣]: «والجهة: الناحية، ج: جهات» انتهى باختصار.
- وقال العلّامة كمال الدين أحمد بن حسن المعروف بالبياضي، وكان ولي قضاء حلب (١٠٩٨هـ) ما نصه[٤]: «والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل -أي على الله-» اهـ.

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (و ج ه)، (٥٥٦/١٣).

(٢) **حاشية الكستلي على شرح العقائد للتفتازاني**، الكستلي، (ص/٧٢).

(٣) **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، مادة (و ج ه)، (ص/١٦٢٠).

(٤) **إشارات المرام**، كما الدين البياضي، (ص/١٩٧).

- وقال الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ) ما نصه[١]: «والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار إضافة جسم ءاخر إليه» اهـ.

- وقال الشيخ سلامة القضاعي الشافعي (١٣٧٦هـ) ما نصه[٢]: «واعلم أن بين المقدرات من الجواهر التي هي الأجسام فما دونها وبين المكان والجهة لزومًا بَيّنًا، وهو ما لا يحتاج عند العقلاء إلى دليل، فإن المكان هو الموضع الذي يكون فيه الجوهر على قدره، والجهة هي ذلك المكان لكن بقيد نسبته إلى جزء خاص من شيء ءاخر» اهـ.

- وقال الشيخ العلامة المحدّث الفقيه عبد الله الهرري الشافعي الأشعري المعروف بالحَبَشي (١٤٢٩هـ) ما نصه[٣]: «وإذا لم يكن -الله- في مكان لم يكن في جهة لا عُلْوٍ ولا سُفلٍ ولا غيرهما لأنها إما حدود وأطراف للأمكنة أو نفس الأمكنة باعتبار عروض الإضافة إلى شيء» اهـ.

- قال الشيخ محمد محمود المرعشي الدمشقي[٤] في باب المواقف المكفرة التي فيها ذكر مواقفًا تحبط عمل الإنسان وتخرجه من الإسلام فقال ذاكرًا بعضها: «أو يثبت له مكانًا» اهـ.

---

(١) **رائحة الجنة شرح إضاءة الدُّجنَة**، النابلسي، (ص/٤٩).

(٢) **فرقان القرءان**، القضاعي، (ص/٦٢).

(٣) **المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية**، عبد الله الهرري، (ص/٤٧).

(٤) **أدب الخلق في الإسلام**، محمد محمود المرعشي الدمشقي، (ص/١٢٣).

الدُّنُوّ والتَّدَلِّي في لغة العرب

الدُّنُوّ:

اعلم رحمك الله أنّ الدُّنُوَّ مَصدَرُ دَنَا يَدنُو أي يَقرُب، حِسًّا كان أو معنًى، فهو دانٍ أي قريبٌ وهي دانِية والجمع دَوَانٍ ودَانِياتٌ.

وسُمِّيت الدُّنيا بذلك لِدُنُوّها والنسبة إليها دُنَياوِيّ، ويقال: دُنيَوِيّ ودُنيِيّ على وزن قُمْريّ وهو ضَربٌ مِن الْحمام يُجمَع على قَمارِيّ وقُمر.

وأمّا النِسبّة بلفظ "دُنَياوِيّ" فهي بزيادة الألف في "دُنيا" فصلًا بين الياء والواو، وليس فيما وراء الرابعة إلا الحذف، والألف الممدودة تثبت ولا تقلب إلا للتأنيث كحَمْرَاوِيّ وصَحْراوِيّ.

وسُمِّيت السَّماء الدُّنيا كذلك لِدُنوِّها مِنّا وكونِها القُربَى إلينا، ويقال: سَماءُ الدُّنيا على الإضافة، ومِن ذلك الجَمْرةُ الدُّنيا أي القَرِيبةُ مِن مِنًى.

ويقال: "هو ابنُ عَمِّه دِنْيَا ودِنْيًا ودِنْيَةً" أي لَـحًّا أي نَسَبًا، يقال: ابنُ عمٍّ لَحٍّ أي لاصِقُ النَّسَبِ، قاله في «القاموس المحيط».

قال الزَّبِيديّ في «تاج العروس»: "ويُعَبَّر بالأدنى تارةً عن الأصغر فيُقابَل بالأكبر، وتارةً عن الأرذَل فيقابَل بالخَيِّر، وتارةً عن الأوَّل فيقابَل بالآخِر، وتارةً عن الأقرَب فيقابَل بالأقصَى" اهـ.

وقد فُرِّق في اللُّغة بين مَصدر دَنَأ ومَصدر دَنَا بِجَعل مَصْدر دَنا دَناوةً ومَصدر دَنَأَ دَناءَةً. قال ابن السِّكِّيت: يقال: لقد دَنأْتَ تَدْنأُ أي سَفَلْتَ في فِعْلِك ومَجَنْتَ، وتقول العَرب: فُلانٌ دَنِيٌّ في الأمور - غيرَ مهموز - بمعنَى أنّه يتبع خساس الأمور وأصاغِرها.

قال ابن منظور في لسان العرب "قال الفَرَّاء: ولم نَرَ العَربَ تَهمِز أَدْنَا إذا كان مِن الخِسّة، وهم في ذلك يقولون: "إنّه لَدانِئٌ خَبِيثٌ" فيَهمِزون. قال: وأنشَدَنِي[1] بعضُ بَنِي كِلاب[2] [السَّرِيع]:

بَاسِـــلَةُ الوَقْـــعِ سَرَابِيلُهَـــا[3] بِـــيْضٌ إِلَى دَانِئِهَـــا الظَّـــاهِرِ

وأمّا الدَّنِيْءُ - مَهموزًا - فهو الضَّعِيفُ الدُّونُ مِن قومٍ أدْنِئاء مِن دَنَأَ ودَنُؤَ يَدْنَأ ويَدْنُؤ دَناءةً، وكذا الْمُدَنِّي وِزانُ الْمُحَدِّث، قاله ابن فارِس في «الْمُجمَل».

---

(١) والبيتُ للأعشَى.

(٢) بطن عظيم من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان. كانت ديارهم حِمَى ضريّة - وضريّة قرية في طريق مكة من البصرة مِن نجد - وهو حِمَى كُلَيب وحمى الرّبذة في جهات المدينة النبوية وفدَك والعوالي، ثم انتقلوا بعد ذلك الى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صِيتٌ، وملكوا حلَبَ ونواحِيَها وكثيرًا من مدن الشام ثم ضَعُفوا. «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة»، عُمر كَحَّالة (٩٨٩/٣).

(٣) أي دُرُوعُها.

قال أبو عليّ القالِيّ: "الدَّنِيء مَهمُوزٌ الخَبِيثُ البَطْن والفَرْج، والْمُدَنِّيْ غَيرُ مَهمُوزٍ الضَّعِيفُ الخَسِيسُ الْمُقَصِّر الذي لا غَناء عِندَه.

والدَّنِيّةُ مهموزةً وبِدُون هَمزٍ النَّقِيصةُ، يقال: نَفْسٌ دَنِيئةٌ ودَنِيَّةٌ أي خَبيثةٌ خَسِيسةٌ ساقِطةٌ مَعِيبةٌ.

قال الأزهريّ في «تَهذِيب اللُّغة»: "أهلُ اللُّغة لا يهمزون دَنُو في باب الخِسّة وإنما يَهْمِزُونه في بابِ الْمُجُون والخُبث" اهـ.

ويُقال: دَنَّا فُلانٌ إذا طَلَب شيئًا خَسِيسًا، قاله اللَّحيانيّ، والدَّنَا موضِعٌ مِن أَرْضِ لكَلْبٍ، وقال الجَوهريُّ: موضِعٌ بالبادِية تقعُ في ديار تميم بين البَصرة واليمامة، ومِن ذلك أنشَد النّابِغة الذُّبيَاني [الوافِر]:

ويُقال: دانَيتُ بَين شَيئَينِ إذا قارَبْتَ بَينَهما. قال ذُو الرُّمَّة وهو يَصِف بَعيرًا [البسيط]:

دَانَى لَهُ القَيْدُ في دَيْمُومةٍ(١) قَذَفٍ(٢) قَينَيْهِ(٣) وانْحَسَرتْ عَنْهُ الأَناعِيمُ(٤)

ويُقال: دانَى فُلانٌ بين الأمرَين دَناوةً أي قَرابةً، كما يقال: ما تزداد منّا إلاّ قُربًا ودَناوَةً لا دَناءةً.

---

(١) الفلاة البَعِيدة.

(٢) أي بَعِيدة، يقال: فَلاة قَذَفٌ وقُذُفٌ أي بَعِيدة.

(٣) القَيْن عَظمُ السّاق والتثنية قَيْنانِ، وقيل هو مخصوص بِمَوضِع القَيد.

(٤) جَمع أنعام.

ويُقال: تَدانَت مَخارِجُ بعضِ الحرُوفِ إذا اقتَرَب مخرَجُ بعضِها مِن بعضٍ، وتَدانَتْ إبِل الرَّجُل إذا قَلَّت وضَعُفَت، قاله ابن سِيدَه.

ويُقال: دَنا وأدنَى ودَنى إذا قَرُب، قاله الأزهريّ، وقال: وأدنَى إذا عاشَ عَيْشًا ضَيِّقًا بعدَ سَعةٍ. والأَدْنَيانِ اسمٌ لِوادِيَينِ مُنَصَّبَين مِن حَزْمِ جَبل دَمْخٍ[1]، قاله ابن سِيدَه.

ويُثَنَّى الأدنَى على الأدْنَيْنِ بكسرِ النُّونِ الثانية لا على الأَدْنَيَيْنِ ويُجَمع على الأَدْنَينَ بفتِح الآخِر، وهما في الرَّفع الأَدْنانِ والأَدْنَونَ، وكذا يُجمَع على أدانٍ تكسيرًا، ومِن شاهِد ذلك قولُ حاتمِ طيّءٍ [الطَوِيل]:

تَحلَّمْ[2] عَنِ الأَدْنَيْنَ[3] وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْـمَ حَـتَّى تَحَلَّمـا[4]

والأَدنَأُ مِن الرجال هو الأحدَبُ الْمُنحَنِي الظّهرِ الذي فيه انكِبابٌ على صَدْرِه، قاله ابنَاْ فارِس ومَنظورٍ، وسُمّي بذلك لأنّ أعلاهُ دانٍ مِن وَسَطه، ويُسَمَّى أَدَنًّا أيضًا، قاله أبو عُبيدة، العِلَّةُ دَنَنٌ، قاله ابن سِيدَه.

---

(١) هو جبل لأهل الرَّسّ مَصعَدُه في السَّماء مِيلٌ، وقيل: لِبَنِي نُفَيلِ بن عمرِو بن كلاب، وقيل غير ذلك. مراصِد الاطِّلاع على أسماء الأمكِنة والبِقاع لابنِ عبد الحَقّ القَطِيعِي (٥٣٣/٢).

(٢) أي تَكَلَّف الحِلمَ.

(٣) بفَتح النون الثانية جمع "الأَدْنَى".

(٤) أي حتى تَتَحَلَّم.

ويُقال: أَدْنَتِ النّاقةُ إذا دَنا نِتاجُها فهي مُدْنِيةٌ، واختُلِف هل يقال ذلك للفَرَسِ أيضًا ولغيرِهما مُطلَقًا. ويُقال: أدْنَتِ المرأةُ ثَوبها عليها إذا أرْخَتْهُ وتَسَتَّرتْ به. وقال الفرّاء: إذا أدْنَتِ المرأة نقابها إلى عَينيها فتلك الوَصْوَصة، فإنْ أَنْزَلَتْهُ دُونَ ذلك إلى الْمَحْجَر[1] فهو النِّقاب، فإن كان على طَرَف الأنف فهو اللِّثام، فإن كان على الفَم فهو اللِّفام، وقيل العكس.

التَّدَلِّي:

واعلَم أنّ التَّدَلِّيَ مَصدَرُ تَدَلَّى يَتَدَلَّى مِن مكانٍ كذَا أي دَنَا منه إلى غَيره أو نَزَل مِن عُلوٍ إلى سُفلٍ، فهو مُتَدَلٍّ والمفعول مُتَدَلًّى علَيه، وقد يكون حِسِّيًّا ومعنوِيًّا كما جَرَى عليه الصّوفيّة فيما سنُبيّنه.

يُقال: تَدَلَّى فُلانٌ مِن أرضِ كَذَا وتَدَلَّى علينا مِنها أي أَتانا، ويُقال: مِن أينَ تَدَلَّيتَ عَلَينا بمعنَى أتَيتَنا، قاله ابن مَنظُور، وكذا تَدَلَّى فُلانٌ علَينا أي أَشْرَفَ.

وتَدَلَّى مِنَ الشَّجَرِ أي تَعَلَّقَ، قاله في «تاج العَرُوس»، والتَّدَلِّي ما تَعَلَّق مِن عُلو إلى سُفل، قاله الحُمَيديّ في «تَفسِير الغَرِيب».

---

(١) ما دارَ بالعَين مِن العَظْم في أسفلِ الجَفْن، وقيل: هو ما دار بها وبدَا مِن البُرقُع مِن جميع العين، وقيل: هو ما يَظهَر مِن نقاب المرأة وعِمامة الرَّجُل إذا اعْتَمَّ. المخَصَّص لابن سِيدَه (٩٣/١).

ويُقال: تَدَلَّى السَّحابُ الهَيدَبُ أي دَنا مِثلَ هُدْبِ[1] القَطِيفة[2]، قاله ابن مَنظُور.

والتَّدَلِّي - في اصطِلاح الصُّوفِيّة - نُزولُ المقَرَّبين بوُجود الصَّحْو الْمُفِيق بَعد ارتِقائهم إلى مُنتَهَى مَناهِجهم، قاله الشَّرِيفُ الجُرجانِي في «التعريفات».

ويُقال: تَدَلَّتْ به النّاقة، ومِنه قول عُمر بن الخَطّاب[3] رضي الله عنه [البَسِيط]:

كَـأَنَّ رَاكِبَهَـا غُصْـنٌ بِمَرْوَحَـةٍ[4] إِذَا تَـدَلَّتْ[5] بِـهِ أَوْ شَـارِبٌ ثَمِـلُ

---

(١) هُدْبُ الثَّوبِ وهُدْبَتُهُ وهُدَّابُهُ طَرَفُ الثَّوْب مِمَّا يَلِي طُرَّتَه. النِّهايةُ في غَرِيب الأثَر لابن الأثِير (٥/٢٤٩).

(٢) ثوبٌ ذُو خملٍ تُفْتَرَشُ. انظر: **تَهذِيب اللُّغة**، الأزهَرِيّ، (٩/٢٦).

(٣) قال الجَوَالِيقيّ: "وهذا البَيتُ تَمَثَّلَ بِه عُمَر بنُ الخَطَّاب رضي الله عنه، وذلك أنه كان في بَعضِ أسفارِه على ناقَةٍ صَعْبةٍ قد أتْعَبَتْهُ، إذ جاءَهُ رَجُلٌ بناقَةٍ قد رُيِّضَت وذُلِّلَت فرَكِبَها فمَشَتْ بِه مَشْيًا حَسَنًا فأَنْشَد هذا البَيتَ" ا.هـ. شَرح أدَبِ الكاتِب لابن الجَوَالِيقيّ (ص/١٩٦).

(٤) الْمَرْوَحَةُ بالْفَتحِ الموضِعُ الَّذِي تَخْتَرِقُه الرِّيحُ، وَهُوَ المرادُ فِي البَيْتِ، وَبِالْكَسْرِ الآلَةُ الَّتِي يُتَرَوَّح بِهَا. «**النِّهايةُ في غَرِيب الأثَر**»، ابن الأثِير، (٢/٢٧٣).

(٥) يَجُوزُ أنْ يكونَ تَفَعَّلَتْ من الدَّلْوِ الَّذِي هو السَّوْقُ الرَّفِيقُ. «**المحكَم والمحيط الأعظم**»، ابن سِيدَه، (٩/٤٢٩).

فقولُ عُمَر رضي الله عنه: "إِذَا تَدَلَّتْ" أي إذا هَبَطت به النّاقة مِن نَشازٍ[1] إلى مكان مُنخَفِض مِن الأرض، قاله الجَواليقي.

ويقال: تَدَلَّيتُ علَى نَحوِ ناقةٍ وفِيها، قاله في «لسان العرب»، واستَشهَد لذلك بقول لَبِيدٍ يَصِفُ فَرَسًا [الرَّمَل]:

فَتَـــدَلَّيْتُ عَلَيْـــهِ[2] قَـــافِلًا[3] وَعَلَى الأَرْضِ غَيَـايَـاتُ الـطَّـفَـلْ[4]

وقال المناويُّ في «التعريفات»: "التَّدَلِّي الدُّنُوّ والاسترسالُ، وقِيل في الأصلِ للامتِدادِ إلى جِهةِ السُّفْل، ثُمّ استُعمِلَ في القُرب مِن العُلو" اهـ.

وقال أبو البَقاء الكَفَوِيُّ في «الكُلِّيّات»: "والتَّدَلِّي هو الامتِداد مِن عُلوٍ إلى سُفلٍ، هذا أصلُه، ثُمَّ استُعمِلَ في القُرب مِن العُيوب، ويكون حِسًّا أو مَعنًى كالدُّنُوّ، فالقُرْب الْمُسْتَفادُ مِنَ التَّدَلِّي أخَصُّ مِن القُرب المستَفادِ مِنَ الدُّنُوّ، والتَّدَلِّي

---

(١) أي مَكانٍ مُرتَفِع.

(٢) في بعض الرِّوايات: "عَلَيهَا"، وقال الصّغانِيّ: "والرِّواية: "فتدلَّيْتُ عليه" أي على الفرس المذكور في أبيات قبله" اهـ «**التكمِلَة والذَّيل والصِّلَة**»، الرَّضِيّ الصَّغانِيّ، (٤١٥/٦).

(٣) وفي روايةٍ: "عَلَيْهِم داخِلًا" اهـ «**غَرِيب الحَدِيث**»، إبراهيم الحَربِي (٢٢٤/١).

(٤) يعنِي الظِّلَّ عِندَ الْمَساءِ، قاله أبو عُبيد. **غَرِيب الحَدِيث**، أبو عُبَيد (٢٩١/٥).
وأَرَادَ لَبِيدٌ في هذا البَيت أنَّه تَدَلَّى مِن مِرْبائه وهُو عَلى فَرسِه رَاكِبٌ إِلَى الحضِيض وَهُوَ لَهَا أَمْتَن. «**لِسان العَرَب**»، ابن مَنظُور (٢٨٦/١٤).

تَكَلُّف القُرب وتَطَلُّبُه، فيَكُونُ قِبَل القُرب أو بِمعنَى التَّعَلُّق في الهَواءِ بَعدَ الدُّنُوّ أو بِمعنَى التَّدُلُّل أي التَّلَطُّف" اهـ.

ويُقال: أَدْلَى الإنسانُ بِشَيءٍ في مَهْواةٍ وتَدَلَّى هو نَفسُه أي أرسَلَ ذلك فِيها، ومِن ذلك قولُ الْمُهلهَل بنِ رَبِيعةَ [السَّرِيع]:

مَنْ شَـــاْ يُـدَلِّي[1] النَّفْسَ فِي هُوَّةٍ ضَـنْكٍ وَلَـكِنْ مَنْ لَهُ بالْمَضِـيقِ[2]

ومِن الْمَجاز دَلَوْتُ النّاقةَ أَدْلُوها دَلْوًا أي سَيَّرْتُها بِرِفْقٍ، ومِنه قول الشاعر [الرَّجَز]:

لَا تَعْجَـلَا بِالسَّـيْرِ وَادْلُوَاهَـا لَبِئْسَـمَا بُـطْءٌ وَلَا نَرْعَاهَـا

وكذلك يأتي تَدَلَّى بمعنَى تَدَلَّلَ، قاله في «القاموس».

---

(١) في بعض الرِّوايات: "شَاءَ دَلَّى".

(٢) أَي بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَضِيق. «**لِسان العَرَب**»، ابن مَنظُور، (٢٠٩/١٠).

القَاب والقَوس في لغة العرب

فأمَّا القابُ في لغة العرب لها معان فمن معاني القاب الْمِقْدَار وَمن الْقوس مَا بَين المقبض وطرف الْقوس وهما قابان يُقَال بَينهمَا قاب قَوس كِنَايَة عَن الْقرب كما في قوله تعالى[1]: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ۝٩﴾ [سورة النجم] قاب قوسين فعن الحسن: طُول قوسين، وقال مُقاتل لكل قَوْسٍ قابان، وهما ما بين المقبض والسية، وَقَالَ الْفراء: أَي: قدر قوسين عربيَّتين، وَنَحْو ذَلِك قَالَ الزّجاج ومن تصاريف القاب القائبة وهي الْبَيْضَة، والقوب وهو الفرخ.

قَالَ الْكُمَيْت:

لهــنَّ وللمشــيب ومَــن عَــلاهُ ... مـــن الْأَمْثَـــال قائبـــة وقـــوب

شبه مزايلة النساءِ من الشُّيُوخ بِخُرُوج القوب، وَهُوَ الفَرْخُ، من القائبة، وَهِي البَيضة. فَيَقُول: لَا يرجعن إِلَى الشَّيْخ كَمَا لَا يرجع الفرخ إِلَى الْبَيْضَة، وَنهى عمر عَن التَّمَتُّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَج وَقَالَ: «إِنَّكُم إِن اعتمرتم فِي شَهر الْحَج رأيتموها جازيةً مِن حجِّكم وعمرتكم، فقَرعَ موضع الْحَج سَائِر السنَة، وَكَانَت قائبة قَوبٍ».

---

(١) **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (٢٦٣/٩).

ضَرَب عمر هَذَا مثلًا[1] لخلاء مكّة من المعتمرين سَائِر السّنة، أَرَادَ أَن تكون مكةُ معمورةً بالمعتمرين فِي غير شهور الْحَج، وَيُقَال: قُبتُ البيضَة أقُوبُها قَوْبًا فانقابت انقيابًا، وَقيل للبيضة قائبة، وَهِي مَقُوبة لأنّهم أَرَادوا أَنَّهَا ذاتُ قُوب، أَي ذاتُ فَرْخ، وَيُقَال لَهَا قاوبة إِذا خَرج مِنْهَا الفَرْخ، والفَرْخ الْخَارِج مِنْهَا يُقَال لَهُ قُوبٌ وقُوبيٌّ.وَقَالَ الْكُمَيْت: وأفرَخَ مِن بَيض الأنُوقِ مَقُوبُها، وَيُقَال: انقابَ الْمَكَان وتقوَّب: إِذا جُرِّد فِيهِ مواضعُ من الشّجر والكلأ، وَقَالَ الفرّاء: هِيَ القِبة للفَحِث، وَفِي نَوَادِر الْأَعْرَاب: قِبَّة السَّاق:عَضَلتها. وتقوّبت الْبَيْضَة: إِذا انفلقت عَن فرخها، ويُقَال: انْقَضتْ قائبة من قُوبها، وانقضى قوبيٌّ من قائبة. مَعْنَاهُ: أنّ الفرخ إِذا فَارق بيضتَه لم يَعُد إِلَيْهَا.

وَقَالَ الْكُمَيْت[2]:

فقائبــةٌ مَــا نَحــن يَوْمًــا وَأَنْــتُم بني مَالك إِن لم تفيئوا وقوبها

يعاتبهم على تحوُّلهم بنسبهم إِلَى الْيمن. يَقُول: إِن لم ترجعوا إِلَى نسبكم لم تعودوا إِلَيْهِ أبدا فَكَانَت بليّة مَا بَيْننَا وَبَيْنكُم، وَقَالَ شمر: قِيبت البيضةُ، فَهِيَ مقوبةٌ: إِذا خرجَ فرخها، وَيُقَال: قابة وقوب، بِمَعْنى قائبة وقوب وقال ابْن هانىء: القوب: قِشر الْبيض. وَقَالَ الْكُمَيْت يصف بيض النعام[3]:

---

(١) **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى، (٦٩٤/١).

(٢) **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (٢٦٤/٩).

(٣) **المصدر نفسه**.

إِلَى تــوائم أصــغى مــن أجنّتهــا وســاوسَ عَـنْـهَـا قـابـت الـقُـوَبُ

يَقُول: لما تحرَّك الولدُ فِي الْبيض تسمَّعَ إِلَى وسواس. جعل تِلْكَ وَسْوَسَة. قَالَ: وقابت: تفلَّقَت. والقوب: الْبَيْضَة، وقأب: أَبُو عبيد عَن الْفراء: قَئِب وصئِب وذَبحَ: إِذا أَكثر من شرب المَاء، وَقَالَ أَبُو زيد: قَئبْتُ مِن الشَّرَاب أقَأَب قأبًا: إِذا شرِبتَ مِنْهُ، وَقَالَ اللَّيْث[1]: قئبت من الشَّرَاب أقأبُ، وقأبْتُ لُغَة: إِذا امتلأتَ مِنْهُ.

وقال أَبُو عبيد عَن الأمويّ: قأبتُ الطَّعَام: أَكلته وَكَذَلِكَ دأثْتُه، وَقَالَ غَيره: يُقَال: إِنَاء قَوأبٌ وقوأبيٌّ كثير الأخْذ للْمَاء. وَأنْشد: مدٌّ من المِداد قوأَبِيٌّ، وَقَالَ شمر: القوأبيّ: الْكثير الْأَخْذ.

والقوباء[2] دَاء فِي الْجَسَد يتقشر مِنْهُ الْجلد وينجرد مِنْهُ الشّعْر ومن قال قوباء بالتحريك قال في تصغيره قويباء، ومن سكن قال قويبي. وتقول: بينهما قاب قوسٍ وقيبُ قوس، وقادُ قوس وقيدُ قوس، أي قدر قوس ومنه يقولون: "بدت نذر الحرب، وأصبح العدو منهم قاب قوسين أو أدنى، ولابن نباتة:

وَأَغْيَـدَ جـارَتْ فِي القُلُـوبِ لِحَاظُـهُ وَأَسْـهَرَتِ الأَجْفَانَ أَجْفَانُهُ الوسـنى

---

(١) **المصدر نفسه.**

(٢) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٧٦٥/٢).

أَجِــلْ نَظَــرًا في حَاجِبَيْــهِ وَطَرْفِــهِ تَرَ السِّحْرُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَينِ أَوْ أَدْنَى

وقال بعضهم[1] في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [سورة النجم]: أراد قابا قوس فقلبه. وقولهم: فلان ملئ قُوَبَةٌ، مثال هُمَزَةٍ، أي ثابتُ الدارِ مقيم. ويقال ذلك للذي لا يبرح من المنزل.

أما القَوَسَ فالْقافُ والْواوُ والسينُ أَصْلٌ واحِدٌ[2] يدُل على تقْدِيرِ شيءٍ بشيء، ثُم يُصْرفُ فتُقْلبُ واوُهُ ياءً، والمْعْنى فِي جمِيعِهِ واحِدٌ. فالْقوْسُ الذراعُ، وسُميتْ بذلِك لِأنهُ يُقدرُ بِها الْمذْرُوعُ وبِها سُميتِ الْقوْسُ التِي يُرْمى عنْها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [سورة النجم]. قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَرَادَ ذِرَاعَيْنِ وإنما ذكر القوسين لأن القرءان نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، والقوس: آلة معروفة عند العرب، يشد بها وتر من جلد، وتستعمل في الرمي بالسهام، وكان من عادة العرب في الجاهلية، أنهم إذا تحالفوا، يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقًا للآخر، حتى لكأنهما قاب واحد، ثم ينزعونهما معًا ويرمون بهما سهمًا واحدًا، فيكون ذلك دليلًا على التحالف التام والرضا الكامل، والقَوْسُ عَجَميّةٌ وعَربيَّةٌ، مؤنّثة، وقَدْ تُذَكَّرُ، فمَنْ أَنَّثَ قَالَ فِي تَصْغيرها قُوَيْسَةٌ، ومَن

---

(١) **كتاب الصحاح**، أبو نصر إسماعيل الجوهري ، (٢٠٧/١).

(٢) **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، (٤٠/٥).

ذَكَّرَ قالَ قُوَيْسٌ، كَذَا فِي الصّحَاح، وَالْأَقْوَسُ: الْمُنْحَنِي الظَّهْرِ. وَقَدْ قَوَّسَ الشَّيْخُ، أَي انْحَنَى كَأَنَّهُ قَوْسٌ.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ[1]:

أَرَاهُنَّ لَا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ مِنْهُ وَقَوَّسَا

وَتُقْلَبُ الْوَاوُ لِبَعْضِ الْعِلَلِ يَاءً فَيُقَالُ: بَيْنِي وَبَيْنَهُ قِيسُ رُمْحٍ، أَيْ قَدْرُهُ. وَمِنْهُ الْقِيَاسُ، وَهُوَ تَقْدِيرُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَالْمِقْدَارُ مِقْيَاسٌ. تَقُولُ: قَايَسْتُ الْأَمْرَيْنِ مُقَايَسَةً وَقِيَاسًا وقَالَ:

يَخْزَى الْوَشِيظُ إِذَا قَالَ الصَّرِيحُ لَهُمْ عُدُّوا الْحَصَى ثُمَّ قِيسُوا بِالْمَقَايِيسِ

وَجَمْعُ الْقَوْسِ قِسِيٌّ[2]، وَأَقْوَاسٌ، وَقِيَاسٌ، وَتَقُولُ: بَيْنَهُمَا قَابُ قَوْسٍ أَيْ قَدْرُ قَوْسٍ وقد تُذَكَّرُ، تَصْغيرُها قُوَيْسَةٌ وقُوَيْسٌ، ويقال قِسِيٌّ وقُسِيٌّ وأقْواسٌ وقِياسٌ، والذِّراعُ، لأنه يُقاسُ به المَذْروعُ، ومعنى قاسَهُمْ: سَبَقَهُمْ، وبالضم: صَوْمَعَةُ الراهبِ، وبيتُ الصائدِ، وزَجْرُ الكلبِ، ووادٍ، وبالتحريك الانحِناءُ في الظَّهْرِ، قَوِسَ، كفرِحَ، فهو أقْوَسُ، والقُوَيْسُ، كزُبيرٍ: فرسُ سَلَمَةَ بنِ الحَوْشَبِ، وذو القَوْسَيْنِ سيفُ حَسَّانَ بنِ حِصْنٍ، وذو القَوْسِ: حاجِبُ بنُ زُرارَةَ، وذُو القَوْسِ: سِنانُ بنُ عامِرٍ، لأنه رَهَنَ قَوْسَهُ على ألفِ بعيرٍ في الحَارِثِ

---

(١) **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، (٤٠/٥).

(٢) **تاج العروس**، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (٥٦٨/١).

بنِ ظالِمٍ عندَ النُّعْمانِ الأكبَرِ، والأقْوَسُ: المُشْرِفُ من الرَّمْلِ، والصَّعْبُ من الأزْمِنَة، قَوِسٍ ككتِفٍ، والمِقْوَسُ، كمنْبَرٍ: وِعاءُ القَوْسِ، والمَيْدانُ، والموضِعُ الذي تَجْري منه الخَيْلُ، وحَبْلٌ تُصَفُّ عليه الخيلُ عندَ السِّباقِ، وقَاسانُ: بلد بِما وَراءَ النَّهْرِ، وناحِيَةٌ بأَصْفَهانَ، غيرُ قاشانَ المَذكورِ مع قُمَّ، وقَوَّسَ تَقْويسًا انْحَنَى،كتَقَوَّسَ، ويَقْتاسُ، أي: يَقيسُ وفلانٌ بأَبيه يَسْلُكُ سَبيلَه ويَقْتَدِي به، والمُتَقَوّسُ: من معه قَوْسٌ، والحاجِبُ المُشَبَّهُ بالقَوْسِ كالمُسْتَقْوِسِ، والمُقاوِسُ: الذي يُرْسِلُ الخيلَ، وقَوْسَى، كسَكْرَى، وقَوْسانُ ناحيةٌ من أعْمالِ واسِطَ، ومنها الحسنُ بنُ صالِحٍ، وفي المَثَلِ: "هو من خَير قُوَيْسٍ سَهْمًا"، "أو صار خَيْرَ قُوَيْسٍ سَهْمًا"، يُضْرَبُ للذي يُخالِفُكَ، ثم يرجِعُ عن ذلك، ويَعودُ إلى ما تُحِبُّ.

اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعةِ في معنَى الآية الكريمة

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾

اعلم أنّ الأصل الأصيل هو الإيمان بالله مع تنزيهه عن مشابهة شيء من الخلق، فالله تبارك وتعالى لا يشبه الخلقَ بوجهٍ من الوجوه ليس جسمًا ولا متحيّزًا في مكان لا يجوز عليه المكان بالمرّة، لأن الذي له مكان صار له أمثال فالله تبارك وتعالى لا مثل له لا مثلٌ واحدٌ ولا أمثال كثيرة فلو كان الله تبارك وتعالى جسمًا لكان له أمثالٌ كثيرة ولو كان متحيّزًا في مكان كالعرش لكان له أمثال كثيرة لأن كلّ شيء من البشر والجمادات وسائر ذوي الأرواح له مكان فلو كان الله تعالى له مكان لكان له أمثال كثيرة وكذلك الله تبارك وتعالى منزّه عن الحركة والسكون لأنه لو كان ذا حركة وسكون لكان مثلنا.

وكذلك لا يوصف الله تعالى بأنه في جميع الأماكن فالله تبارك وتعالى موجود بلا مكان أي كان قبل وجود المكان أي كان موجودًا قبل وجود المكان فمن هنا يجب أن يفهم معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] هذه الآية معناها أن جبريل عليه السلام دنا إلى سيدنا محمد فتدلى إليه هذا في الأرض كان الرسول ﷺ بمكة بمكان يقال له أجياد فقال له جبريل اطلب من ربك أن تراني في صورتي الأصلية فطلب فظهر له من المشرق فسدّ ما بين المشرق والمغرب فصعق رسول الله ﷺ أي غشي عليه ثم أخذه جبريل وقد تحول إلى

الصورة البشرية فضمّه إليه ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل ما ظننت أن الله تعالى خلق أحدًا على مثل هذه الصورة فقال: إن الله تعالى خلقني على ستمائة جناح وما نشرت منها إلا جناحين وإن الله خلق إسرافيل على ستمائة جناح الجناح منها مثل كل أجنحتي**».

وورد في الحديث الصحيح أن جبريل عليه السلام خلق على ستمائة جناح يتناثر منها تهاويل الدُّرّ والياقوت[1] فكان رسول الله ﷺ ما كان يراه قبل هذه المرة إلا بصورة إنسان أو يسمع صوته من غير أن يرى له صورة ثم رءاه ﷺ ليلة المعراج أيضًا على تلك الصورة عند سدرة المنتهى التي تعلو إلى السماء السابعة فلم يحصل لرسول الله ﷺ في تلك المرة ما حصل له في المرة الأولى في الأرض من الغشي، ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] أن جبريل اقترب من محمد بمقدار ذراعين بل أقرب هذا معنى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ليس ما يفتريه بعض الناس أن الله تعالى دنا بذاته من محمد فكان بين محمد وبين الله كما بين الحاجب والحاجب ولا بقدر ذراعين لإن إثبات المسافة لله تعالى لا يجوز لأن المسافة للمخلوق أما الخالق موجود بلا كيف ولا مكان لا يكون بينه وبين خلقه مسافة، فالعرش الذي هو أعلى المخلوقات والفرش الذي هو منتهى المخلوقات في الجهة السفلى على حدٍّ سواء بالنسبة إلى ذات الله فلا يجوز اعتقاد القرب المكاني الذي هو قرب بالمسافة في حق الله تعالى وإنما يمتاز

---

(١) **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى الموصلي، (٢٤٣/٩).

العرش وما يليه من السماوات بكونه مسكن الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وبفضائل أخرى، أما بالنسبة إلى ذات الله فليس العرش قريبًا من الله بالمسافة قربًا يجعله بعيدًا من الفرش أي أسفل العالم فمن قال ذلك القول المكذوب: إن الله اقترب من الرسول كقرب الحاجب من الحاجب فهو ملعون مفتر خارج من الإسلام وهو لا يدري فيجب نفي ذلك الكذب وتبيين أنه كذب فيكون لمن بيّن كذب ذلك ثواب عند الله لأنه نفى كذبًا عن الله ورسوله ويقال لذلك الشخص ارِجع عن اعتقادك إلى الاعتقاد الصحيح وهو أنّ الله موجود بلا مكان وأنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] هو دنو جبريل من محمد أما من فسر هذا الدنو بدنو الله من محمد لكن بلا مسافة بل قال دنو معنوي فليس عليه ضرر، وهذا التفسير الثاني يروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه لكن لم يثبت عنه إنما يروى عنه رواية ولم يثبت عنه هذا التفسير الثاني ثم دنا أي الله من محمد فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وكذلك روي عن بعض العلماء لكنهم لم يقصدوا الدنو المكاني والحسي والحركة والانتقال، ما قصدوا دنو الحركة والانتقال إنما قصدوا الدنو المعنوي، فالذي يقصد الدنو الحسي الدنو المكاني فهو ضال من الضالين كاذب على الله ورسوله لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُوْصَفُ بِالقُرْبِ الْمَسَافِيِّ وَلَا بِالبُعْدِ الْمَسَافِيِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ.

ومعنى ما ذكر في الحديث أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح يتساقط منها تهاويل الدر والياقوت، التهاويل هو شئ يهول المنظر أي يبهر الأنظار

كالدر والياقوت يسقط من أجنحته شيء يبهر الأنظار كالدر والياقوت، فجبريل عليه السلام رئيس الملائكة ليس كالبشر أصل خلقته الصورة التي لها ستمائة جناح كل جناح يسد ما بين المشرق والمغرب أرضنا هذه ما بين المشرق والمغرب لا يسعها، تلك المرة التي ظهر للرسول بها نشر جناحين من الستمائة فملأ ما بين المشرق والمغرب فمن هول ذلك المنظر سقط رسول الله مَغشيًّا عليه لأنه ما سبق له أن رأى مخلوقا مثل هذا، واعلم أنَّ الملائكة أصل خلقتهم ليست كخلقة البشر بل خلقة خاصة كل ملك له جناحان أو أربعة أو ستة أو غير ذلك من العدد جبريل له ستمائة وهناك ملك بل ملائكة أعظم خلقة من جبريل إنما جبريل هو أفضلهم درجة عند الله أما من حيث عظم الخلقة فهناك ملائكة يحملون العرش هم أربعة في الدنيا من عظم خلقته تكون مسافة ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وهذا أعظم من جبريل من حيث الخلقة لكنه من حيث الدرجة جبريل هو مقدمهم هو رسول الله إلى الملائكة كما أنه سفير بين الله وبين الأنبياء من البشر والملائكة خلق من خلق الله أصلهم نور خلقهم الله ذوي أجنحة كل منهم ذو جناح هذا له جناحان وهذا له أربعة وهذا له أكثر من ذلك على ستمائة.

وقد يزيد الله بعضهم على ذلك ثم من حيث طول الخلقة بعضهم أطول من بعض هذا الذي هو من حملة العرش طول خلقته أنه ما بين شحمة الأذن على الكتف مسيرة سبعمائة عام ثم إن جبريل وصفه الله تعالى في سورة

النجم بأنه ذو مِرّة أي ذو قوة جسيمة عظيمة فمن تلك القوة أنه قلب أربع مدن قوم لوط الأربعة قلبها حملها بريشة من جناحه فرفعها إلى قرب السماء الأولى حتى سمع ملائكة السماء الأولى نباح كلابهم وصياح ديكتهم، المدن الأربعة قلعها ورفعها كما هي بريشة واحدة ثم ردها إلى الأرض وجعل عاليها سافلها ما ردها كما كانت لا بل ردها مقلوبة.

ومن قوته أنه أهلك قوم ثمود بصيحة واحدة بصيحة صاحها عليهم فهلكوا ماتوا كلهم الله تعالى أمره أن يهلكهم فصاح عليهم فبصيحته صاروا أمواتًا جثثًا بلا أرواح، ومن قوته أنه ينزل من مقامه الذي يتلقى فيه الوحي فوق سبع سموات فينزل إلى الأرض في لحظة قصيرة.

وأما الحديثُ الذي رواه البخاري في صحيحه: «**وَدَنَا الجبارُ ربُّ العزة فتدلّى حتى كانَ منه قاب قوسين أو أدنى**» فهذه الروايةُ طعنَ فيها بعض الحفاظ كعبد الحق وغيرِه، وقال بعضهم: ليس دنوًّا حسيًّا وإنما هو مزيد إكرامٍ وتقريبٍ في الدرجات، وأما حملُهُ على الظاهرِ فكل أهل السنة يردُّونه بل يجعلونَ ذلك تشبيهًا لله بخلقه كما ذكرَ ذلك الحافظُ ابن حجر العسقلانيُّ في شرح البخاري.

أما ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أنكم دَلَّيتُم رجُلا بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله**» رواه الترمذي، فهو حديث ضعيف، والحديث الضعيف لا يُحتَج به في العقائد والأحكام ولا حاجة لتأويله، ولكن تأوَّله بعض علماء الحديث على أن علم الله شامل لجميع الأقطار وأنه منزه عن

المكان، فالشاهد هو في استدلال العلماء به على نفي المكان عن الله.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، فالتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلول في الأماكن، فالله سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن» اهـ. نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة»[1]، وذكره أيضًا الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن طولون الحنفي[2] وأقرَّه عليه.

ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متَّى**» واللفظ للبخاري. قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ما نصه: «ذَكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنَيِّر الإسكندري المالكي في كتابه «المنتقى في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نفيها قال: «ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس[3] البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان

---

(١) **المقاصد الحسنة**، محمد السخاوي ٤٢)، (ص/٣.

(٢) **الشذرة في الأحاديث المشتهرة**، ابن طولون، (٢/٧٢).

(٣) أي قَعر.

الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل ولَمَا نهى عن ذلك. ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لا بالمكان، هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل» اهـ.

وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية المبتدع تلميذ الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيدًا لعقيدة متأخري الفلاسفة إن الله لم يخلق نوع العالم، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين كما ذكر العلامة الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع».

وقال المفسّر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرءان» ما نصه[1]: «قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بنُ مَتَّى**» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ.

ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء» اهـ. أي أن النبي جعل باطن كفَّيْه إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيِّزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السُّفل.وقد قال الحافظ العراقي في الأمالي: «أجمع السلف والخلف على كفر من أثبت الجهة لله» اهـ. فتبين فساد قول من يقول «إن الله دنا بذاته من محمد لما كان ليلة المعراج في

---

(١) **الجامع لأحكام القرءان**، أبو عبد الله محمد القرطبي، (١١/٣٣٣-٣٣٤)، و(١٥/١٢٤).

السماء، أو دنا منه بالحس والمسافة أو بالمكان أو صار بينهما كالحاجب من الحاجب أو كالذراعين، أو أنه وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله، أو أُزيحت الستارة فدخل ورآه»، وكل ذلك تكذيب لله عز وجل لأنه نزه نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى] ومن شبه الله بشيء من خلقه فقد شتمه وكذّبه، ومن كذّب الله فقد كفر بإجماع الأمة الإسلامية.

قال الشاعر:

عَائِشَـــةُ قَـدْ جَـاءهـا صَـــحَـابي ... يَسْأَلُ عَمّا جَاءَ في الكِتابِ

قَـالَ لهـا: مَـنْ ذا الذي قَـدِ اقْـتَرَبْ ... في لَيْلَةِ المعْراجِ مِنْ خَيرِ العَرَبْ

قَـالَـتْ بِـأنَّ مَـنْ دَنـا جِـبريـلُ ... أمّـا دُنُـوُّ اللهِ مُسْـــتَـحِـيـلُ

واللهُ قَـدْ جَـلَّ عَـنِ المسَـــافـهْ ... والشّـــكْلِ والهَيئَـــةِ والكَثَافـــهْ

تَـقَـرُّبُ الـعَـبْـدِ إلى الـرَّحمـنِ ... لـيـسَ تَـقـرّبًـا إلى مَـكَانِ

وإنْ تَـقَـرّبـنـا فَـبِـالـطّـاعَاتِ ... ولـيْـسَ بِـالحَـيزِ والجِـهـاتِ

والقُرْبُ في الإسْـــلامِ قُرْبُ مَعْنَويْ ... مَنْ قَالَ حِسّيٌّ فَليسَ بِالسّوِيْ

بَـلْ كَافِـرٌ قَـدْ فَـعَـلَ المـحْـظُـورا وَكَـذّبَـتْـهُ ءايـةٌ في الشُّـــورى

لَـــيسَ كَمِثْـــلِ اللهِ شيءٌ فـــاعْلَمِ قُلْ لَيْسَ مَـنْ خَالفَهـا بِمُسْـلِمِ

الدليل العقلي على تنزيه الله عن المكان والجهة

اعلم أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع إذ أن الشرع لا يأتي إلا بمجوَّزات العقل كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي[1]: «الشرع إنما يَرِدُ بمجوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

فسنبين في هذا الفصل أن الله منزه عن الجهة والمكان بالأدلة العقلية والبراهين القطعية لدحض مزاعم الوهابية وغيرهم من الفرق المنحرفة عن أهل السنة والجماعة، وإليك بيان ذلك من أقوال العلماء:

قال أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني الإشبيلي نزيل تونس في «شرح مرشدة محمد تومرت» ما نصه[2]: «قال عليه السلام: «**كان الله ولا شيء معه**»،

---

(١) **الفقيه والمتفقه**، أبو منصور البغدادي، (ص/٩٤).

(٢) **شرح مرشدة محمد تومرت**، محمد السكوني، (ص/١٧).

ثم خلق الخلق فكان في أزليته ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا ماء ثم خلق المخلوقات»، ولو كان وجوده قبل المخلوقات بنهاية لزم حدوثه وافتقاره إلى المحدث وأدى إلى التسلسل فهو محال ولو كان وجوده قبل المخلوقات من غير نهاية وهو قدمه تعالى فكان ولا مكان، ولا زمان، فهو سبحانه على ما عليه كان قبل أن يخلق شيئًا إذ التغير على القديم محال. قوله: ليس له قبل ولا بعد، هذه الحدود العشرة من الجهات الست والقبل والبعد والكل والبعض كل ذلك حدود تلزم من تقيد بها التخصيص والحدوث لأن من له آخر له أول، ومن له كل له بعض، ومن له بعد له قبل، صح أن يكون له بعد، وأما الكلام في الجهات فهو أن الجهات إنما هي نسب تابعة لهذا الشكل المسدس فما تصورت الجهات إلا بواسطة خلق الإنسان على هذه البنية والجهة ليست بذات موجودة بل إضافية، ولذا قال الإمام: وكان ولا مكان ليجمع التنزيه والتعظيم في الألفاظ القليلة. قوله: لا يقال متى كان، متى سؤال على حصره سبحانه بزمان والزمان مقارنة بين حادثين، وكان الله ولا حادث فكان ولا زمان، وكان ولا حادث فكان ولا مكان؛ لأن المكان إنما هو من أجرام المخلوقات، فهو سبحانه على ما عليه كان، فبعد أن خلق شيئًا احتاج إليه؟!! تعالى القديم عن ذلك علوًا كبيرًا، كوّن المكان ودبّر الزمان» اهـ.

مُعجزة المِعْراجُ

اعلم رحمك اللهُ أنّ المعراجَ ثابتٌ بنصّ الأحاديثِ الصحيحةِ، وأما القرءانُ فلم ينصَّ عليه نصًّا صريحًا، لكن وردَ فيه ما يكادُ يكونُ نصًّا صريحًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[سورة النجم]، فإن قيل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ يحتملُ أنْ يكونَ رؤيةً منامِيةً! قلنا: هذا تأويلٌ، ولا يَسُوغُ تأويلُ النصّ أي إخراجُهُ عن ظاهِرِهِ لِغيرِ دليلٍ عَقْليّ قاطعٍ أو سَمْعِيّ ثابتٍ كما قاله الرازيُّ في "المحصولِ"، وليسَ هنا دليلٌ على ذلكَ.

وقالَ رسولُ الله ﷺ في حديثِهِ عَنِ الإسراءِ والمعراجِ[1]: "**ثم عَرَجَ بنا إلى السماءِ فاسْتَفْتَحَ جبريلُ، فقيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قالَ: جبريلُ. قِيل :وَمَنْ معكَ؟ قالَ: محمدٌ. قيلَ: وقدْ بُعث إليهِ[2]؟ قالَ: قَدْ بُعِثَ إليهِ. فَفُتحَ لنا، فإذا أنا بآدمَ،**

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٩٩/١).

(٢) معنى "**وقد بُعث إليه**" هل طُلِبَ للعروج؟ وليس معناه أن الملائكة يسألون: هل نزل عليه الوحي أم لا؟ لأن الملائكة يعلمون أن محمّدًا ﷺ خاتم الأنبياء، وكانوا يعلمون أنه قد نزل عليه الوحي. ومعنى حديث: "**كُنتُ نَبيًّا وءادمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ**". **مصنف بن أبي شيبة**، ابن أبي شيبة، (٢٩٢/١٤). أي شُهِرْتُ بالوصف بالنبوة والرسالة قبل أن يركب روح ءادم في جسده، وليس معناه أن محمّدًا ﷺ

فرحّبَ بي ودَعَا لِي بخيرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إلى السماءِ الثانيةِ، فاسْتَفْتَحَ جبريلُ عليهِ السلامُ، فقيلَ: مَنْ أنْتَ؟ قَال: جبريلُ. قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَال: محمدٌ. قِيلَ: وقد بُعِثَ إليهِ؟ قالَ: قَدْ بُعِثَ إليهِ. فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بِابْنَيِ الخالةِ عيسى ابنِ مريمَ ويحيي بنِ زكرياءَ صلواتُ الله عليهما، فرَحّبا ودَعَوَا لي بِخَيرٍ. ثم عَرَجَ بي إلى السماءِ الثالثةِ، فاسْتفتَحَ جبريلُ، فقيلَ: مَنْ أنتَ؟ قال: جبريلُ، قيل :وَمَنْ مَعَكَ؟ قَال: محمدٌ ﷺ، قيلَ: وقَدْ بُعِثَ إليهِ؟ قالَ :قدْ بُعِثَ إليهِ. فَفُتِحَ لنا فإذا أنا بيوسُفَ ﷺ، إذْ هوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فرحّبَ ودعا لي بخيرٍ. ثم عَرَجَ بنا إلى السماءِ الرابعةِ فاسْتَفْتَحَ جبريلُ عليهِ السلامُ. قيلَ: مَنْ هذا؟ قال :جبريلُ: قيلَ: ومَنْ معكَ؟ قال: محمدٌ. قالَ: وقدَ بُعِثَ إليهِ؟ قال: قد بُعِثَ إليهِ. فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بإدريسَ، فرحَّبَ ودعا لي بخيرٍ. قالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة مريم]، ثم عَرَجَ بنا إلى السماءِ الخامسةِ فاستفتَحَ جبريلُ. قيلَ: مَنْ هذا؟ قالَ: جبريلُ. قيلَ :وَمَنْ معكَ؟ قالَ: محمدٌ. قيل: وقد بُعِثَ إليهِ؟ قال: قد بُعِثَ إليهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بهارونَ ﷺ فرحَّبَ ودعا لي بخيرٍ. ثم عَرَجَ بنا إلى السماءِ السادسةِ، فاستفتحَ جبريلُ عليه السلامُ، قيلَ: مَنْ هذا؟ قال :جبريلُ، قيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قَال: محمدٌ. قيل: وقَدْ بُعِثَ إليهِ؟ قال: قَدْ بُعِثَ إليه. فَفُتِحَ لنا فإذا أمامي موسى ﷺ فرحَّبَ ودعا لي بخيرٍ. ثم عَرَجَ بنا إلى السماءِ السابعةِ فاستفتحَ جبريلُ فقيلَ: مَنْ هذا؟ قالَ:

خلق قبل ءادم، فالرسول يقول: "نَحنُ الآخِرونَ السَّابِقُونَ". صحيح البخاريّ، البخاري، (٦٨/١). ومعناه نحن الآخرون وجودًا، السابقون دخولًا الجنة.

جبريلُ. قيل ومن معكَ؟ قال: محمدٌ ﷺ قيلَ: وقد بُعثَ إليهِ؟ قال: قَدْ بُعِثَ إليه. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظهره إلى البيتِ المعمورِ وإذا هُوَ يدخلُهُ كلّ يومٍ سبعونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يعودونَ إليهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى سدرةِ المنتهى وإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ، وَإذا ثَمَرُها كالقِلالِ[1]. قال: فلما غَشِيَها مِنْ أمرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فما أحدٌ من خلق اللهِ يستطيعُ أن يَنْعَتها من حُسنِها، فأوحى اللهُ إليّ ما أوحى، ففَرَضَ عليَّ خمسينَ صلاةً في كل يومٍ وليلةٍ، فنـزلْتُ إلى موسى ﷺ فقالَ: ما فرضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِك؟ قلتُ: خمسينَ صلاةً، قالَ: ارجِعْ إلى ربّك[2] فاسألهُ التخفيفَ، فإنِ أُمَّتَك لا يُطيقونَ ذلك، فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيلَ وخَبِرْتُهمْ. قال: فرجَعْتُ إلى ربي، فقلتُ: يا ربّ، خَفِّفْ على أمتي. فَحَطّ عني خَمْسًا فرجَعتُ إلى موسى، فقلتُ: حطّ عني خمسًا. قَالَ: إنّ أمتكَ لا يطيقونَ ذلكَ، فارجعْ إلى ربّك فاسألْهُ التخفيفَ، قال: فَلَمْ أزلْ أَرجِعُ بينَ ربي[3] تباركَ وتعالى وبينَ موسى عليهِ السلامُ، حتى قالَ: يا محمدُ، إنهنَّ خمسُ صلوات كُلّ يَوْمٍ وليلةٍ لِكُل صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً، ومن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتِبَتْ له حسنةً، فإن عَمِلَها كتبتْ له عشرًا،

---

(١) جمع قلة وهي الجرة العظيمة.

(٢) هذا ليس معناه أنه كان في مكان يسكنه الله، إنما معناه ارجع إلى المكان الذي تتلقى فيه الوحي من ربك، فالله موجود بلا مكان.

(٣) أي المكان الذي كنت أتلقى فيه الوحي من ربي.

ومن هَمَّ[1] **بسيئةٍ فلم يعملْها لم تُكْتَبْ شيئًا، فإنْ عَمِلَها كُتبتْ سيئةً واحدةً.** قال: **فنـزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرتُهُ، فقال: ارجعْ إلى ربّك فاسألْهُ التخفيفَ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: فقلت: قد رجَعتُ إلى ربي حتى اسْتَحْيَيْتُ منهُ**". وفي هذا الحديث دليل لأهل الحق أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية على أن النبيّ والوليّ له تصرف بعد وفاته وينفع بإذن الله، أليس موسى نفع أمة محمد ﷺ نفعًا عظيمًا بهذا الذي حصل ليلة المعراج، حين أشار على الرسول محمد ﷺ أن يَطْلب من ربه التخفيف في عدد الصلوات؟ وهذا ردٌّ على مشبّهة العصر النافين النفعَ عمن مات، بل ويعتبرون من توسل بالأنبياء والأولياء مشركًا والعياذ بالله.

المقصود مِنَ المعراجِ

المقصودُ من المعراجِ الذي حصل للنبيّ ﷺ هو تشريفُ الرسولِ بإطلاعِهِ على عجائِبِ العالمِ العلويّ، وتعظيمُ مَكانتِهِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم] وليس المقصود من المعراج كما يعتقد الكفار أن الله يسكن السماء وأن الرسول وصل إليه أو اجتمع به هناك بل المقصود من المعراج تأييد الرسول بالمعجزات الباهرات وتقوية وتثبيت قلبه أكثر

(١) الْهَمّ أمر دون العزم ودون الفعل.

فأكثر وإظهار شرفه فوق ظهوره العظيم وإطلاعه على الآيات أي العلامات العظيمة في السماوات كما أثبتت هذه الآية الشريفة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة النجم] وكما في قوله تعالى ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء].

فائدة جليلة

يجدر بنا أن نذكر بأنّ الله تعالى هو خالق السماوات السبع وخالق الأماكن كلّها، وأنّ الله كان موجودًا قبل خلق الأماكن بلا هذه الأماكن كلّها. فلا يجوز أن يُعتقد أنّ الله تعالى موجود في مكان، أو في كل الأمكنة، أو أنه موجود في السماء بذاته، أو متمكن على العرش، أو حالٌّ في الفضاء، أو أنه قريب منا أو بعيد عنا بالمسافة، ومن نسب المكان أو الجهة لله لا يكون مسلمًا، ويكون الدخول في الاسلام بالنطق بالشهادتين: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله مع اعتقاد الصواب، أنّ الله موجود بلا مكان ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته، فيجب الحذر من الكتاب المسمى: "كتاب المعراج" المنسوب كذبًا لابن عباس رضي الله عنه لما فيه من الأكاذيب والأباطيل.

من عجائبِ ما رأى الرسولُ ﷺ في المعراج

مالكٌ خازنُ النار: مِنْ جملةِ ما رءاه تلكَ الليلةَ مالكٌ خازنُ النارِ، ولم يضحكْ في وَجْهِ رسولِ اللهِ ﷺ. فَسألَ جبريلَ لماذا لم يَرَهُ ضاحكًا إليهِ كغيرِهِ. فقالَ[1]: "**إن مالِكًا لم يَضْحَكْ مُنْذُ خلقهُ اللهُ تعالى، ولو ضَحِكَ لأحدٍ لضَحِكَ إليكَ**".

البيتُ المعمور: رأى في السماء السابعةِ البيتَ المعمورَ، وهو بيتٌ مُشَرَّفٌ، وهو لأهْلِ السماءِ كالكعبةِ لأهلِ الأرضِ، كُلّ يَومٍ يدخلُهُ سبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ يصلون فيهِ ثمّ يخرجونَ ولا يَعُودُونَ أَبدًا. والملائكةُ أجسامٌ نورانيةٌ ذوو أجنحة، ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، لا يأكلونَ ولا يشربونَ، ولا يتناكحونَ، ولا يعصونَ اللهَ ما أمرَهُم ويفعلونَ ما يؤمرون، وعددُهم لا يحصيهِ إلا اللهُ.

سدرةُ المنتهى: هي شجرةٌ عظيمةٌ، بها من الحُسْنِ ما لا يَصِفُهُ أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، يَغْشَاها فَرَاشٌ[2] من ذَهَبٍ، وأصلُها في السماءِ السادسةِ، وتصلُ إلى السابعةِ وإلى ما فوقها، ورءاها الرسولُ ﷺ في السماءِ السابعةِ.

الجنة: هي فوقَ السماوات السبعِ منفصلة عنها، فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشرٍ مما أعدهُ اللهُ للمسلمينَ الأتقياءِ خاصةً،

---

(١) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطيّ، (١٥٠/٩).

(٢) الفراش: جمع فراشة، وهي التي تطير وتتهافت في السراج.

ولغَيرِهِمْ مِمَّنْ يدخلُ الجنةَ نعيمٌ يشتركون فيه معهم، فقدْ أخْبَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ عن حالِ أهلِ الجنةِ بعدَ دخولها فقال[1]: "**يُنادي مُنادٍ: إنّ لَكُمْ أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنّ لَكُمْ أن تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهرموا أبدًا، وإنّ لَكُمْ أَن تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبدًا. فذلكَ قولُه عزّ وجَلّ**: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾"[2] [سورة الأعراف].

ورأى رسولُ اللهِ ﷺ في الجنةِ الحورَ العينِ: فطلبَ منه سيّدُنا جبريلُ أن يسلّمَ عليهنَّ بالقول، فقلن له[3]: "**نحن الخيِّراتُ الحسانُ، أزواجُ قومٍ كرامٍ**".

ورأى فيها **الولدانَ المخلدينَ**: وهم خلقٌ من خَلْقِ اللهِ، ليسوا من البَشَرِ ولا منَ الملائكةِ ولا منَ الجنّ، اللهُ تعالى خَلَقهُم مِنْ غيرِ أمّ وأبٍ، كاللؤلؤِ

---

(١) **صحيح مسلم**، الإمام مسلم، (١٤٨/٨).

(٢) وفي قوله عزّ وجلّ ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾ دليل لأهل السنة والجماعة على قولهم الحق: إن الله لا يجب عليه شيء، وإنه متفضِّل على المؤمنين بإدخالهم الجنة من غير وجوب عليه، إذ الإرث يناله الوارث دون مقابل، فدخول المؤمنين الجنة بفضل الله، وذلك كما في قوله ﷺ: "**ولَوْ رحمَهُم كانَتْ رحمتُهُ خَيرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**". **سنن أبي داود**، أبو داود، (٣٦١/٤).

(٣) **المعجم الكبير**، الطبرانيّ، (٣٦٤/١١)، وتمام لفظه: "قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ أزواجَ أهلِ الجنةِ ليُغَنِّينَ أزواجَهُنَّ بأحسنِ أصواتٍ سمِعَهَا أحدٌ قَطُّ، إِنَّ ممَّا يُغَنِّينَ: نَحنُ الخَيِّرَاتُ الحِسَانُ، أَزْوَاجُ قومٍ كرامٍ، يَنظُرْنَ بقُرَّةِ أعيانٍ، وإِنَّ مَمَّا يُغَنِّينَ بهِ: نحنُ الخَالِدَاتُ فلا يَمُتْنَه، نَحنُ الآمِنَاتُ فَلا يَخَفْنَه، نحنُ الـمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّ**".

المنثورِ ليخدِمُوا أهلَ الجنةِ، والواحدُ من أهلِ الجنةِ أَقلُّ ما يكونُ عنده من هؤلاءِ الولدانِ عَشرَةُ ءالافٍ، بإحدى يديْ كلّ منهم صحيفةٌ من ذهبٍ، وبالأخرى صحيفةٌ مِنْ فضةٍ.

العرشُ: رأى العرشَ وهو أعظمُ المخلوقات، وحولَهُ ملائكةٌ لا يعلمُ عدَدَهُمْ إلا اللهُ، وله قوائمُ كقوائِمِ السريرِ، يحملُهُ أربعةٌ مِنْ أعظمِ الملائكةِ، ويومَ القيامةِ يكونونَ ثمانيةً[1]، وقد وصف الرسولُ ﷺ أحدَهُمْ بأنّ ما بينَ شَحْمةِ أذنِهِ إلى عاتِقِهِ مسيرةُ سبعمائةِ عامٍ بِخَفَقَانِ الطيرِ الْمُسرِعِ، والكرسيُّ بالنسبةِ للعرشِ كَحَلقَةٍ في أرضٍ فلاةٍ، قال رسولُ الله ﷺ[2]: "**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبعُ معَ الكرسيِّ إلَّا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فَلَاةٍ، وفضلُ العرشِ عَلَى الكرسيِّ كَفَضلِ الفَلَاةِ عَلَى الحَلقةِ**". والعرش أولُ المخلوقات بعدَ الماءِ، ثم القلمُ الأعلى، ثم اللوحُ المحفوظُ، ثم بعد أن كتبَ القلمُ على اللوحِ ما يَكونُ إلى يَومِ القيامةِ بخمسينَ ألفَ سنةٍ خلق اللهُ السماوات والأرضَ.

وصولُ النبيِّ ﷺ إلى مستوًى يسمعُ فيهِ صريفَ الأقلامِ: ثم انفردَ رسولُ اللهِ عنْ جبريلَ بعدَ سدرةِ المنتهى حتى وصلَ إلى مستوًى يسمعُ فيه صريفَ الأقلامِ التي تَنْسَخُ بها الملائكةُ في صُحُفِها منَ اللوحِ المحفوظِ، وأما ما

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾[سورة الحاقة].

(٢) **صحيح ابن حبّان**، ابن حبان، (٢/٧٧).

يقال: إن الرسول وصل وجبريل إلى مكان، فقال جبريل: جُز، فأنا إن اخترقت احترقت، وأنت إن اخترقت وصلت! فهذا كذبٌ وباطل.

سماعُهُ ﷺ كلامَ اللهِ تعالى الذاتيّ الأزليّ الأبديّ: من المعلوم لدى أهلِ الحقّ أَن كلامَ اللهِ الذي هو صفة ذاته قديم أزليّ لا ابتداء له، ليسَ ككلامِنا الذي يُبدأُ ثم يُختَمُ، فكلامه تعالى أزليٌّ ليس بصوتٍ ولا حَرْفٍ ولا لغةٍ، لأن اللغات والحروف والأصوات مخلوقة ولا يجوز على الله أن يتصف بصفة مخلوقة. فلذلك نعتقدُ أن سَيّدنا محمّدًا سمعَ كلامَ اللهِ الذاتيّ الأزليّ بغيرِ صوتٍ ولا حرفٍ ولا حلولٍ في الأذن، ففي تلكَ الليلةِ المباركةِ أزالَ اللهُ عن أفضلِ خلقِهِ الحجابَ الذي يمنعُ مِنْ سماعِ كلامِ اللهِ الأزليّ الأبديّ الذي ليسَ ككلامِ العالمينَ، وفَهِمَ الرسول منه الأوامر التي أُمِرَ بها والأمور التي بلّغها، أسمَعَهُ اللهُ بقدرتِهِ كلامَهُ في ذلكَ المكان الذي فوقَ سدرةِ المنتهى، لأنه مكانُ عبادةِ الملائكةِ للهِ تعالى، وهو مكانٌ لم يُعْصَ اللهُ فيهِ، وليسَ مكانًا ينتهي إليه وجودُ اللهِ كما في بعضِ الكتبِ المزيفةِ، لأن اللهَ موجودٌ بلا مكانٍ.

ماذا فَهم رسولُ الله ﷺ مِنْ كلامِ اللهِ الذاتيّ: فهمَ رسُول الله ﷺ مِنْ كلامِ اللهِ الذاتيّ فرضيةَ الصلواتِ الخمسِ، وفَهِمَ أيضًا أنه يُغْفَرُ لأمتِهِ كبَائرُ الذنوبِ لمنْ شاءَ اللهُ لَهُ ذلكَ، أما الكافرُ فلا يُغْفَرُ له مهما كانتْ معاملتُهُ للناسِ حسنةً، ولا يرحمُه اللهُ بعدَ الموتِ ولا يدخِلُهُ الجنةَ أبدًا إن ماتَ على كفرِهِ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة النساء]، وفَهِمَ أيضًا من كلامِ اللهِ الأزليّ الأبديّ أنّ مَنْ عَمِلَ حَسنةً واحدةً

كُتِبَتْ له بعشرةِ أمثالِها، ومن هَمَّ بحسنةٍ ولم يَعْمَلْها كُتِبَتْ لهُ حَسنةً، ومن هَمّ بسيئةٍ وعَمِلَها كُتِبَتْ عليهِ سيئةً واحدةً.

رؤيتُهُ ﷺ للهِ عزَّ وجلّ بفؤادِهِ لا بعينِهِ: ومما أكرمَ اللهُ به نبيَّهُ في المعراجِ أن أزالَ عن قلبِهِ ﷺ الحجابَ المعنويَّ، فرأى اللهَ بفؤادِهِ، أي جَعَلَ اللهُ لَهُ قوةَ الرؤيةِ في قلبِهِ لا بعينِهِ، لأن اللهَ لا يُرى بالعينِ الفانيةِ في الدنيا، فَقَدْ قَالَ الرسولُ ﷺ[1]: "**وإنكم لن تَرَوْا ربَّكمْ حتى تمُوتُوا**"، وإنما يُرى اللهُ في الآخرةِ بالعينِ الباقيةِ، يراه المؤمنونَ الذين ءامنوا باللهِ ورُسُلِهِ، لا يشبهُ شيئًا من الأشياء، بلا مكانٍ ولا جهةٍ ولا مقابلةٍ ولا ثبوتِ مسافةٍ ولا اتصالِ شُعَاعٍ بين الرائي وبينَهُ عزَّ وجلّ، يرى المؤمنون اللهَ عزَّ وجلّ لا كما يُرى المخلوق، فقد روى البخاريُّ[2] وغيْرُهُ عن جَرِيرٍ أنه قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً، يَعْنِي الْبَدْرَ فقال: "**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**" أي لا تشكُون أن الذي تَرَوْنَ هو اللهُ كما لا تشكونَ في رؤية القمرِ ليلةِ البدرِ، ولا يعني أن بينَ اللهِ تعالى وبينَ القمرِ مشابهةٌ. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[سورة القيامة]، أما الكفارُ فلا يرونَ اللهَ في الدنيا ولا في الآخرةِ وهم مخلدونَ في نارِ جهنمَ، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[سورة المطففين]، والدليلُ على أن الرسولَ

---

(١) **سنن النسائيّ**، النسائي، (١٦٥/٧).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، (١٤٥/١).

رأى ربَّهُ بفؤادِهِ مرتينِ في المعراجِ ما أخرجه مسلمٌ[1] عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنه في قولِهِ تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [سورة النجم]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم]، قال: "رءاهُ بفؤادِهِ مرتينِ"، وبهذِهِ المناسَبةِ تجدرُ الإشارةُ إلى أنهُ لم يحصلْ للنبيّ أن رأى ربَّهُ وكلمَهُ في ءانٍ واحدٍ، بل كانت الرؤيةُ في حالٍ وسماعُ كلامِهِ في حالٍ. قالَ اللهُ تباركَ وتعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[سورة الشورى][2].

رؤيتُهُ ﷺ لسيدِنا جبريلَ عليهِ السلامُ على هيئتِهِ الأصليةِ: كان ﷺ قَدْ رَأى جِبريلَ عليه السلامُ في المرةِ الأولى في مكةَ على هيئتِهِ الأصليةِ، فَغُشيَ عليهِ، أمَّا في هذِهِ الليلةِ المباركةِ فقدْ رءاه للمرةِ الثانيةِ على هيئتِهِ الأصليةِ فلمْ يُغْشَ عليهِ إذْ إنَّهُ ازدادَ تَمكُّنًا وقُوّةً.

فقد روى مسلمٌ[3] عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم] قالت: "**إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ، كَانَ**

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (١٠٩/١).

(٢) فالتكليم من وراء حجاب أن يسمع كلام الله الأزلي بلا رؤية، وهذا الذي حصل لموسى فقط عند بعضهم وللرسول ليلة المعراج أيضًا عند بعض، ولم يجتمع له الرؤية وسماعُ الكلام الذاتي في لحظة واحدة بل سماعُهُ للكلام كان في ساعة بلا رؤية، ورؤيته للذات المقدس بفؤاده في ساعة أخرى.

(٣) **صحيح مسلم**، مسلم، (١١١/١).

يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ". وليسَ معنى هاتينِ الآيتينِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، أن الله دنا منَ الرسولِ حتى قربَ منهُ بالمسافةِ قَدْر ذراعينِ أو أقلّ، والذي يعتقدُ هذا يضِلُّ بتكذيبه لشريعة الله. أما المعنى الصحيحُ فهو أنّ جبريل دنا منْ سيدِنا محمدٍ ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي جبريلُ في دنوّهِ مِنْ سيدِنا محمدٍ ﷺ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي ذراعين ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي بلْ أقربَ، وهناكَ ظَهَرَ له بهيأتِهِ الأصليةِ وله سِتُّمائةِ جناحٍ، وكلُّ جناحٍ يَسُدُّ ما بين الأرضِ والسماءِ.

روى مسلمٌ[1] عن الشَعْبِيّ عَن مَسْرُوقٍ قال: كنتُ مُتَّكِئًا عندَ عائشةَ رضي الله عنها فقالتْ: "يا أبا عائشةَ، ثلاثٌ مَنْ تكلمَ بواحدةٍ مِنهنَّ فقد أَعْظَمَ على اللهِ الفِريَةَ!" قلتُ: مَا هُنَّ؟ قالت: "مَنْ زَعَمَ أن محمّدًا ﷺ رأى ربَّهُ فقدْ أعظمَ على اللهِ الفِرْيَةَ". قال: وكنتُ متكئًا فجلستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنينَ أَنْظِرِيني ولا تَعْجَليني، ألم يَقُلِ اللهُ عزَّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [سورة التكوير]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [سورة النجم]، فقالت: أنا أوّلُ هذهِ الأمةِ سألَ عَنْ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: "**إنما هو جبريلُ، لَمْ أَرَهُ على صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتينِ المرتينِ، رأيتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السماءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بينَ السماءِ والأرضِ**". فقالت: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنّ اللهَ يَقولُ: ﴿لَّا

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/١١٠).

تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام]؟ أوَ لَمْ تَسمعْ أَنّ الله يقولُ: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الشورى]؟ قالت: ومَنْ زَعَمَ أَنّ رسولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شيئًا من كتابِ اللهِ فقدْ أعظَمَ على اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يقولُ: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴿٦٧﴾ ﴾[سورة المائدة]، قالت: وَمَنْ زَعمَ أنهُ يُخْبِرُ بما يكونُ في غَدٍ فقدْ أعظمَ على اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يقولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة النمل]. أي لا يعلم الغيب كلّه إلا الله، وهذا فيه ردٌّ على القائلين أن الرسول يعلم كل ما يعلمه الله، وهؤلاء ساووا الرسول بالله عزَّ وجلّ، والله تعالى لا يساويه أحد من خلقه في صفة من صفاته، فهو وحده العالِم بكل شيء، والقادر على كل شيء، لا يشاركه في ذلك ولا في سائر صفاته أحد من خلقه كائنًا من كان، وقد قال الرسول ﷺ[1]: "**يَا أَيُّها الناسُ، عليكُمْ بتقواكُمْ، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، عبدُ اللهِ ورسُولُهُ، واللهِ ما أُحِبُّ أنْ ترفعُونِي فوقَ منزِلَتِي الَّتي أنزلني اللهُ عزَّ وجلَّ**"، ويقالُ: إنَّ الرسولَ ﷺ مَرَّ ليلةَ المعراجِ بقومٍ يأجوجَ ومأجوجَ وهم كفارٌ منَ البشرِ وبلّغهُم الدعوةَ، ففي البخاريّ[2]

---

(١) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، (١٥٣/٣).

(٢) **صحيح البخاريّ**، البخاري، (١٦٨/٤).

عن أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: "**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا ءادَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: "**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ**"، ثُمَّ قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**" **فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: "أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: "أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ**". وكان ذو القرنين وهوَ رجلٌ وليٌّ صالحٌ بنى عليهم سَدًّا من حديدٍ ونحاسٍ أذابَهما، فهم مَحْجُوزُونَ خَلفَ السدّ في هذه الأرض إلى ما شاءَ اللهُ.

تفاصيلُ بعضِ ما رأى النبيّ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين أما بعد فقد ذكر اللهُ في القرءان الكريم بعض ما رأى النبيُ الأعظم ﷺ عندما عُرج به إلى السماوات بواسطة **المرقاة** وهي سلم من فضة صار يطوى له طيًّا سريعًا وكان ذلك لتشريفه ﷺ برؤيته لبعض

عجائبها وقد ورد في سورة النجم ما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ [سورة النجم] **سدرة المنتهى** شجرة عظيمة جدًا وقد اختارها الله تعالى من نوع السدرة لأنها ليست كغيرها من الشجر إذ إن لها ظلًّا مديدًا وطعمًا لذيذًا ورائحةً زكية وكانت أصولها وجذورها في السماء السادسة وتمتد بفروعها وجذوعها وأغصانها إلى ما فوق السماء السابعة وبين كل سماءين مسافة خمسمائة عام وتعلو السدرة كثيرًا حتى إنها كما قيل تصل إلى يمين العرش وتتجاوز رؤوس حملته والعرش هو أكبر المخلوقات على الإطلاق من حيث الحجم وقد خلقه الله إظهارًا لقدرته وليس ليتخذه مكانًا لذاته لأن الله موجود بلا مكان قبل العرش وبعد العرش وهو الذي خلق الأماكن فلا يتحيز فيها ولا يسكنها ولا يحتاج إليها. هو ربها وهو غني عنها. والمقصود من المعراج تشريف الرسول ﷺ كما قال ربنا في القرءان: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ١﴾ [سورة الإسراء] ليس كما يعتقد البعض أن الله يتحيز في السماء أو أن الله له مكان أو أن الرسول وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله حاشا لله. فكل من نسب لله المكان أو الجسم أو الحجمية أو الجسمية فهو مكذب للقرءان وقد سميت باسم سدرة المنتهى كما روي لأنها في منتهى الجنة وءاخرها وأقصاها وقد أظلت الجنة وإليها ينتهى بأرواح المؤمنين إذا ماتوا فإذا قبض المؤمن تبعه مقربوا أهل السماوات حتى ينتهى به إلى السدرة وهي كالمحطة بالنسبة للملائكة النازلون من فوقها يقفون عندها والصاعدون من تحتها يقفون عندها ولم يجاوزها أحد إلا الرسول

ﷺ أما ثمار هذه الشجرة العظيمة فهي كالجرار الضخمة واسمها النبق شبهها النبي ﷺ بقلال هجر أي بجرار تصنع في ناحية تسمى هجر في أرض العرب وهذه الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل الشديد ثمار هذه الشجرة كالقلال التي هي جمع قلة ثم هذا النبق فيه رائحة طيبة جدًا وطعمه لذيذ جدًا وينبت[1] في بقعة واحدة منها. هذا النبق هو أشد نبق يُعلم حلاوة وطيب رائحة هذا النبق يفوح من فم ءاكله ومن ثياب من لمسه كما يفوح العطر الجميل وتحمِل هذه الشجرة[2] الحُلي والحُلل والثمار من جميع الألوان وأوراقها مثل ءاذان الفيلة لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لهم ولغطَّت جمعًا كبيرًا وحدها وقد رأى النبي ﷺ على كل ورقة منها ملائكة قائمين يسبحون الله تعالى وكأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين متبركين زائرين كما يزور الناس الكعبة وأغصانها من لؤلؤ وياقوت وزبرجد يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها ويستظل في الغصن الواحد منها مائة ألف راكب ويخرج من ساقها نهران باطنان ونهران ظاهران. أما الباطنان ففي الجنة وهما السلسبيل والكوثر وأما الظاهران فهما النيل والفرات يسيران حيث أراد الله حتى يخرجا من الأرض فيجريا فيها ومن أصلها تخرج أنهار من ماء غير متعفن غير منتن الطعم ولا بشع اللون وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين ليس كخمر الدنيا المحرم وأنهار من عسل مصفى ولما

---

(١) يعني الذي في الأرض.

(٢) يعني السّدرةَ التي في السماء.

رءاها النبي ﷺ غشيها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يحيط بها الواصف منها أن الملائكة استأذنوا ربهم أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذِن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إلى جمال محمد ﷺ إلى جمال النبي وحسنه ونوره فهو أعظم المخلوقات قدرًا وأجملهم منظرًا حَسنًا فازدادت الشجرة بهم إشراقًا وبهجة وغطاها كذلك فَراش من ذهب يبهج مرءاه الناظر ويسره وغشيها **رفرف أخضر** وهو بساط عريض جدًا يسد الأفق قيل بأنه خادم مأمور من الله تعالى بأمور خاصة في الجنة حيث يتكئ المؤمنون ويفترشون عليه إذا أرادوا يرفرف بالولي فوق أنهارها وعلى شطوطها حيث شاء ويذهب به إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان من الحور العين ولما بلغ النبي السدرة جاءه الرفرف الأخضر فجلس عليه وطار به إلى العرش يخفض ويرتفع حتى وصل إليه فلما رءاه شكر الله على هذه النعمة العظيمة ورأى مكتوبًا على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ورأى **حملة العرش** وهم أربعة من أكبر الملائكة حجمًا يزاد عليهم أربعة ءاخرون يوم القيامة تعبيرًا عن عظم ذلك اليوم وقد وصف رسول الله ﷺ الواحد منهم فقال إن ما بين شحمة أذنه وكتفيه مسيرة سبعمائة عام بخفقان الطير المسرع ولما حان وقت الانصراف تناول النبي ﷺ الرفرف فطار به خفضًا ورفعًا يهوي به حتى وصل إلى حيث ينتظر **جبريل** عليه السلام الذي ظهر على هيئته الأصلية التي خُلق عليها للمرة الثانية إذ كما قيل لم يرَ أحد من الأنبياء جبريل على صورته الحقيقية إلا نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام

مرتين وإنما كان يأتيهم على صورة الذكور من بني ءادم بشكل حسن بدون ءالة الذكورية فالملائكة ليسوا ذكورًا وليسوا إناثًا فيعرفونه - أي الأنبياء يعرفون أنه جبريل - فيعرفونه لأنهم أنبياء مؤيدون من الله تعالى بالمعجزات وجبريل عليه السلام ذو هيئة حسنة وجسم طويل متماسك وسلامة من كل الآفات والعاهات وهو ذو قوة شديدة إذ اقتلع قرى قوم لوط وحملها على طرف ريشة واحدة من رِيَشِ أجنحته وطار بها عاليًا حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فهلك من كان فيها وصاح صيحة عظيمة بقوم ثمود فأصبحوا خامدين جاثمين وكان من شدته وقوته عليه السلام أنه أبصر إبليس الذي كان يجادل عيسى عليه السلام يريد الشر به على بعد أميال من الأرض المقدسة في فلسطين فضربه بجناحه ضربة ألقته بأقصى جبل في الهند وكذلك فعل معه مرة أخرى عندما جاء إبليس حاملًا بيده شعلة من نار يريد رميها على النبي لما كان ساجدًا قبالة الكعبة فضربه جبريل برجله فألقاه في بلاد نهاوند في إيران. هذا بالنسبة لقوته الجسمانية أما بالنسبة لسرعته العظيمة فمن أمره أنه كان ينتقل من مكانه في السماء السابعة عند اللوح وما فوق السابعة ويتلقى هناك ما يأمره الله به من وحي فينزل به على الأنبياء ويقطع السماوات وما يفصل بينها من مسافات شاسعة بعيدة جدا جدا أسرع من طرفة عين وقد رءاه النبي ﷺ أول مرة على هيئته الأصلية في ناحية اسمها أجياد في مكة المكرمة فقد طلب منه النبي أن يظهر له على الصورة التي خلقه الله عليها فقال له جبريل ادع ربك فدعا النبي ربه

فطلع جبريل عليه وهو على صورته الأصلية طلع عليه جسمًا كبيرًا جسدًا عظيمًا جسدًا كبيرًا جدا من ناحية المشرق وملأ الأفق إلى ناحية المغرب فغشي على النبي ﷺ فنزل جبريل وتشكل في صورة الآدميين فضمه إلى صدره وجعل يمسح الغبار عن وجهه الشريف فلما أفاق عليه الصلاة والسلام قال يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال النبي ﷺ إن هذا لعظيم وأكمل جبريل قائلًا وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيرًا ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وقد رءاه النبي مرة ثانية عند سدرة المنتهى ولم يتفاجأ كما تفاجأ في المرة الأولى وكان يتناثر من ريش أجنحته الدر والياقوت والتهاويل أي الأشياء المختلفة الألوان التي تزين الريش من صفرة وحمرة وبياض وخضرة ما الله به عليم ويقال لما يخرج من ألوان الزهر في الرياض التهاويل وكان هذا مما رءاه النبي في معراجه من ءايات ربه الكبرى ثم عاد إلى الأرض في نفس الليلة فكان حدثًا عظيمًا على مر العصور يدل على علو قدر النبي ﷺ وأما الله فموجود أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان والحمد لله رب العالمين.

ماذا حصل بعد رجوع الرسولِ ﷺ مِنَ المعراجِ

قالَ بعضُ العلماءِ: "كانَ ذهابُهُ مِنْ مكةَ إلى المسجِدِ الأقصَى وعُروجُهُ إلى أنْ عادَ إلى مكةَ في نحو ثُلُثِ لَيلةٍ، فأَخْبَرَ أمَّ هانئ بذلكَ ثُمَّ أخبرَ الكفارَ أَنهُ أُسْرِيَ بِهِ فلمْ يصدّقُوهُ واستهزؤوا به، فَتَجَهَّزَ ناسٌ مِنْ قريشٍ إلى أبي بَكْرٍ فقالوا لهُ: هَلْ لكَ في صاحبِكَ، يَزْعُمُ أنه قَدْ جاءَ بيتَ المقدسِ ثمّ رجعَ إلى مكةَ في ليلةٍ واحدةٍ؟! فقالَ أبُو بكرٍ: أَوَ قَالَ ذلكَ؟ قالوا: نعمْ. قالَ: فأشهدُ لَئِنْ كانَ قَالَ ذلكَ لقدْ صَدَقَ. قالوا: فَتُصَدّقُهُ بأنْ يَأتِيَ الشامَ في ليلةٍ واحدةٍ ثُمَّ يَرْجِعَ إلى مكة قبلَ أنْ يُصْبِحَ؟ قَال: نعمْ، إني أُصَدّقُهُ بأبعدَ مِنْ ذلكَ أُصَدّقُهُ بِخَبَرِ السماءِ"، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فبها سُمّيَ أَبو بَكْرٍ الصديقَ رضيَ اللهُ عنه. وطَلبَ الكفارُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَصِفَ لهم المسجدَ الأقصى لأنهمْ يعلمونَ أنهُ لم يرحلْ مَعَ أهلِ بلدِهِ إلى هناكَ قطُّ، فجمَعَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ قومَهُ فحدثَهُمُ الرسولُ ﷺ بما رأى، فقال قومٌ منهمْ مِمَّنْ كانَ قَدْ سافرَ إلى ذلكَ البلدِ ورأى المسجدَ: أمَّا النعتُ فَقَدْ واللهِ أصابَ.

وصدق القائل:

يا مَنْ بهَدْيك أفلَح السُّعَداءُ ... هــذي عظاتُــك للــقلوبِ دَوَاءُ

يـا مَنْ بُعِثْـتَ إلى الخلائقِ رحمـةً ... أقســمْـتُ أَنـكَ رحمـةٌ وضــيـاءُ

وبُعـثـتَ أُمّيًّـا تـقـولُ فَـتَغْتَـذِي ... منـكَ العقولُ وتســتَقي العلمـاءُ

وعَدَلْتَ في أمرِ العبادِ فيســـتوي ... في ديـنِـكَ الـفـقـراءُ والأمـراءُ

وسريتَ مَسْـــــرَى البَدْرِ يَسْـطَعُ ... في الـــــكَائناتِ فتنجلِي الظَّلْمَاءُ

والمســـــــجدُ الأقصى عَلَيْه مِنَ ... حُـلَـلٌ ومِـنْ نـورِ الهـدى لألاءُ

والأنبيـاءُ ببـابِـهِ قـد شَـــاقَهُمْ ... نحـوَ النـبيّ محـبّـةٌ ورِضـــاءُ

يــا صاحــبَ المعراجِ فوقَ المنتهى ... لـكَ وحـدَكَ المـعـراجُ والإسراءُ

يـا واصـفَ الأقصَى أتيـتَ بوصفِهِ ... وكـأنـكَ الـرسَّـــامُ والبـنَّـاءُ

عقيدة الصوفية في مُتشابِهات النصّيّة

قال أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي الصوفي المتوفى سنة ٣٨٠هـ في كتابه المسمى التعرف لمذهب أهل التصوف اجْتمعت الصُّوفِيَّة على أَن الله وَاحِد أحد فَرد صَمد قديم عَالم قَادر حَيّ سميع بَصِير عَزِيز عَظِيم جليل كَبِير جواد رؤوف متكبر جَبَّار بَاقٍ أول إِلَه سيد مَالك رب رَحْمَن رَحِيم مُرِيد حَكِيم مُتَكَلم خَالق رازق مَوْصُوف بِكُل مَا وصف بِهِ نَفسه من صِفَاته مُسَمّى بِكُل مَا سمى بِهِ نَفسه لم يزل قَدِيما بأسمائه وَصِفَاته غير مشبه لِلْخلقِ بِوَجْه من الْوُجُوه لَا تشبه ذَاته الذوات وَلَا صفته الصِّفَات لَا يجْرِي عَلَيْهِ شئ من سمات المخلوقين الدَّالَّة

على حَدثهمْ لم يزل سَابِقًا مُتَقَدما للمحدثات مَوْجُودًا قبل كل شئ لَا قديم غَيره وَلَا إِلَه سواه لَيْسَ بجسم وَلَا شبح وَلَا صُورَة وَلَا شخص وَلَا جَوْهَر وَلَا عرض لَا اجْتِمَاع لَهُ وَلَا افْتِرَاق لَا يَتَحَرَّك وَلَا يسكن وَلَا ينقص وَلَا يزْدَاد لَيْسَ بِذِي أبعاض وَلَا أَجزَاء وَلَا جوارح وَلَا أَعْضَاء وَلَا بِذِي جِهَات وَلَا أَمَاكِن لَا تجْرِي عَلَيْهِ الْآفَات وَلَا تاخذه السنات وَلَا تداوله الْأَوْقَات وَلَا تعينه الإشارات لَا يحويه مَكَان وَلَا يجْرِي عله زمَان لَا تجوز عَلَيْهِ المماسة وَلَا الْعُزْلَة وَلَا الْحُلُول فِي الْأَمَاكِن لَا تحيط بِهِ الأفكار وَلَا تحجبه الأستار وَلَا تُدْرِكهُ الْأَبْصَار

وَقَالَ بعض الكبراء فِي كَلَام لَهُ لم يسْبقهُ قبل وَلَا يقطعهُ بعد وَلَا يصادره من وَلَا يُوَافقهُ عَن وَلَا يلاصقه إِلَى وَلَا يحله فِي وَلَا يوقفه إِذْ وَلَا يؤامره إِن وَلَا يظله فَوق وَلَا يقلهُ تَحت وَلَا يُقَابله حذاء وَلَا يزاحمه عِنْد وَلَا يَأْخُذهُ خلف وَلَا يحده أَمَام وَلَا يظهره قبل وَلَا يفنيه بعد وَلَا يجمعه كل وَلَا يوجده كَانَ وَلَا يفقده لَيْسَ وَلَا يستره خَفَاء تقدم الْحَدث قدمه والعدم وجوده والغاية أزله، إِن قلت مَتى فقد سبق الْوَقْت كَونه، وَإِن قلت قبل فالقبل بعده، وَإِن قلت هُوَ فالهاء وَالْوَاو خلقه، وَإِن قلت كَيفَ فقد احتجب عَن الْوَصْف بالكيفية ذَاته، وَإِن قلت أَيْن فقد تقدم الْمَكَان وجوده، وَإِن قلت مَا هُوَ فقد باين الْأَشْيَاء هويته، لَا يجْتَمع صفتان لغيره فِي وَقت وَلَا يكون بهما على التضاد فَهُوَ بَاطِن فِي ظُهُوره ظَاهر فِي استناره فَهُوَ الظَّاهِر الْبَاطِن الْقَرِيب الْبعيد امتناعا بذلك من الْخلق أَن يشبهوه.

فعله من غير مُبَاشرَة وتفهيمه من غير ملاقاة وهدايته من غير إِيمَاء، لَا تنازعه الهمم وَلَا تخالطه الأفكار، لَيْسَ لذاته تكييف وَلَا لفعله تَكْلِيف.

وَأَجْمعُوا على أَنه لَا تُدْرِكهُ الْعُيُون وَلَا تهجم عَلَيْهِ الظنون وَلَا تَتَغَيَّر صِفَاته وَلَا تتبدل أسماؤه لم يزل كَذَلِك وَلَا يزَال كَذَلِك هُوَ الأول وَالْآخر وَالظَّاهِر وَالْبَاطِن وَهُوَ بِكُل شئ عليم لَيْسَ كمثله شئ وَهُوَ السَّمِيع الْبَصِير اهـ.

وقال محي الدين بن عربي[1] في كتابه المسمى رد المتشابه إلى المحكمة: ربنا سبحانه وتعالى حي، متكلم، عالم، مريد، قدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ

---

(١) ومما يلزم التحذير منه افتراؤهم على الشيخ المشهور سيدنا محي الدين بن عربي رضي الله عنه.

ومن الكلام الرائج عند بعض مدعي التصوف والطريقة والذكر وغيرهم هذه الكلمة ما الكون إلا القيوم الحي، وأما نسبتها إلى الشيخ عبد الغني النابلسي في ديوانه وكذا في ديوان الشيخ محي الدين بن عربي فهو محض افتراء ودس وهما بريئان منها ومن مثلها لأنهما من أكابر الموحدين ويذكر الشيخ الشعراني أن الشيخ محي الدين ابن عربي يقول: من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد ولا يخفى على كل ذي عقل ثاقب أن الكلام الذي فيه أنهما يقولان ما الكون إلا القيوم الحي مدسوس على الشيخ محي الدين رضي الله عنه وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الذي قال في بيان كفر التشبيه وأنه يكفر من اعتقد واحدة منها ما نصه: أو أنه له الحلول في شيء من الأشياء أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء

من الأشياء أو بجميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلة منه أو شيء منه، وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه اهـ.

وكيف ينسب إليه أي إلى الشيخ النابلسي هذا وهو القائل في منظومته في التوحيد:

معرفة الله عليك تفترض بأنه لا جوهر ولا عَرَض

ومما افتري على الشيخ محي الدين بن عربي ما ورد في كتاب منسوب إلى الشيخ محمود أبي الشامات الدمشقي أنه من تأليفه يسمى الإلهامات الإلـهية على الوظيفة اليشرطية ونص عبارته: قال: قال سيدي الشيخ محي الدين العربي في كتابه شرح الوصايا اليوسفية: يجب على المريد أن يعتقد في شيخه أنه المتحكم في موته وحياته وأن الله تجلى في صورته، ثم قال: فمن مات تحت حكم شيخ كامل فإن الله لا يتجلى له في القيامة إلا في صورة ذلك الشيخ اهـ فهذا الكلام ليس من دين الله وهو مناف للتوحيد الذي هو أصل الدين وأصل التصوف الإسلامي، فما هذا الكلام إلا زندقة وهو كفر صريح لا تأويل له، وهو دس على الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه ولا يتفوه الشيخ رضي الله عنه بمثل هذا الكلام المنافي للتوحيد ولعقيدة المسلمين.

وأما قوله في نفس الكتاب: وقد ألف السادة الصوفية نفعنا الله بهم الكتب والرسائل في إثبات وحدة الوجود وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على إثباتها فما هو إلا محض افتراء على السادة الصوفية، ومردود لأن الصوفية الصادقين كالإمام الجنيد البغدادي والإمام أحمد الرفاعي والإمام عبد القادر الجيلاني والإمام محي الدين بن عربي رضي الله عنهم وأمثالهم قد حذروا من مثل هذه الكلمات ومن هذه العقيدة الفاسدة كالقول والاعتقاد بالوحدة المطلقة والحلول والشطح المجاوز لدين الله تعالى ولهم نصوص مشهورة في التحذير من مثل هذه المنكرات.

ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[سورة الشورى] أحدي فلا أين، ولا تركيب لذاته، أزلي فلا كيف ولا ترتيب لصفاته، أبدي فلا تناهي لجلاله وإكرامه، تنزه في سمعه وبصره وإدراكه وبطشه عن الجوارح، وعز في قدرته عن الشريك والمعين، وجل في إرادته عن الأغراض، وتفرد في كلامه عن الحروف والأصوات، وتعالى في استوائه عن التشبيه والكون، وتقدس في علوه وفوقيته عن الجهات، ينزل بلا نقلة، ويجيء ويأتي بلا حركة، وتراه أبصار المؤمنين بلا إدراك ولا إحاطة، لا حد لقربه، ولا ميل لحبه، ولا سورة لغضبه، ولا كيف له في رضاه وضحكه، ولا شفعية إلا لمعيته ولا وترية إلا بظهور قهره وأحديته، ولا بقاء إلا لأهل عنديته.وفي موضع آخر في كتابه نفى الجهة والمكان عن الله أقر باستحالتها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] وقال في موضع آخر في الفصل المسمى فصل في صفة الفوقية ذاكرًا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام] فال: وآيات كثيرة وأحاديث، وهو معدود من المتشابه، وذلك أن "فوق" كلمة موضوعة لإفادة جهة العلو، والله منزه عن الجهات، وإنما المراد منها حيث أطلقت في حق ربنا سبحانه إفادة العلو، يعني أن الفوقية الحقيقية هي فوقية القهر، أما فوقية المكان والجهة فليست مقصودة.

والحاصل أن كل ما أورده هذا المؤلف محمود أبو الشامات الدمشقي وأمثاله في مؤلفاتهم تلبيس وتمويه لا يروج إلا على من لم يعرف التوحيد الذي هو أصل الدين.

وقال إسماعيل حقي في كتابه المسمى روح البيان: ولو كان فى كل مكان بالمعنى الذي أراده جهلة المتصوفة فيقال فأين كان هو قبل خلق هذه العوالم ألم يكن له وجود متحقق فإن قالوا لا فقد كفروا وإن قالوا بالحلول والانتقال فكذلك لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته فيه لكن لا من حيث أنه حادث مطلقًا بل من حيث أن وجوده مستفاض منه فافهم فإن قلت فإذا كان تعالى منزها عن الجهة والمكان فما معنى رفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء قلت معناه الاستعطاء من الخزانة لأن خزائنه تعالى فى السماء كما قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[سورة الذاريات] وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [سورة الحجر] وإن من يثبت له تعالى مكانًا فهو من المجسمة ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى فى كل مكان ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف فمثل مذهبهم وقذره كمثل مذهبهم وقذره فنعوذ بالله تعالى من التلوث بلوث الجهل والزيغ والضلال ونعتصم به عما يعصم من الوهم والخيال والحق حق والأشياء أشياء ولا ينظر إلى الحق بعين الأشياء إلا من ليس فى وجهه حياء له ما في السماوات وما في الأرض سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة فى الجو دائما كالهواء والسحاب أو أكثريًا كالطير أي له تعالى وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالًا كل ما ذكر ملكًا وتصرفًا وإحياء وإماتة وإيجادًا وإعدامًا وما تحت الثرى.

الأحاديث الواردة في معنى الآية

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

صحيح البخاري: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنِ ابْنِ الأَشْوَعِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ المَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ».

صحيح مسلم: وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] قَالَتْ: " إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

مستخرج أبي عوانة: حَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ التُّسْتَرِيُّ قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: ثنا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: ثنا زَكَرِيَّا، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَأَنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

صحيح ابن حبان: قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنْ يُعَلِّمَ محمّدًا ﷺ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ كَمَا قَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] يريد به جبريل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ بجبريل.

كتاب الأسماء والصفات للبيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف، ثنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن سيار الطائي، وإبراهيم بن إسماعيل العنبري، قالا: ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا سليمان الشيباني، ثنا زر بن حبيش، رضي الله عنه، قال: قال عبد الله: رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قال رسول الله ﷺ: «**رأيت جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح**». رواه البخاري في الصحيح عن أبي النعمان عن عبد الواحد بن زياد.

وقال: وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا عباد بن العوام، ثنا الشيباني، قال: سألت زر بن حبيش رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] فقال: أخبرني ابن مسعود رضي الله عنه إن النبي ﷺ رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح. رواه مسلم في الصحيح عن أبي الربيع.

وقال: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى بن الفضل، قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو معاوية، عن أبي إسحاق، عن زر بن حبيش، رضي الله عنه، عن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] قال: رأى ﷺ جبريل عليه السلام له ستمائة جناح " ورواه شعبة، عن أبي إسحاق الشيباني في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[سورة النجم]. ورواه حفص بن غياث عن الشيباني في قوله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [سورة النجم]. ورواه زائدة وزهير بن معاوية في قوله عز وعلا: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم]. ويحتمل أن يكون الشيباني سأل زرا رضي الله عنه عن جميع هذه الآيات، فأخبر عن ابن مسعود رضي الله عنه أن جميع ذلك يرجع به إلى رؤية النبي ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقال: وأخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي ببغداد، أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن حمدان، ثنا محمد بن أيوب، أنا أبو عمر، ثنا شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، رضي الله عنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[سورة النجم] قال: رأى رفرفًا أخضر سد أفق السماء. رواه البخاري في الصحيح عن أبي عمر حفص بن عمر، وأخرجه أيضًا من حديث الثوري عن سليمان الأعمش. ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حلة رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماوات والأرض.

وقال: أخبرناه أبو عبد الله الحافظ، أنا عبد الرحمن بن الحسن القاضي، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود، رضي الله عنه فذكره.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، أنا أحمد بن سلمة، ثنا إسحاق ابن إبراهيم، أنا أبو أسامة، ثنا زكريا بن أبي زائدة، عن ابن أشوع، عن الشعبي ،عن مسروق، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قالت رضي الله عنها: كان جبريل عليه السلام يأتي محمّدًا ﷺ في صورة الرجل، فأتاه هذه المرة قد ملأ ما بين الخافقين. رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن يوسف، ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، كلاهما عن أبي أسامة.

وقال: أخبرنا أبو علي الروذباري، وأبو الحسين بن بشران، قالا: أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا سعدان بن نصر، ثنا محمد بن عبد الله هو الأنصاري، عن ابن عون، أنبأنا القاسم، عن عائشة، رضي الله عنها قالت: من زعم أن محمّدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، ولكن رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته وخلقه سادًا ما بين الأفق. رواه البخاري في الصحيح، عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج عن الأنصاري.

وقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن عبد الله، أنا يزيد بن هارون، أنا داود بن أبي هند، ح. وأخبرني أبو النضر الفقيه، واللفظ له، ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا يعقوب بن

إبراهيم الدروقي، ثنا ابن علية، ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله عنها، فقالت عائشة رضي الله عنها: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: وما هن؟ قالت: من زعم أن محمّدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست، وقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني فلا تعجلي علي، ألم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة التكوير] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] فقالت رضي الله عنها: أنا أول هذه الأمة سأل عن هذا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**». قالت: أولم تسمع الله جل ذكره يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام] ثم قالت: أولم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [سورة الشورى] حتى قرأت إلى قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الشورى] قالت رضي الله عنها: ومن زعم أن محمّدًا ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله عز وجل فقد أعظم على الله الفرية، والله تبارك وتعالى جل ذكره يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة المائدة] إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة المائدة] قالت رضي الله عنها: ومن زعم أنه ﷺ يخبر الناس بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النمل] رواه مسلم في الصحيح عن زهير بن حرب عن إسماعيل ابن علية.

وقال: وأخبرنا أبو بكر بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا وهيب بن خالد، ويزيد بن زريع، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة التكوير] فقالت: أنا أول هذه الأمة قال لرسول الله ﷺ هذا، فقال ﷺ: «**جبريل رأيته مرتين: رأيته بالأفق الأعلى، ورأيته بالأفق المبين**». الرواية الأولى أصح في ذكر الآيتين والمرتين، وأن الرؤية الأولى كانت وهو بالأفق الأعلى، ويحتمل أن يكون الأفق المبين عبارة عنه أيضًا ثم كانت الرؤية الأخرى عند سدرة المنتهى، والله أعلم.

وقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا حسن بن سفيان، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر، عن عبد الملك، عن عطاء، عن أبي هريرة، رضي الله عنه: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] قال: رأى جبريل عليه الصلاة والسلام. رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة، فاتفقت رواية عبد الله بن مسعود وعائشة بنت الصديق وأبي هريرة رضي الله عنهم، على أن هذه الآيات أنزلت في رؤية النبي ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام، وفي بعضها أسند الخبر إلى النبي ﷺ، وهو أعلم بمعنى ما أنزل إليه. قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله

تعالى في تقدير قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] على ما تأوله عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما من رؤيته ﷺ جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها، والدنو منه عند المقام الذي رفع إليه وأقيم فيه قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] المعني به جبريل عليه السلام تدلى من مقامه الذي جعل له في الأفق الأعلى فاستوى، أي وقف وقفة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] أي نزل حتى كان بينه وبين المصعد الذي رفع إليه محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى فيما يراه الرائي ويقدره المقدر. وقال بعضهم: دنا جبريل فتدلى محمد ﷺ ساجدا لربه. وقوله في الحديث «**رأى رفرفًا**» يريد جبريل عليه السلام في صورته على رفرف، والرفرف البساط، ويقال: فراش، ويقال: بل هو ثوب كان لباسًا له، فقد روي أنه رءاه في حلة رفرف. قلت: وفي حديث قتادة عن الحسن البصري في قوله: " ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] قال عبده جبريل عليه السلام، أوحى الله تعالى إلى جبريل، ورأى النبي ﷺ الحجاب. وهذا يدل على أنه ذهب في تفسير الآية إلى معنى ما تقدم ذكره، وأن الله تعالى أوحى إلى جبريل عليه السلام ما أوحى، ثم جبريل عليه السلام ألقاه إلى محمد ﷺ، ورأى محمد ﷺ الحجاب، يريد والله أعلم: ما روي في بعض الأخبار من رؤيته النور الأعظم ودونه الحجاب رفرف الدر والياقوت.

فائدة في كيفية نزول جبريل بالوحي

أما جبريل فهو سفير بين الله وبين أنبيائه هو يبلغ الوحي للأنبياء، كل الأنبياء هو نزل عليهم. هو يسمع كلام الله فيبلغ الأنبياء ثم الأنبياء يبلغون أممهم سيدنا جبريل يبلغ الأنبياء ما فهمه، ما سمعه من كلام الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا أما في كيفية نزول الوحي ففيها آثار منها ما رواه البخاري في صحيحه قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ[1] رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوحي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ**

---

(١) قوله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أم الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها وعن أبيها وعن جدها أَنَّ **الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ** هذا هو أخو أبي جهل عدو الله لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، شهد بدرًا كافرًا، وأسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه وأعطاه النبي ﷺ يوم حنين مائة من الإبل، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان لأبي جهل أربعة أخوة الحارث المذكور هنا، وسلمة وخالد والعاص وكلهم أسلموا على الصحيح، وكذلك أمهم أسلمت واسمها: سلمى وهي صحابية، وكذلك بنت أبي جهل أسلمت صحابية، إلا الشقي الخاسر والعنيد الكافر أبا جهل لعنه الله فإنه لم يسلم، وقد آذى رسول الله ﷺ كثيرًا بالغًا مع ما شهد منه من المعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة.

عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

أما شرح الحديث قوله: "سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الوحي؟"، قال العلماء: يحتمل أن يكون سؤاله عن صفة الوحي نفسه، ويحتمل أن يكون سؤاله عن صفة حامله، ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، وعلى كل تقدير فإسناد الإتيان إلى الوحي مجاز عقلي، ويسمى المجاز في الإسناد وأصله: كيف يأتيك حامل الوحي فأسند الإتيان إلى الوحي للملابسة التي بين الحامل والمحمول، وإما استعارة بالكناية أي شبه الوحي برجل مثلًا وأضيف إلى المشبه الإتيان الذي هو من خواص المشبه به، فحاصل السؤال على أي كيفيه ينزل عليك جبريل بالقرءان.

قوله ﷺ: «**أَحْيَانًا**» جمع حين، وهو الوقت يطلق علي الكثير والقليل حتى على اللحظة وقال ابن حجر: قوله: «**أحيانا**» والمراد به هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أوقاتًا يأتيني، وانتصب على الظرفية، وعامله «**يأتيني**» مؤخر عنه.

قوله: «**يأتيني جبريل بالقرءان وله صوت مثل صلصلة الجرس**» أي له صوت متدارك أي متوال كتوالي صوت الجرس وقال ابن حجر: والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك

في أول وهلة، والجرس الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدوآب، واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس وقيل: الصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي، قال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك، وقال الكرماني: الجرس ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسًا على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة.

وقد قيل: الحكمة في ذلك أن يتقرب سمعه ﷺ ولا يبقى فيه مكان لغير صوت الملك ولا في قلبه، وكان جبريل ينزل على النبي ﷺ على هذه الحالة أشد وأصعب من الحالات عليه ﷺ، فإن جميع حالات نزوله على النبي ﷺ كانت شديدة صعبة عليه.

والحكمة في ذلك ليختبر صبره ويحسن تأديبه، لاحتمال ما يكلف به من أعباء النبوة.

وهذا الصوت هو كصوت الجرس يحتمل أن يكون صوت جبريل بالوحي أو أن يكون صوت أجنحته، و «الجرس» بفتح الراء والسين.

فإن قيل: كيف شبه النبي ﷺ صوت جبريل بصوت الجرس مع أن صوت جبريل محمود وصوت الجرس مذموم منهي عنه، وفي صحيح مسلم «**إن الملائكة لا تصحب رفقة فيها كلب أو جرس**» ، وفيه «**الجرس مزامير الشيطان**» والمحمود لا يشبه المذموم، ويلزم منه أن يفعل الملك من مثله الملائكة؟

فالجواب: أن المقصود تشبيه صوت شديد بصورة شديد على وجه خاص ولا يلزم في التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها، بل يكفي اشتراكها في صفة ما.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ «**كان إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فإذا أتلي عنه رفع رأسه**».

وورد في حديث «**إنه كان يسمع عنده لما ينزل عليه جبريل دوي كدوي النحل**».

وروى أحمد والحاكم والترمذي من حديث عمر بن الخطاب أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة ثم سري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «**اللَّهُمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا**» ثم قال: «**لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة**»، أي من عمل بهن ولم يخالف ما فيهن ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سورة المؤمنون] قال الحاكم: صحيح الاسناد.

قوله: «**وهو أشده عليَّ**» فإنه كان يغشاه عند نزوله عليه كرب، وذلك لما يلقى عليه من القرءان قال تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [سورة المزمل] فكان نزوله على هذه الحالة أشد الحالات عليه، ويدل عليه أنه كان عند نزول جبريل عليه في شدة البرد تصبب منه العرق، ويسيل منه كما

قالت عائشة «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقًا».

وجاء أنه كان يعتريه حالة كحالة المحموم، وجاء في رواية عن عائشة «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يقطر رأسه ويتربد وجهه ويجد بردًا في ثناياه، ويعرق حتى ينزل منه مثل الجمان».

وقوله «**فيفصم عني**» فيه ثلاث روايات:

الأولى: «فيفصم» بفتح الياء وكسر الصاد.

الثانية: «فيفصم» بضم الياء وفتح الصاد والثالثة: فيفصم بضم الياء وكسر الصاد، ومعنى الروايتين الأولتين، مأخوذة من الفصم وهو القطع قال تعالى: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة] أي لا انقطاع لها، ويقال: الفصم الصدع أو الشق من غير إبانة، والمعنى: أن جبريل كان إذا نزل علي بالقرءان وله صوت كصوت الجرس فيفصم أي فيفارقني على نية أن يعود إليَّ ولا يفارقني إلا وقد وعيت أي حفظت وجمعت عنه جميع ما قاله لي.

وأما الرواية الثالثة: فهي من أفصم المطر إذا أقلع.

قوله: «**وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**» الألف واللام في الملك للعهد، والمراد به جبريل، أي وأوقاتًا يتمثل لي جبريل في صورة رجل، وفي هذا دليل على أن الملائكة تتشكل بشكل البشر لها قوة على التشكل بأي

شكل أراد -لكن بلا آلة ذكورية- فقد قال أكثر العلماء: إنها أجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة.

فائدة: ظاهر هذا الحديث يقضي أن الوحي ينقسم إلى قسمين أن يأتيه جبريل بالوحي بصوت مثل صلصلة الجرس، الثاني: أن يأتيه في صورة رجل، وقال القاضي عياض : إنه يقسم إلى ثلاثة أقسام.

وفي كتاب الإتقان للسيوطي رحمه الله تعالى: وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات:

إحداها: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر سألت النبي ﷺ هل تحس بالوحي فقال أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض. قال الخطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبين له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل: هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكانًا لغيره. وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد.

الثانية: أن ينفث في روعه الكلام نفثًا كما قال ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي**». أخرجه الحاكم. وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه.

الثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما في الصحيح: "**وأحيانا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول** "، زاد أبو عوانة في صحيحه: "**وهو أهونه علي**".

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم[1] وعد من هذا قوم سورة الكوثر وقد تقدم ما فيه.

فائدة: قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص كان ﷺ يسمع خفيق أجنحة وهو بعيد في سدرة المنتهى، ويشم رائحته إذا توجه إليه بالوحي.

فائدة أخرى: قال بعض العلماء: نزل جبريل عليه السلام على آدم اثنتي عشرة مرة ونزل على إدريس أربع مرات، ونزل على نوح خمسين مرة، ونزل على إبراهيم أربعين مرة منها مرتان في صغره، ونزل على موسى أربعمائه مرة، ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثًا في صغره وسبعًا في كبره ونزل على نبينا محمد ﷺ أربعة وعشرين مرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فائدة أخرى: أشرف الملائكة وأكرمهم أربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويدل ذلك ما أخرجه أبو الشيخ عن عكرمة بن خالد أن رجلًا قال: يا رسول الله أي الملائكة أكرم على الله؟ فقال: "**جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة تنبت، وأما ملك الموت فهو**

---

(١) وهي إغفاءة تشبه النوم.

موكل بقبض روح كل عبد في بر وبحر هو عزرائيل أما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم".

وجبريل أشرف الملائكة لوجوه:

الأول: أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء كما وصفه الله بذلك بقوله ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الشعراء].

الثاني: أنه سبحانه وتعالى ذكره قبل سائر الملائكة في القرءان في قوله تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة البقرة].

والثالث: أن الله تعالى ذكره بعد أن ذكر نفسه وهذا لا يدل على أنه أفضل من الأنبياء قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة التحريم].

الرابع: سماه روح القدس كما قال تعالى في حق عيسى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة المائدة].

الخامس: أنه تعالى مدحه بصفات ستة فقال له: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة التكوير].

الوصف الأول: «رسول» فهو رسول الله إلى جميع الأنبياء، فجميع الأنبياء والرسل أمته.

الوصف الثاني: «كريم» وكرمه على ربه أن جعله واسطة بينه وبين أشرف عباده وهم الأنبياء.

الوصف الثالث: «ذي قوة عند ذي العرش» وبلغ من قوته أنه قلع مدائن قوم لوط بما اتصل بها من الجبال دفعه واحدة إلى السماء وقلبها، ويشاركه غيره من الملائكة في القوة كإسرافيل، وإن بلغ من القوة أنه بنفخة واحدة منه في الصور يصعق من في السماوات والأرض، وبالنفخة الثانية يعودون أحياء، فاعرف عظيم هذه القدرة وحملة العرش العظيم، الذي السماوات والأرض وما فيها بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، ومع هذه يحمله ثمانية كما نطق بذلك القرءان العظيم.

الوصف الرابع: «مكين» أي له مكانة عند الله لأنه رئيس الملائكة.

الوصف الخامس: «مطاع» ووصف ذلك لأنه إمام الملائكة ومقدمهم وإمامهم وليس إبليس طاووس الملائكة كما يقول بعض الجهال.

الوصف السادس: «أمين» ووصف بذلك هنا، وفي آية أخرى وهي ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة الشعراء] لأنه أمين الله بينه وبين رسله كما تقدم.

ما جاء في بعض الآثار عن جبريل عليه السَّلامُ

روى البخاريّ ومسلم في صَحِيحَيهِما عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرءان، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ما يمنعك أن تزورَنا أكثر مما تزورُنا**»، فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴿٦٤﴾﴾ [سورة مريم]. وفى البخاري عن البراء، قال: قال النبى ﷺ لحسان: اهْجُهُمْ - أَوْ قَالَ: هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ.

وفي الصحيحين أيضًا في حديث الإسراء: صعود رسول الله ﷺ وجبريل إلى السماوات السبع، وأن جبريل يستفتح فى باب كل سماء، فيقال: من هذا؟ فيقول: جبريل، فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد، فيفتح. وفى الصحيح أن الله تعالى إذا أحب عبدًا نادى: يا جبريل، إني لأحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض. والأحاديث الصحيحة المتعلقة بعظم فضل جبريل كثيرة مشهورة.

وفي «صحيح البخاري» قال: حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ حدّثنا حميد بن عبد الرّحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت

على امرأةٍ ما غرت على خديجة، من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إيّاها. قالت وتزوّجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربّه عزّ وجلّ أو جبريل عليه السّلام أن يبشّرها ببيتٍ في الجنّة من قصبٍ.

وفي «صحيح البخاري» قال: حدّثنا عبد الله بن منيرٍ سمع عبد الله بن بكرٍ حدّثنا حميدٌ عن أنسٍ قال سمع عبد الله بن سلامٍ بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النّبيّ ﷺ فقال إنّي سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنّ إلاّ نبيٌّ فما أوّل أشراط السّاعة وما أوّل طعام أهل الجنّة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمّه قال «**أخبرني بهنّ جبريل آنفًا**». قال جبريل قال «نعم». قال ذاك عدوّ اليهود من الملائكة. فقرأ هذه الآية ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ٩٧﴾ [سورة البقرة] **أمّا أوّل أشراط السّاعة فنارٌ تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام أهل الجنّة فزيادة كبد حوتٍ، وإذا سبق ماء الرّجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**». قال أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّك رسول الله. يا رسول الله إنّ اليهود قومٌ بهتٌ، وإنّهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني. فجاءت اليهود فقال النّبيّ ﷺ «**أي رجلٍ عبد الله فيكم**». قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا. قال «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلامٍ**». فقالوا أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله. فقالوا شرّنا.

وفي «السنن الكبرى» للبيهقي: حدّثنا عكرمة عن ابن عبّاسٍ أنّ هلال بن أميّة قذف امرأته عند النّبيّ ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النّبيّ ﷺ «**البيّنة أو حدٌّ في ظهرك**». فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البيّنة. فجعل النّبيّ ﷺ يقول «**البيّنة وإلاّ حدٌّ في ظهرك**» فقال هلالٌ والّذى بعثك بالحقّ إنّى لصادقٌ، فلينزلنّ الله ما يبرّئ ظهرى من الحدّ، فنزل جبريل، وأنزل عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ۝٦﴾ [سورة النور] فقرأ حتّى بلغ ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [سورة النور] فانصرف النّبيّ ﷺ فأرسل إليها فجاء هلالٌ، فشهد، والنّبيّ ﷺ يقول «**إنّ الله يعلم أنّ أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائبٌ**». ثمّ قامت فشهدت فلمّا كانت عند الخامسة وقّفوها، وقالوا إنّها موجبةٌ. قال ابن عبّاسٍ فتلكّأت ونكصت حتّى ظننّا أنّها ترجع ثمّ قالت لا أفضح قومى سائر اليوم، فمضت. فقال النّبيّ ﷺ «**أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلّج السّاقين، فهو لشريك بن سحماء**». فجاءت به كذلك، فقال النّبيّ ﷺ «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأنٌ**».

وورد أنه أصيب الحسن والحسين بالعين فاغتم لذلك رسول الله ﷺ فجاءه جبريل وعلمه أن يرقيهما بهذه الرقية: **اللّٰهُمَّ ذا السلطان العظيم والمنَّ القديم ذا الرحمة الكريم وليَّ الكلمات التامات والدعوات المستجابات عافِ حسنًا وحسينًا من أنفس الجن وأعين الإنس.**

وورد في الحديث الصحيح أن العبد الذي أحبه الله يأمر الله جبريل أن يحبه فيحبه ويؤمر أن يبلغ الملائكة بذلك فيحبونه ويقول جبريل فرحًا به رحمة الله على فلان فيقول حملة العرش فرحًا به رحمة الله على فلان.

قالَ رسول الله ﷺ في حديثِ جبريلَ وهوَ الحديث الذي قالَهُ رسولُ الله يوم جاءَهُ جبريلُ بصورةِ إنسانٍ مِنَ البشَر، ولم يكنْ يأتي في تلكَ الصّورة قبلَ ذلكَ، حتى الرّسول في أوّلِ الأمرِ ما عَرَفَهُ، جاءَ بشَكلِ رجُلٍ غَريب لا يَعرِفُه أحَدٌ مِن أهلِ البلَد، ثِيابُه نظِيفَة جميلة وهيأتُه هيأةٌ حسنةٌ جميلة، شَديد سوادِ الشّعَر لا يُرى عليه غُبار، ما عَرفَه أحَدٌ حتى سأل النّبي قال يا محمّد أخبرني عن الإسلام ففَسَّر لهُ الإسلام بخمسةِ أشياءَ فقال له صدقتَ ثم قال فأخبرني عن الإيمانِ ففسَّر له الإيمانَ بسِتّة أشياء، قالَ **الإيمانُ أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكتبِهِ ورسلِه واليومِ الآخِرِ والقدَر خيرِهِ وشَرّه**، قالَ خَيرِه وشَرّه ثم قالَ صدَقتَ، ثم سأَل عن الإحسانِ قالَ لهُ **الإحسانُ أنْ تخشَى اللهَ كأنّكَ ترَاهُ فإن لم تكن تَراهُ فإنّهُ يَراكَ**، ثم سَألَه عن أمرٍ يَعلَمُ جِبريلُ أنّهُ لا يَعلَمُه محمّدٌ وهوَ لا يَعلَمُه لكن لحِكمَةٍ قال فأَخبَرني عن السّاعةِ، أي متى تقُومُ القِيامةُ بالتّحديد قالَ الرسولُ **ما المسئولُ عنها بأعلمَ مِنَ السّائلِ** معناه أنتَ السّائل وأنا المسئولُ كِلانا لا يَعلَمُ، جبريلُ يعلَمُ أنّ هذا لا يَعلَمُه إلا اللهُ، اللهُ تَعالى ما أعطَى الملائكةَ الذينَ لهم اطّلاع على اللّوح المحفوظ عِلمَ: وَجْبةِ القيامةِ أي متى تقُوم القيامةُ على التّحديد ثم ذَهَب قال الرّسولُ انظُروا هذا الرّجل فذَهَبُوا فلم يجِدوا لهُ أثَرًا، فعَلِمَ أنّهُ جِبريل، فقال الرّسول

للصّحابة هذا جبريل أتاكُم يُعلّمُكُم دِينَكم، وأخبرَهُم بأنّه لم يكن يَعرفُه تلكَ السّاعة، هوَ ما كانَ أتاه قبلَ تلكَ المرّة إلا ويَعرفُه، أخبَرهُم أنّهُ هذِه المرّة ما عرَفَهُ حتى وَلَّى، وهؤلاء السّتة مِنْ عِلم الاعتقادِيّات الضّروريّات، إيمانٌ باللهِ أي معرفةُ الله بأنّهُ موجُودٌ وأنّهُ لا يَستحِقّ أحَدٌ أن يُعبَدَ إلا هُو أي لا يجوزُ أن يُتذَلّل لأحَدٍ نهايةَ التّذلل إلا لهُ، الأنبياء إنْ عظّمناهُم نُعظِّمُهم إلى حَدٍّ ما، والأولياءُ نُعظِّمُهم إلى حَدٍّ ما، أمّا التّعظيم الذي هو نهايةُ التّعظيم هذا لا يكونُ إلا لله، لا يجوزُ أن نُعظّمَ أحَدًا سِوى الله نهايةَ التّعظيم وأنْ نَتذلّلَ لهُ نهايةَ التذلّل، هذا للهِ فقط، هذا معنى العبادة، والإيمان برسوله محمّد أنه رسولُ الله صادِق.

أقوال وتفاسير وشروح علماء السلف والخلف في معنى الآية

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

نذكر هنا نقولًا عن فقهاء وحُفّاظ ومفسّرين ومحدِّثين ولغويّين في معنى قول الله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾.

(١) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي
الملقب بأمير المؤمنين في النحو (ت ٢٠٧)

قال في كتابه «معاني القرءان[١]» قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا ۝٨﴾ [سورة النجم] المراد به جبريل.

(٢) المفسّر المؤرّخ الفقيه
أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠)

قال في تفسيره «جامع البيان في تأويل القرءان ه[٢] » مَا نَصُّه: يَقُولُ تَعالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا ۝٨﴾ [سورة النجم] أي ثُمّ دَنَا جِبْرِيلُ مِن مُحَمّدٍ ﷺ فتَدَلّى إليه. وقال

---

(١) **معاني القرءان**، الفراء، (٣/٣٣٣).

(٢) **جامع البيان**، الطبري، (٢٢/١٣).

في تفسيره أيضًا حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قال: جبريل عليه السلام. وقال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يعني: جبريل. وقال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قال: هو جبريل عليه السلام.

وقال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا زكريا، عن ابن أشوع، عن عامر، عن مسروق، قال: قلت لعائشة: ما قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] فقالت: إنما ذلك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته.

قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقيب قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقدى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين

وقال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [سورة النجم] جبريل عليه السلام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] والأفق: الذي يأتي منه النهار.

وقال: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] قال: بأفق المشرق الأعلى بينهما.

وقال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] يعني جبريل.

وقال: ثنا مهران، عن أبي جعفر، عن الربيع ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] قال: السماء الأعلى، يعني جبريل عليه السلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [سورة النجم] أي ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم.

(٣) المحدّث أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)

يقول الرازي[١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يعني جبريل إلى محمد ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] يقول: القاب نصف الأصبع ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] جبريل إلى عبد ربه.

---

(١) **تفسير ابن أبي حاتم**، الرازي، (٣٣١٩/١٠).

(٤) عَلَم الهدى إمام المتكلمين

إمام المذهب الماتريدي أبو منصور المَاتُرِيدي (ت ٣٣٣هـ)

قال رحمه الله في كتابه « تأويلات أهل السنة[١]» قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [سورة النجم]، أي جبريل عليه السلام على صورته لما ذكر أنه ﷺ سأل ربه عز وجل أن يريه جبريل عليه السلام على صورته فاستوى جبريل على صورته، فرآه كذلك، وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] يحتمل أفق السماء، ويحتمل أن يكون الأفق الأعلى مكان الملائكة ومسكنهم، فأخبر أنه ﷺ رأى جبريل على صورته في مكانه، وجائز أن يكون الأفق ما ذكر في الخبر: أن رسول الله ﷺ أراد أن يرى جبريل في صورته، فسأله أن يراه، فقال: إن الأرض لا تسعني، ولكن انظر إلى الأفق الأعلى، فنظر فرآه، وفي بعض الأخبار: إنك لا تقدر أن تراني في صورتي، ولكن انظر إلى الأفق الأعلى، ثم جائز أن يكون ما ذكر من النظر إلى الأفق الأعلى؛ لما أن بصره كان لا يحتمل النظر إليه من قرب، ويحتمل ذلك من البعد، وذلك معروف فيما بين الخلق: أن الشيء إذا كان له شعاع أو نور أو بياض شديد أن البصر لا يحتمل النظر إليه من القرب في أول ملاقاته، ويحتمل إذا كان يبعد منه.

---

(١) **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور المَاتُرِيدي (٤١٨/٩).

وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يحتمل: دنا منه جبريل عليه الصلاة السلام شيئًا بعد شيء، وقرب منه كذلك ليحتمله؛ إذ جبل الإنسان على طبيعة يحتمل الأشياء إذا انتهت إليه على التفاريق ما لو أتته بدفعة واحدة في وقت واحد، لما احتملتها الأنفس؛ كالحر يأتي الخلق بعد شدة البرد شيئًا فشيئًا، وكذلك البرد بعد شدة الحر شيئًا فشيئًا حتى يشتد ما لو أتيا بدفعة واحدة إذا كان قريبا منه، ويحتمل من البعد، ثم يقرب ويدنو قليلًا قليلًا حتى يحتمل من القرب، والله أعلم.

ثم من الناس من يقول: إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] على التقديم والتأخير؛ أي تدلى قربا؛ لأنه يكون التدلي أولا ثم الدنو منه.

ومنهم من قال: بل هو على ما قال، وهما سواء أعني التدلي والدنو بمنزلة القرب والدنو، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] اختلف فيه فقال بعضهم القاب هو صدر القوس؛ أي فكان قدر صدر القوس من الوتر مرتين، وكذلك قول من يقول في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] إنه دنا من ربه قول فيه إثبات المكان والتشبيه؛ تعالى الله عن ذلك، ولكن المراد ما ذكرنا: أن رسول الله ﷺ دنا من جبريل عليه السلام - على ما ذكرنا.

ثم في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [سورة النجم]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [سورة النجم] إلى آخره ذكر

خصوصية رسولنا ﷺ من بين غيره من الخلائق، منها: رؤية جبريل عليه السلام على صورته، ورؤية الرب تعالى بقلبه؛ إن ثبت الحديث عنه، وبلوغه إلى سدرة المنتهى؛ إذ لم يذكر لأحد من رسل الله تعالى: أنه بلغ هذا المبلغ سواه.

(٥) الفقيه الزاهد المفسّر

أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)

قال في تفسيره المسمى «بحر العلوم[١]»: قال عز وجل: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦﴾ [سورة النجم] يعني: جبريل عليه السلام، ويقال: فاستوى يعني: محمّدًا ﷺ وهو بالأفق الأعلى يعني من قبل مطلع الشمس جبريل، فرآه على صورته، وله جناحان، أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] إلى النبي ﷺ فكل ما دنا منه، انتقص حتى إذا قرب منه مقدار قوسين، رءاه كما في سائر الأوقات، حتى لا يشك جبريل فكان قاب قوسين يعني: في القرب مقدار قوسين، وقال بعضهم: ليلة المعراج، دنا من العرش مقدار قوسين، وإنما ذكر القوسين لأن القرءان نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس. ويقال: فكان قاب قوسين يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوسا، لأنه تقاس به الأشياء. أو

---

(١) **بحر العلوم**، أبو الليث السمرقندي، (٣٥٩/٣).

أدنى يعني: بل أدنى. ويقال: أو بمعنى واو العطف. يعني: مقدار قوسين أو أقرب من ذلك.

(٦) المحدث الفقيه إمام الشافعية

أبو سليمان حَمْد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)

قال في كتابه «أعلام الحديث[١]»: في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قال أبو عبد الله: وحدثنا أبو النعمان قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا الشيباني قال: سمعت زرا، عن عبد الله قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستماية جناح، قلت: تأويل هذه الآية على معنى رؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها والدنو منه عند المقام الذي رفع إليه وأقيم فيه. وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] المعني به جبريل تدلى من مقامه الذي جعل له في الأفق الأعلى فاستوى أي وقف وقفة، ثم دنا فتدلى، أي نزل حتى بينه وبين المصعد الذي رفع إليه محمد قاب قوسين أو أدنى فيما يراه الرائي ويقدره المقدر. وقال بعضهم: دنا جبريل فتدلى محمّدًا ساجدا لربه.

قال الخطابي كذلك: ليس في هذا الكتاب حديث - يعني حديث دنا الجبارفي البخاري- أبشع مذاقًا ولا أشنع ظاهرًا من هذا الحديث لقوله "ودنا

---

(١) **أعلام الحديث**، الخطّابي (١٩١٦/٣).

الجبار فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى" فإن الدنو يوجب تحديد المسافة، والتدلي إذا اعتبر الناظر أول الحديث بآخره لا يشكل عليه، وإن كان في الرؤيا فبعضها مثل ضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، ثم إن القصة إنما يحكيها أنس بعبارته من تلقاء نفسه- لم يعزها إلى رسول الله ﷺ، ولا رواها عنه، ولا أضافها إلى قوله، ثم إن شريكًا كثير التّفرّد بمناكير لا يتابعه عليها سائر الرواة، ثم إنهم أولوا التدلي، فقيل تدلى جبريل بعد الارتفاع حتى رءاه النبي متدليًا كما رءاه مرتفعًا، وقيل تدلى محمد شاكرًا لربه على كرامته ولم يثبت في شيء صريحًا أن التدلي مضاف إلى الله تعالى، ثم أولوا المكان بمكان النبي ﷺ".

(٧) الأديب اللغويّ أبو هلال
الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)

قال في كتابه «الوجوه والنظائر[١]»: وكذلك يقال: أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك، والمراد أن النبي ﷺ أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية، وكان يهبط للوحي على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليهما القدر المذكور.

---

(١) **الوجوه والنظائر**، أبو هلال العسكري، (ص/١٠٣).

والمراد أنه دنا فتدلى فزاد قربا، وقيل: دنا فتدلى أي تدلى فدنا على القلب، وهو في كلامهم واسع.

(٨) الفقيه الشافعي الأشعري

إمام الحرمين عبد الملك الجويني (ت ٤١٩هـ)

قال في كتابه «الشامل في أصول الدين»: ليس في هذه الآية تصريح بذكر الإلـٰه وإضافة القرب إليه، فلِمَ ادّعيتم أنه سبحانه وتعالى هو المعني بمضمون الآية؟ ولِمَ وصفتم ربَّكم بالحد والمقدار بتوهم منكم وظن؟ ثم نقول: لعله ﷺ قرب من درجة لم يبلغها إلا أرفع الخلائق وأعلاهم شأنًا. ثم نقول: الدنو يُحمل على القرب والطاعة -القرب المعنوي لأن القرب المكاني والحسي محال على الله تعالى، وذكر تأكيدًا له. وهو كما حُمل قوله -في الحديث القدسي-: «**إذا تقرب العبد إليَّ ذراعًا، تقربت منه باعًا**» على القرب والطاعة والرأفة اهـ.

(٩) الإمام الحافظ الأصولي العلامة
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)

ففي كتاب «دلائل النبوة للبيهقي[١]» وسماه :باب الدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرج به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام في صورته عند سدرة المنتهى وقبل ذلك كان قد رأى جبريل عليه السلام في صورته وهو بالأفق الأعلى، قال الله عز وجل ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم].

وبسنده إلى زائدة عن الشيباني قال: سألت زرًا عن قوله عز وجل ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] فقال حدثنا عبد الله أنه رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

ثم قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا زكريا، عن ابن أشوع، عن الشعبي، عن مسروق قال قلت لعائشة فأين قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قالت إنما ذلك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال وإنه

---

(١) **دلائل النبوة**، أبو بكر البيهقي، (٣٦٨/٢).

أتاه في هذه المرة في صورته فسد أفق السماء، رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن أبي أسامة، ورواه مسلم عن ابن نمير.

(١٠) الشيخ الصوفيّ الزاهد
أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ)

قال رحمه الله في تفسيره المسمى «لطائف الإشارات[١]»: قوله جل ذكره: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] أي جبريل عليه السلام. وذو مرة: أي ذو قوة وهو جبريل، وهو بالأفق الأعلى أي جبريل.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] دنا جبريل من محمد عليه السلام، فتدلى جبريل: أي نزل من العلو إلى محمد، وقيل: فتدلى تفيد الزيادة في القرب، وأن محمّدًا عليه السلام هو الذي دنا من ربه دنو كرامة، وأن التدلى هنا معناها السجود.

---

(١) **لطائف الإشارات**، عبد الكريم القشيري، (٤٨١/٣).

(١١) المفسّر أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)

قال في تفسيره[١] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] أي دنا جبريل من النبي عليه الصلاة والسلام وقوله:﴿ فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] أي زاد في الدنو. وقال بعضهم: قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] على التقديم والتأخير، وقوله: ﴿ فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] أي هوى وأرسل نفسه من السماء، ثم دنا أي دنا جبريل من محمد.

(١٢) والي خراسان

المهلب بن أبي صفرة (ت ٤٣٥هـ)

قال في كتابه «المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح[٢] » زاد ابن أشوع، عن الشعبي، عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم] قالت: ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته قد سد الافق، وقال وكيع: قالت: ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

---

(١) **تفسير السمعاني**، أبو المظفر السمعاني، (٢٨٥/٥).

(٢) **المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح**، المهلب بن أبي صفرة، (٣٢٨/٤).

وقال قول الله عز وجل ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] قال ابن مسعود: أنه رأى جبريل له ست مائة جناح.

(١٣) الحافظ ابن بَطّال المالكي

أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)

قال في شرحه المشهور على صحيح البخاري: وأما قوله: "فدنا الجبار رب العزة" فهو دنو محبة ورحمة وفضيلة لا دنو مسافة ونقلة لاستحالة النقلة والحركة على البارئ إذ لا يجوز أن تحويه الأمكنة. وقوله: "حتى كان قاب قوسين أو أدنى" فهو جبريل الذى تولى، فكان من أمره على مقدار ذلك. عن الحسن، وقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم]، إلى جبريل ما أوحى، وكتب القلم وحتى سمع محمد صريفه فى كتابه، وبلغ جبريل محمّدًا، وهو عند سدرة المنتهى، قيل: إليها منتهى أرواح الشهداء.

(١٤) الحافظ الفقيه المفسر أبو محمد

الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)

قال في تفسيره[١] : وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على الصورة التي

---

(١) **تفسير البغوي**، أبو محمد البغوي، (٤٠/٧).

جبل عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، والمراد بالأعلى جانب المشرق، وذلك أن محمّدًا ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشيا عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم]، وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ.

(١٥) اللغوي المحدِّث المفسِّر

عبد الحقّ ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)

قال في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز[١]» قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قال الجمهور: استند إلى جبريل عليه السلام، أي دنا إلى محمد في الأرض عند حراء. وقال ابن عباس وأنس في حديث الإسراء ما يقتضي أنه يستند إلى الله تعالى، ثم اختلف المتأولون، فقال مجاهد: كان الدنو إلى جبريل. وقال بعضهم: كان إلى محمد، و﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ على هذا القول معه حذف مضاف، أي دنا سلطانه ووحيه وقدره لا الانتقال، وهذه الأوصاف منتفية في حق الله تعالى. والصحيح عندي أن جميع ما في هذه

(١) **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية (١٩٧/٥).

الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] فإن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي[1] قط أن محمّدًا رأى ربه قبل ليلة الإسراء، أما أن الرؤية بالقلب لا تمنع بحال ودنا أعم من تدلى، فبين تعالى بقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ هيئة الدنو كيف كانت، وقاب معناه قدر، وقال قتادة وغيره معناه من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقال الحسن ومجاهد من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المقبض.

(١٦) القاضي الفقية المؤرخ
أبو الفضل عياض المالكي (ت ٥٤٤هـ)

قال القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى[2]» والقرب من قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم] فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام.

---

(١) أي على المعنى الذي يذكره الجهال أي بنسبة المكان لله تعالى وإلا فلا يخفى ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده مرتين.

(٢) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، (٢٠٤/١).

(١٩) المفسر اللغويّ

محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري (ت ٥٥٣هـ)

قال في كتابه «باهر البرهان فى معانى مشكلات القرءان[١]» قيل: إن ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [سورة النجم] جبريل، وهذا القول أظهر.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يعني جبريل على هذا القول، أي نزل بالوحي في الأرض، وعلى الأول محمد عليه السلام دنا من جبريل عليه السلام. والتدلي: النزول والاسترسال.

(٢٠) الفقيه الحنبلي المؤرخ المحث المتكلم

أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

قال في كتابه «التبصرة[٢]» ومثله في«زاد المسير»: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[سورة النجم] فيه قولان:

أحدهما فاستوى جبريل، وهو يعني النبي ﷺ. والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ قاله الفراء.

---

(١) **باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن**، النيسابوري، (١٣٩٣/٣).

(٢) **التبصرة لابن الجوزي**، ابن الجوزي، (٣٢/٢).

والثاني: فاستوى جبريل وهو يعني جبريل بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق فيكون المعنى: فاستوى جبريل بالأفق الأعلى في صورته قاله الزجاج، والأفق الأعلى: مطلع الشمس وإنما قيل له الأعلى لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] قال الزجاج دنا: يعنى قرب، وتدلى: زاد في القرب ومعنى اللفظين واحد، وفي المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا ۝٨﴾ ذكر ابن الجوزي القول الثالث المشهور قال: والثالث أن جبريل دنا من محمد قاله الحسن.

(٢١) المفسر الفقيه الأصولي فَخْرُ الدين
أبو عبد الله القرشي التيمي البكري الرازِيُّ (ت ٦٠٦هـ)

قال في تفسيره[١]: وَفِيهِ وُجُوهٌ مَشْهُورَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنّ جِبْرِيلَ دَنَا مِنَ النّبِيّ ﷺ أي بعد ما مَدّ جَنَاحَهُ وَهُوَ بِالْأُفُقِ عَادَ إِلَى الصُّورَةِ الّتِي كَانَ يَعْتَادُ النُّزُولَ عَلَيْهَا وَقَرُبَ مِنَ النّبِيّ ﷺ.

---

(١) **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي، (٢٣٩/٢٨).

الثّاني: أن محمّدًا دَنَا مِنَ الْخَلْقِ وَالْأُمّةِ وَلَانَ لَهُمْ، فَتَدَلّى أَيْ فَتَدَلّى إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ اللّيّنِ وَالدُّعَاءِ الرّفِيقِ.

الثّالِث: وَهُوَ ضَعِيفٌ سَخِيفٌ، وَهُوَ أَنّ الْمُرَادَ مِنْهُ هُوَ رَبُّهُ تَعَالَى وَهُوَ مَذْهَبُ الْقَائِلِينَ بِالْجِهَةِ وَالْمَكَانِ، اللّهُمّ إِلّا أَنْ يُرِيدَ الْقُرْبَ بِالْمَنْزِلَةِ».

وقال في كتابه «أساس التقديس في علم الكلام»: وأما قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] فعنه وجوه:

الأول أن هذا الدنو المنزلة والكرامة كقوله تعالى **من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعًا**.

الثاني: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] أي جبريل دنا من محمد عليهما السلام والدليل عليه قوله تعالى في آية أخرى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [سورة التكوير] ثم لما دنا جبريل من محمد عليهما السلام حصل الوحي من الله تعالى إليه فلهذا قال ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم].

(٢٢) الفقيه الشافعي المحدث المؤرخ

أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)

قال في كتابه «شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى[١]»: وَفِيمَا تَأَول عبد الله بن مَسْعُود وَعَائِشَة فِي قَوْله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] بَيَان

(١) **شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى**، أبو شامة المقدسي، (ص/٢٠٠).

أَن جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام ترَاءى للنَّبِي ﷺ بَين السَّمَاء وَالْأَرْض فِي صورته الَّتِي عَلَيْهَا خلق، وَأَن نظر النَّبِي ﷺ إِلَيْهِ حِين دنا مِنْهُ متدليًا حَتَّى كَانَ قرب الْمجْلس مِنْهُ قاب قوسين أَو أدنى، وَأَنه لم يلاقه فِي هَذِه الْحَالة بل جلس منتبذًا عَنهُ على سَبِيل التَّعْظِيم لَهُ، كالجالس منا إِلَى سُلْطَانه وَملكه مباينا لَهُ متباعدًا عَنهُ، فَفعل جِبْرِيل ذَلِك بِهِ ﷺ مُعظما لَهُ، ثمَّ عرفه حَقِيقَة مَا كَانَ ناجاه بِهِ، فتقرر بِهَذَا عِنْد رَسُول الله ﷺ أَنه ملك وَهُوَ رَسُول الله أَتَاهُ بِالْوَحْي من قبل الله، وَلم يكن التدلي والدنو فِي أول ترائيه لَهُ بل كَانَ ذَلِك بعد الأول ليَكُون التَّعْرِيف على تدريج، إِذْ فِي الْمُنَاجَاة كَونه غير مَأْمُون من دهشة تلْحقهُ فَجرى الْأَمر فِيهِ على الْمَعْقُول من الْأَمر الْجَمِيل.

(٢٣) المفسر الفقيه الورع الزاهد المتعبد

شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)

قال في تفسيره[١]: والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الأعلى على صورته الأصلية، لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي صلى الله وسلم أن يراه على صورته الحقيقية، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

(١) **تفسير القرطبي**، شمس الدين القرطبي، (٨٨/١٧).

فنزل على النبي ﷺ بالوحي. المعنى أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمته ما رأى، وهاله ذلك رده الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبي ﷺ بالوحي.

(٢٤) الفقيه الحافظ المحدث

أبو زكريا يحي النووي (ت ٦٧٦هـ)

قال رحمه الله في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات[١]» في صحيح مسلم عن ابن مسعود في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم]، قال: رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح. وعن مسروق، قال: قلت لعائشة، رضي الله عنها: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة التكوير] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادًا عظم خلقته ما بين السماء والأرض.

وفى صحيح مسلم، عن مسروق أيضًا، قال: قلت لعائشة، رضي الله عنها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم]، فقالت:

---

(١) **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، (١/١٤٥).

إنما ذلك جبريل، كان يأتيه فى صورة الرجال، وإنه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورة، فسد أفق السماء.

وفي شرح النووي على مسلم قال: وكذلك اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى وذكر عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى أو من الله تعالى وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولًا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي ﷺ من ربه سبحانه وتعالى وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه وإطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه.

(٢٥) القاضي المفسر المحدث

ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)

قال في تفسيره المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل[١]» قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] أي ثم دنا من النبي عليه الصلاة والسلام. فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه

(١) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين البيضاوي، (١٥٧/٥).

بالرسول. وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول فيكون إشعارًا بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريرًا لشدة قوته، فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة، ويقال دلى رجليه من السرير وأدلى دلوه، والدوالي الثمر المعلق، فكان جبريل عليه السلام كقولك: هو مني معقد الإزار، أو المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما. أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون، والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه.

(٢٦) الفقيه المفسِّر حافظ الدين

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (ت ٧١٠هـ)

قال في تفسيره[١]: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [سورة النجم] أي جِبْرِيلُ مِن رَسولِ الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ [سورة النجم] فَزَادَ في القُرْبِ.

(٢٧) الأصولي اللغوي المحدِّث

أبو عبد الله الكناني الحموي بدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)

قال في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل[٢]»: الْآيَة الْخَامِسَة وَالْعشْرُونَ قَوْله تَعَالَى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝٩﴾ [سورة

---

(١) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات النسفي، (٣٩٠/٣).

(٢) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، بدر الدين ابن جماعة، (ص/١٤٤).

النجم]، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣﴾ [سورة النجم] اعْلَم أَن دنو الْمَسَافَة على الله تَعَالَى محَال وَالَّذِي صَحَّ فِي الحَدِيث عَن عَائِشَة وَابْن مَسْعُود وَأبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنْهُم أَن الْآيَتَيْنِ فِي روية النَّبِي ﷺ جِبْرِيل على صورته الَّتِي خلقه لله تَعَالَى عَلَيْهَا فَإِنَّهُ رَءاهُ مرَّتَيْنِ مرّة فِي أفق الْمشرق وَالثَّانِي عِنْد سِدْرَة الْمُنْتَهى ثَبت ذَلِك عَن النَّبِي ﷺ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلم وَغَيرهمَا عَن عَائِشَة وَابْن مَسْعُود وَأبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي ﷺ.

وَأما حَدِيث شريك بن أبي نمر الطَّوِيل فقد خلط فِيهِ وَزَاد زيادات لم يروها غَيره مِمَّن هُوَ أحفظ مِنْهُ وَلَيْسَ فِي رِوَايَة ثَابت وَلَا قَتَادَة عَن أنس لفظ الدنو وَلَا التدني وَلَا الْمَكَان وَلَا فِي رِوَايَة الزُّهْرِيّ عَن أنس وَأبي ذَر وَذكر شريك فِي حَدِيثه مَا يدل على أَنه لم يحفظ الحَدِيث على مَا يَنْبَغِي فَإِنَّهُ خلط فِي مقامات الْأَنْبِيَاء وَقَالَ فِي آخر حَدِيثه فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِد الْحَرَام والمعراج إِنَّمَا كَانَ رُؤْيَة عين

ثمَّ الْحِكَايَة كلهَا مَوْقُوفَة على أنس من تِلْقَاء نَفسه لم يرفعها إِلَى النَّبِي ﷺ وَلَا رَوَاهَا عَنهُ وَلَا عزاها إِلَى قَوْله وَقد رَوَت عَائِشَة وَابْن مَسْعُود وابو هُرَيْرَة مَرْفُوعا أَن المُرَاد بِالْآيَةِ الْمَذْكُورَة جِبْرِيل وهم أحفظ وَأكْثر فَكيف يتْرك لحَدِيث شريك وَفِيه مَا فِيهِ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَان الْخطابِيّ رَحمَه الله تَعَالَى لم يثبت فِي شَيْء مِمَّا رُوِيَ عَن السّلف أَن التدلي مُضَاف إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَالَى

رَبنَا عَن صِفَات المخلوقين ونعوت الْمُحدثين وَقد رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس نَحْو من رِوَايَة انس فِي إِضَافَة الرُّؤْيَة إِلَى الله تَعَالَى وَلَا يَصح شَيْء من ذَلِك بل طرقها واهية ضَعِيفَة عَن ضعفاء مجهولين وَفِي بَعْضهَا انْقِطَاع.

وَرُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس مَا هُوَ مِنْهُ بَرِيء من أَحَادِيث تدل على التَّشْبِيه والتجسيم تَعَالَى الله عَن ذَلِك.

(٢٨) الفقيه الشافعي علاء الدين الخازن (ت ٧٤١هـ)

قال في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل[١]» اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروي عن مسروق بن الأجدع قال :قلت لعائشة فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق أخرجاه في الصحيحين.

وعن زر بن حبيش في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ وفي قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ وفي قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ قال: فيها كلها أن ابن مسعود قال «رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح» زاد في رواية أخرى «رأى جبريل في صورته» أخرجه مسلم والبخاري في قوله

---

(١) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، (٢٠٤/٤).

تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [سورة النجم] فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى أي بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة، وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو.

(٢٩) الكاتب المؤرخ الفقيه

محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)

قال في تفسيره المسمى« التسهيل لعلوم التنزيل[١]» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] الضميران لجبريل أي دنا من سيدنا محمد ﷺ فتدلى في الهواء، وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: فتدلى فدنا، وفي قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] القاب مقدار المسافة، أي كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود، وقيل: ليس القوس التي يرمى بها، وإنما هي ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبي.

---

(١) **التسهيل لعلوم التنزيل**، ابن جزي الكلبي، (٣١٦/٢).

وقال: إنه من لغة أهل الحجاز، وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين.

(٣٠) الإمام المحدِّث

الحسين بن محمد عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)

قال في كتابه « شرح المشكاة»[١] ومثله في « فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب »: وكذلك اختلفوا في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[سورة النجم] فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي مقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ، وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه، أو من الله تعالى، والدنو والتدلي على هذا متأول، ليس على وجهه.

---

(١) **شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن**، الطيبي، (٣٥٧٩/١١).

(٣١) المفسِّر القارئ أحمد بن يوسف السَّمِين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)

قال في كتابه «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ»[١]: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[سورة النجم] فالمراد جبريل.

وفي موضع آخر قال: كقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[سورة النجم] أي جعلنا ذلك كناية عن قرب رحمته وإنعامه على عبده، ويجوز أن يكون ذلك بالذات إن جعلنا ضمير الفاعل لجبريل أو محمد ﷺ.

(٣٢) المفسر الحنبلي أبو حفص
سراج الدين عمر بن عادل الدمشقي (ت ٧٧٥هـ)

قال في كتابه «اللباب في علوم الكتاب[٢]» في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] وجوه: أشهرها: أن جبريل ﷺ دنا من النبيَّ ﷺ أي بعد ما مد جناحه.

---

(١) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي، (٢/٢٢).

(٢) **اللباب في علوم الكتاب**، ابن عادل الدمشقي، (١٨/١٦٢).

(٣٣) الفقيه الحنفيّ المحدِّث

شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت ٧٨٦هـ)

قال في كتابه «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري[١] » قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[سورة النجم] فقال المراد منه قربه من جبريل، فإن قلت ملاقاة جبريل كانت دائما كذلك قلت لجبريل صورة خاصة خلق عليها لم يره رسول الله ﷺ في تلك الصورة الخلقية إلا هذه المرة ومرة أخرى أيضًا وأما في غير هذه فكان يتشكل كصورة دحية الكلبي وغيرها.

(٣٤) المحدِّث الفقيه المفسر

أبو عبد الله محمد بن خلفة بن عمر الأبّي المالكي (ت ٨٢٧هـ)

وقال في كتابه «شرح صحيح مسلم» في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم]: ولما استحال عليه تعالى التخصيص بالجهة وجب التأويل.

---

(١) **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، شمس الدين الكرماني، (١٧٩/١٣).

(٣٥) اللغوي الأصولي الشافعي أبو عبد الله

شمس الدين شمس الدين البِرْماوي المصري (ت ٨٣١هـ)

قال في كتابه المسمى «اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح[١]» ذاكرًا القول المشهور: حدثنى محمد بن يوسف حدثنا أبو أسامة حدثنا زكرياء بن أبى زائدة عن ابن الأشوع عن الشعبى عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها فأين قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التى هى صورته، فسد الأفق.

(٣٦) شيخ المؤرخين العرب

أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)

قال في كتابه « إمتاع الأسماع [٢]»: قال أبو حاتم: قد أمر الله تعالى جبريل ليلة الإسراء أن يعلم محمّدًا ﷺ ما يجب أن يعلمه كما قال ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النجم] يريد به جبريل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] يريد به جبريل ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] يريد به جبريل.

---

(١) **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، شمس الدين البِرْماوي، (ص/ ٨٣١).

(٢) **إمتاع الأسماع**، المقريزي، (٤٢/٣).

(٣٧) الفقيه الحافظ الشافعي

شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

قال في كتابه « فتح الباري[١]» الذي رءاه النبي ﷺ هو جبريل كما ذهبت إلى ذلك عائشة.

ثم قوله إن الجبار دنا فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وعائشة رضي الله عنها تقول إن الذي دنى فتدلى جبريل انتهى وقد تقدم الجواب عن ذلك وقال أبو الفضل بن طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى بن حزم أن الآفة منه شيء لم يسبق إليه فإن شريكًا قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به وروى عبد الله بن أحمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين لا بأس به وقال بن عدي مشهور من أهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف قال بن طاهر وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال قال وعلى تقدير تسليم تفرده قبل أن يوحى إليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين ولعله أراد أن يقول بعد أن أوحي إليه فقال قبل أن يوحى إليه انتهى وقد سبق إلى التنبيه

---

(١) **فتح الباري لابن حجر**، ابن حجر العسقلاني، (٤٨٥/١٣).

على ما في رواية شريك من المخالفة مسلم في صحيحه فإنه قال بعد أن ساق سنده وبعض المتن ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص وسبق بن حزم أيضًا إلى الكلام في شريك أبو سليمان الخطابي كما قدمته وقال فيه النسائي وأبو محمد بن الجارود ليس بالقوي وكان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه نعم قال محمد بن سعد وأبو داود ثقة فهو مختلف فيه فإذا تفرد عد ما ينفرد به شاذًا وكذا منكرًا على رأي من يقول المنكر والشاذ شيء واحد والأولى التزام ورود المواضع التي خالف فيها غيره والجواب عنها إما بدفع تفرده وإما بتأويله على وفاق الجماعة ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السماوات وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أول كتاب الصلاة.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة وقد سبق الجواب عن ذلك وأجاب بعضهم عن قوله قبل أن يوحى بأن القبلية هنا في أمر مخصوص وليست مطلقة واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلًا أي أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به ويؤيده قوله في حديث الزهري فرج سقف بيتي.

الثالث: كونه منامًا وقد سبق الجواب عنه أيضًا بما فيه غنية.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم.

الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره كما بينت ذلك في شرح رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة وقد أشرت إليه أيضًا هنا.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدم التنبيه عليه.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قوله فعلا به الجبار فقال وهو مكانه وقد تقدم ما فيه.

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع

وكذا قوله في موضع آخر: "فَعَلَا بِهِ إلى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ" وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"[1]، ما نصه: "والمكان لا يضاف إلى الله تعالى، إنما هو مكان النبي ﷺ في مقامه الأول" اهـ.

(٣٨) الحافظ المحدث المؤرخ

بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)

قال في كتابه «عمدة القاري شرح صحيح البخاري[2]»: حدثني محمد بن يوسف قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا زكرياء بن أبي زائدة عن ابن الأشوع عن الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق.

---

(١) **فتح الباري**، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [سورة النساء]، (١٣\٤٩٢).

(٢) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، (١٥/١٤٤).

(٣٩) أستاذ السلطان محمد الفاتح العلّامة

أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (ت ٨٩٣هـ)

قال في كتابه «الكوثر الجاري[١]»: اتفقت الروايات على أن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ ۝٩﴾ [سورة النجم] قرب جبريل منه، لأن القرب المكاني من الله تعالى محال، هذا مما يجب الإيمان به، وإن قال أحد غير هذا فضلالة، قال بعض الفضلاء: لو صحت تلك الرواية كان محمولًا على التصوير، وتمثيل المعقول بالمحسوس دلالة على أنه في غاية أعلى الرتب، وهذا الذي قاله حسن لو صحت الرواية.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قال ابن مسعود: أنه رأى جبريل له ستمائة جناح وفي غير البخاري: «**تتناثر من ريشه الدر والياقوت**[٢]».

وقال: عن ابن الأشوع اسمه سعيد قلت: أين قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] ظن أن هذا الدّنو من الله تعالى، والصواب ما قالته عائشة.

---

(١) **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري**، أحمد بن إسماعيل الكَوْرَاني، (١٨٣/٦).

(٢) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، (٣٣٧/١٤).

(٤٠) العالم الجليل المتبحر صاحب الفنون الكثيرة

عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

قال في كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور[١]»: وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم.

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل والدر والياقوت.

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] قال: رأى النبي ﷺ جبريل له ستمائة جناح.

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا

---

(١) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، (٦٤٤/٧).

رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال: رأى ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وقال عن عائشة: قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] يعني جبريل إلى محمد.

(٤١) الفقيه القارئ شهاب الدين
أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)

قال في كتابه المسمى «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية[١]»: وهذا الدنو والتدلى المذكور فى هذا الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلى المذكور فى قوله تعالى فى سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة النجم]، وإن اتفقا فى اللفظ فإن الصحيح أن المراد فى الآية جبريل، لأنه الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النجم]، هكذا فسره النبى ﷺ فى الحديث الصحيح.

---

(١) **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، القسطلاني، (٤٨٥/٢).

(٤٢) القاضي الفقية المؤرخ الحنبلي
أَبُو اليُمْن عبد الرحمن العُلَيْمي (ت ٩٢٨هـ)

-٤١- قال في كتابه «فتح الرحمن في تفسير القرءان[١]» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴿٨﴾﴾ [سورة النجم] قرب جبريل من محمد ﴿فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾﴾ زاد في القرب، والأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سدرة المنتهى.

(٤٣) المحدِّث الفقيه محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)

قال في كتابه «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد[٢]»: في الكلام على قوله تعالى:﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم]، قال الإمام الرازي: فيه وجوه: الأول: وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبي ﷺ، أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها، وقرب من النبي ﷺ وقال القرطبي: أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى فتدلى على النبي ﷺ، المعنى أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك، رده الله تعالى إلى صورة آدمي حين قرب من النبي ﷺ بالوحي. هذا قول الجمهور، انتهى.

---

(١) **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، أَبُو اليُمْن العُلَيْمي، (٤٣٤/٦).

(٢) **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، الصالحي الشامي، (٤١/٣).

(٤٤) الفقيه الحنفي الماتريدي الصوفي نور الدين
أبو الحسن علي بن سلطان ملا علي القاري الهروي (ت ١٠١٤هـ)

قال في كتابه « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح[١] »: وكذلك اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم] فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام.

وقال في كتابه « شرح الشفا[٢] »: فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام إذ قد دنا كل منهما من الآخر أو مختص بأحدهما أي بأن محمّدًا أو جبريل دنا من الآخر وفيه أنه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر، قال النووي المراد بالقاب في الآية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم أن من ذهب إلى أن الدنو والتدلي ما بين محمد وجبريل يقول المعنى دنا جبريل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى أي نزل عليه وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأله أن يراه على صورته التي جبل عليها فقال لن نقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعني فواعده فخرج النبي ﷺ للوقت فإذا جبريل قد استوى له أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالأفق الأعلى أي في جانب المشرق في أقصى الدنيا عند مطلع

---

(١) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الملا على القاري، (٣٦٠٥/٩).

(٢) **شرح الشفا**، الملا على القاري، (٤٣٩/١).

الشمس فسد الأفق من المغرب فلما رءاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبر وخر مغشيًا فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى إذا دنا منه قدر قوسين أفاق فرآه في صورة الآدميين كما في سائر الأوقات فضمه إلى نفسه وقال لا تخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننت أن أحدًا من خلق الله هكذا.

(٤٥) القِنَّوْجِي (١٣٠٧هـ) المُتذَبذِبُ حبيبُ الوهّابيّة نُورِدُ قولَه لإثبات التّأويلِ وأنّه لم يحمِل هذه الآيةَ على ظاهرِها، وهو دليل على تناقضهم

قال في كتابه «فتح البيان في مقاصد القرءان[1]»: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [سورة النجم] أي جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى، أي قرب من الأرض ﴿فَتَدَلَّى﴾ أي فنزل على النبي ﷺ بالوحي، وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير. ثم تدلى فدنا، قاله ابن الأنباري وغيره قال الزجاج: معنى دنا فتدلى واحد أي قرب وزاد في القرب، كما تقول دنا مني فلان، وقرب ولو قلت: قرب مني ودنا جاز قال الفراء الفاء في فتدلى بمعنى الواو، والتقدير تدلى جبريل ودنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا، أن تقدم أيهما شئت قال الجمهور: والذي دنا فتدلى هو جبريل، وقيل هو النبي ﷺ قال ابن عباس: هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه والمعنى دنا منه أمره وحكمه، والأول أولى.

---

(١) **فتح البيان في مقاصد القرآن**، صديق حسن خان، (٢٤٧/١٣).

(٤٦) العالم الحبر العلامة المحدث الأصولي

الفقيه الشافعي الأشعري الشيخ عبدالله الهرري (ت ١٤٢٩هـ)

قال المؤلف رحمه الله في كتابه المسمى «الشرح القويم[١]»: وأمَّا قولُه تَعَالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، فَالمَقصُودُ بِهَذِهِ الآيةِ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلامُ حَيْثُ رَءاهُ الرسول ﷺ بمكةَ بمكانٍ يقالُ له أجيادٌ وله سِتُّمائَةِ جَنَاحٍ سادًّا عُظْمُ خَلْقِه مَا بَيْنَ الأُفُقِ، كَما رَءاهُ مَرّةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى، كَما قالَ تَعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [سورة النجم].

الشرح: معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، أن جبريلَ عليه السلام اقتربَ من سيدنا محمدٍ فتدلى إليه فكانَ ما بينهما من المسافةِ بمقدارِ ذِرَاعينِ بل أقربَ، وقد تدلَّى جبريلُ عليه السلام إلى محمد ودَنَا منه فَرَحًا به.

وليس الأمرُ كما يفتري بعضُ الناس أن الله تعالى دَنَا بذاتِهِ من محمدٍ فكان بين محمدٍ وبين الله كما بين الحاجِبِ والحاجِبِ أو قدرَ ذراعين لأن إثباتَ المسافةِ لله تعالى إثباتٌ للمكانِ وهو من صفاتِ الخلق، أما الخالقُ فهو موجودٌ بلا كيفٍ ولا مكانٍ، لا يكون بينه وبين خلقِهِ مسافةٌ فالعرشُ الذي هو أعلى المخلوقات والفرشُ الذي هو منتهى المخلوقاتِ في الجهةِ السُّفلى على حدٍّ

---

(١) **الشرح القويم**، عبدالله الهرري، (ص/١٤٧).

سواءٍ بالنسبة إلى ذات الله. فلا يجوزُ اعتقادُ القُربِ المكاني الذي هو قربٌ بالمسافة في حقّ الله تعالى، وإنما يمتازُ العرشُ وما يليه من السَّماوات بكونه مسكَنَ الملائكة الذين لا يعصونَ الله ما أَمَرَهُم وبفضائلَ أخرى، أما بالنّسبةِ إلى ذات الله فليسَ العرشُ قريبًا من الله بالمسافة قربًا يجعلُهُ بعيدًا من الفرش. فقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤﴾ [سورة النجم].أي اجتمع مرةً ثانيةً بجبريل هناك، لأن جبريلَ لا يتجاوز سِدرةَ المنتهى، فإنَّ جبريلَ سفيرٌ بين الله وبين أنبيائه وبين ملائكة السماوات السبع، فهو الذي يبلّغ الوحي للملائكةِ وللأنبياءِ لأنه يسمع كلام الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا بل كلام أزليّ أبدي ليس فيه تقطع ليس شيئًا يسبق بعضه بعضًا ويتأخر بعضه عن بعض كالكلام الصوتيّ. والأحاديث التي فيها نسبة الصوت إلى الله ردَّها الحافظ أبو الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي سردها وضعّفها بعلل في جزء خاص ألَّفه لهذا الغرض.

وأما الحديثُ الذي رواه البخاري في صحيحه: «**وَدَنَا الجبارُ ربُّ العزة فتدلّى حتى كانَ منه قاب قوسين أو أدنى**» فهذه الروايةُ طعنَ فيها بعض الحفاظ كعبد الحق وغيرِه، وقال بعضهم: ليس دنوًّا حسيًّا وإنما هو مزيد إكرامٍ وتقريبٍ في الدرجات، وأما حملُهُ على الظاهرِ فكل أهل السنة يردُّونه بل يجعلونَ ذلك تشبيهًا لله بخلقه كما ذكرَ ذلك الحافظُ ابن حجر العسقلانيُّ في شرح البخاري.

فائدة في القول الآخر المرجوح في الآية عند أهل السنة

ومن هنا نذكر قولًا آخرًا للعلماء وهو الرؤية المعنوية بلا كيف ولا مكان لكنه قول مرجوح ويروى عن جعفر الصادق وممن ذكره ابن الجَوزِي فقد قال في «زاد المسير في عِلم التفسير» تَعْلِيقًا عَلى قَول مَن قال إن «دَنا» مَعناهُ «دَنا الرَبّ»: «وقَد كَشَفْتُ هذا الوَجْهَ في كِتابِ الْمُغْنِي وبَيّنْتُ أنه لَيْسَ كمَا يَخْطُرُ بالبَالِ مِن قُرْبِ الأَجْسَامِ وقَطْعِ الْمَسَافَةِ، لأنّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بالأَجْسَامِ، واللهُ مُنَزّهٌ عَن ذَلِكَ، وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم] يعني: حيث الوتر من القوس، يعني ربه تبارك وتعالى من جبريل عليه السلام. قلت: فعلى هذه الطريقة المراد بالقرب المذكور في الآية قرب من حيث الكرامة لا من حيث المكان، ألا تراه قال: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [سورة النجم]، وإنما يتصور الأدنى من قاب قوسين في الكرامة، وهو كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ ۝١٨٦﴾ [سورة البقرة] يعني: بالإجابة، ألا تراه قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[سورة البقرة] وقد قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة الواقعة]، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾[سورة ق] وإنما أراد بالعلم والقدرة لا قرب البقعة، ونظيره من الحديث.

بيان فساد حال المجسِّمة وتخَبّطهم

الوهابية الحشوية المجسمة المشبهة هم أناس متناقضون متنازعون مختلفون أولوا آراء متعددة كل واحد منهم اتَّبع هواه وجعل الدين كالكرة من هذا إلى هذا ولا يصيب أحد منهم الهدف، بل تراهم يحاربون العقل يكثرون الكلام ولا تعي منهم مذهبهم تراهم يتسترون بكلام بعض العلماء ويحملونه على هواهم ويحرفون بل يتفنون في تحريف الدين وتحريف معاني كتاب الله وكلام نبيه وكلام السلف والخلف فجاؤوا بلاد المسلمين ولبسوا لباسهم والإسلام يتبرأ منهم يقولون مرة الله في السماء بذاته ومرة هو في العرش حقيقة ومرة ينزل ومرة يدنو ومرة هو معك أينما كنت حقيقة ويخرجون كتبًا أسماؤها صريحة في الكفر ككتابهم المسمى: إثبات الحد لله وبأنه قاعد وجالس على عرشه لأبي محمد محمود بن أبي قاسم الدشني ويذيلونه بكتاب اسمه الرد على منكر الحد أخذوه من كتاب شيخهم إمام المجسمة ابن تيمية المسمى: بيان تلبيس الجهمية ففي الكتاب الأول يقول: ولا دين لمن لا يرى لله الحد، لأنه يُسقط من بينه وبين الله الحاجز، والحجاب، والإشارات، والخطاب. وزد على هذا يذمون الأشعرية ويقولون ضلال زنادقة وفي نونية ابن القيم يقول فيها أبيات تقشعر لها الأبدان وينفيها أهل الإيمان يقول فيها:

وإليه قـد عـرج الرسـول حقيقـة وكذا ابن مـريم مصـعد الأبـدان

وكـــذاك قـــالوا إنـــه بـــالذات فـــو ق العـــرش قدرتـــه بكـــل مـــكان
وكـــذاك يـــنزل كل آخـــر لَيْلَـــة نَحْـــو السَّـــمَاء فهاهنـــا جهتـــان
وَالله أكـــبر مـــن رقى فَـــوق الطبـــا ق رَسُـــوله فَـــدَنَا مـــن الديَّـــان

ويقول:

وإليه قد عرج الرســول فقدرت من قـربـه مـن ربـه قـوســـان
وإليـه قـد رفع المســيح حقيقـة ولســـوف ينزل كي يرى بعيـان
وإليه تصـــعد روح كل مصـــدق عنـد المـمـات فتنثني بـأمـان
وإليـه آمـال الـعبـاد تـوجهـت نحـو الـعـلـو بـلا تـواص ثـان

ويقول:

واليـه قـد عرج الرَّسُـــول حَقِيقَـة لَا تنكروا الْمِعْرَاج بالبهتان
ودنـا مـن الْجَـبَّـار جـلّ جَـلَاله ودنا اليه الرب ذُو الاحســـان
وَالله قد أحصى الَّذِي قد قُلْتُمْ فِي ذَلِـك الْـمِـعْـرَاج بـالمـيزان
قالوا الذي تبغيه فوق عباده فوق الســـمـاء فوق كل مكان
وهو الذي حقًا على العرش استوى لـكـنـه اســـتولى على الأكوان
وإليـه يصـــعـد كل قـول طيـب وإليه يرفع سـعي ذي الشـكران
والـروح والأمـلاك مـنـه تـنزلـت وإليـه تـعـرج عـنـد كل أوان
وإليـه أيـدي الســـائلين توجهـت نحـو الـعـلـو بـفـطـرة الـرحمـن

ويقول محمد خليل هراس في شرح قول شيخه المجسم ابن القيم في النونية "كل يحاضر ربه ويداني": "ويكونون في قربهم من ربهم على قدر قربهم من الإمام" ويقول المقام المحمود هو أن يجلس الله رسوله معه على العرش والعياذ بالله تعالى من التجسيم الصريح كيف هذا فأي تخبط هذه ؟؟ ما هذه الفضيحة ؟؟ وفي نفس النونية يقول هو "ينزل كل آخر لَيْلَة" ويقول في موضع آخر "والله فوق العرش جل جلاله " ويقول " فوق السماء فوق كل مكان" ويقول أن الرسول عرج إليه فصار بقربه قاب قوسين ما هذا التناقض العجيب.

ويقول ابن تيمية الحراني في كتابه شرح حديث النزول من التخبط : "فليعقل أنه فوق العرش وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش، فإن هذا أقرب إلى العقل مما إذا قلت إنه حال في العالم.

ثم في كتاب فتاوى العقيدة لذنب ابن تيمية محمد بن صالح بن عثيمين عندما سئل بناء على أصلهم الفاسد أن الله ينزل ويتحرك بذاته قيل له هل يخلو منه العرش حين ينزل أم لا قال: "هذا تنطع قل ينزل سواء يخلو أو ما يخلو هذا ليس إليك أنت مأمور أن تصدق الخبر" وفي موضع آخر يقول " الذي ينزل هو الله نفسه" و في موضع آخر يقول " نزول الله تعالى في وقت معلوم، حدده وعينه رسول الله ﷺ بثلث الليل" وهذا تكذيب للقرءان وتكذيب لأقوال العلماء وتحديدًا قول الطحاوي في عقيدته " ولا يجري عليه زمان".

الوجوب المؤكَّد في التحذير من الأباطيل والافتراءات التي تُفتَرى على ديننا الحنيف في قصة المعراج

١- يجب التحذير من قول الكفار إن الله يسكن السماء أو إن الله جالس على العرش.

٢- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ليلة المعراج وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله.

٣- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ليلة المعراج اقترب من الله بالمسافة والمكان حتى صار منه كالحاجب من الحاجب.

٤- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول في المعراج وصل إلى مكان فأزيح له الستار فدخل فاجتمع بربه خلف الستار.

٥- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول في المعراج وصل إلى مكان رأى الله يصلي فيه ويزيد هنا بعض الكفار فيقول "طوبى لك أيها المصلي فالله يصلي والنبي يصلي والملائكة يصلون فأنت في صف الله".

٦- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول في المعراج أزيح له الستار فدخل وصار بينه وبين الله والملائكة حوار التحيات[١].

٧- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ليلة المعراج اخترق آلافًا من حجب النور والنار والهيبة ثم وصل إلى مكان خلف تلك الحجب فرأى الله تعالى.

٨- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول رأى الله في المعراج بصورة شاب أمرد.

٩- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول رأى الله في المعراج بهيئة نور عظيم حتى خاض النبي في ذلك النور الذي هو الله بزعمهم.

---

(١) كان بعض أصحاب رسولِ الله ﷺ يقولُ قبل أن تُفرضَ عليهم صيغةُ التشهُّد السَّلامُ على الله، السَّلامُ على جبريلَ، السَّلامُ على ميكائيل، ثُمَّ قال لهم رسولُ الله ﷺ **إنَّ الله هو السَّلامُ** وعلَّمهم أَنْ يقولوا **السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه** ؛ ففي هذا دليلٌ على أن ما يقوله بعضُ الناس من أَنَّ النَّبيّ ﷺ لمَّا وصل في عُروجه إلى المكان الذي سَمِع فيه خطاب الله تبارك وتعالى قال التحيَّات لله فقال الله السَّلامُ عليكَ أَيُّها النَّبيّ ورحمةُ الله غيرُ صحيح لأنه لم تُفْرض تلك الليلة هذه الصيغة، إِنَّما يروي بعضُ الرواة الكذَّابين تلك القصَّة، وقد نالت مع كونها مكذوبةً على الله والرسول شُهرةً كبيرةً فيجب بيانُ ذلك للناس.

١٠- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول استوحش في المعراج فكلمه الله بصوت أبي بكر الصديق.

١١- يجب التحذير من قول لما وصل جبريل والرسول إلى ما بعد سدرة المنتهى قال جبريل "هنا يفارق الخليل خليله لو تقدمت لاحترقت" فإن قاله على وجه الاستخفاف بسيدنا جبريل أو انتقاصًا بقدره العظيم أو أنه يحترق ويموت حقيقة كفر، وأصل الخبر لم يرد في حديث صحيح أما من أورده من غير اعتقاد ولا فهم لهذه المعاني التي حذرنا منها فلا يكفر.

١٢- يجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ﷺ دنا من الله حتى صار بينهما من المسافة قدر ذراعين أو أقل.

وكل ما سبق من هذه الأقوال فيه تكذيب للقرءان والسنة وللإجماع يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] وقال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم]، وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[سورة الإخلاص]، وقال الطحاوي ناقلًا في ذلك الإجماع: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر"، وقال الإمام الشافعي " المجسم كافر" رواه السيوطي في "الأشباه والنظائر".

تأويل أهل السُّنّة لبعض الآيات التي يحتج المجسِّم بها لإثباتهِ فوقية المكان لله تعالى على زَعمِه

١- **تأويل قوله تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ١٨﴾[سورة الأنعام] الله تعالى وصف نفسه في القرءان بأنه قاهرٌ لعباده.

قال القشيري: «فالرب إذا موصوفٌ بالعلو وفوقيّة الرُتبة والعظمة، ومنزّهٌ عن الكون في مكان أو عن الكون بمحاذاة مكان». وقال: «لولا أنّ هؤلاء المشبهة ضللوا بعض الناس الذين ما تعلموا العلم ما كنتُ لطّختُ هذا الكتاب بذكرهم، وإنما ذكرتهم لأن هؤلاء أضر على الإسلام من اليهود والنصارى ومن المجوس وعبدة الأوثان لأن ضلالات هؤلاء ظاهرة يتجنّبُها المسلمون أما هؤلاء يُوردون آيات من القرءان ويفسّرونها تفسيرًا فاسدًا ليُضلّوا المسلمين، فإذا أخذ إنسان بأقوالهم من وصف الله سبحانه وتعالى بالأعضاء والجلوس والنزول من فوق إلى تحت والاتكاء والاستلقاء والتردد في الجِهات، من أخذ بكلامهم يعتقد في الله تبارك وتعالى الشَّبَه في المخلوقين ويتخيّل بخياله أشياءَ مخلوقة، يصف الله بها، فيعتقد الفضائح، فيأخُذُه السيل وهو لا يدري».

وفي هذا رد على الوهابية المجسمة أتباع ابن تيمية وابن القيم وابن باز[1]، الذين زعموا أن معنى «الأعلى» في حق الله أنه علو بذاته، ونسبوا لله الجسم والحد، فجعلوا الله يسكن السماء ويجلس على العرش والعياذ بالله، وكل هذا تكذيب للقرءان والأحاديث الصريحة في تنزيه الله عن الجهة والمكان.

قالَ أهلُ الحقّ: «ليس الشأنُ في عُلوّ الجهةِ بل الشأنُ في علوّ القدرِ، والفوقية في لغةِ العربِ تأتي على معنيينِ فوقية المكانِ والجهةِ وفوقية القهرِ، قال الله تعالى إخبارًا عن فرعون ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [سورة الأعراف] أي نحنُ فوقَهُم بالقوةِ والسيطرةِ لأنه لا يصحُّ أن يقالَ إن فرعونَ أرادَ بهذا أنه فوقَ رقابِ بني إسرائيلَ إلى جهةِ العلوّ إنما أرادَ أنهُم مقهورونَ لَهُ مغلوبونَ.

فقول الله تعالى إخبارًا عن فرعون الكافر معناه علو القهر. وكذا قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ١٨﴾[سورة الأنعام] أي فوقية القوة والسيطرة وليس فوقية المكان. فلهذا نص العلماء أن الفوقية والعلو إذا أطلق على

---

(١) ابن باز (المجسم) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، عَمِيَ وهو ابن ١٦ عامًا، وتلقى علومه من رؤوس المشبهة المجسمة في عصره، وبدأ بنشر سمومه وله الكثير من الرسائل التي تنضح بتشبيه الله تعالى، ومن كتبه: الكتاب المسمى التحذير من البدع وهو محشوّ بالبدع الغريبة، والكتاب المسمى الفوائد الجلية في المباحثات الفرضية، وغيرهما، توفي سنة ١٤٢٠هـ.

الله فالمراد منه علو قدر وفوقية قهر سبحانه وتعالى وليس علو مكان وجهة لأن الله كان قبل الخلق والمكان والجهات بلا مكان كما أجمع كل علماء أهل السنة على ذلك ونص على ذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه على «صحيح البخاري».

هذا وقد قال أبو عبد الله القرطبي[1]: «ومعنى ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنًى زائدٌ ليس في القدرة، وهو منع غيره من بلوغ المراد».

٢- **تأويل قوله تعالى**: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [سورة النحل] أي عقاب ربهم وعذابه لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم، ففي الكلام حذف، وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة، ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى. دليل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾ [سورة النحل] يعني الملائكة»[2].

---

(١) **الجامع لأحكام القرءان**، القرطبي، (٣٩٩/٦).

(٢) **المصدر السابق**، (١٠/ ١١٣).

٣- **تأويل قوله تعالى**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك] فقد قال الحافظ النووي في «شرح صحيح مسلم» ما نصه[١]: «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم».

ثم قال الإمام القرطبي: «قلت: وكذا قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك] أي ءأمنتم خالق من في السماء».

وعبارة الإمام الجويني كما في كتابه «**الشامل في أصول الدين**» هي[٢]: «ومما يسألون عنه، قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك] وهذا يقرب وجه الكلام في ما سبق».

ثم قال: «ويجوز أن يريد الله بقوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ [سورة الملك] ملكًا، مسلطًا، على عذاب مستوجبِ العذاب، وقد حمله بعض المتأولين على جبريل، فإنه الذي جعله الله جعل قرى قوم لوط عاليها سافلها، واقتلعها من حيث أراد الله، واحتملها على قادمة جناحه إلى أعناق السماء. وهو

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٥/ ٢٤).

(٢) **الشامل في أصول الدين**، الجويني، (ص/٣١٩).

المعني بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [سورة التكوير] وهو الموكل على القرون الخالية وفي وجوه التأويل متسع».

وقد قال أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري في كتابه «**الوسيط**» في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «لاستحالة أن يكون الله في مكان أو موصوفًا بجهة. وأهل المعاني يقولون: من في السماء هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل».

٤- **تأويل قوله تعالى**: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر] أي أنّ الكلم الطّيب كلا إلـٰه إلا الله يصعد إلى محلّ كرامته وهو السّماء، والعمل الصّالح يرفعه أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح وهذا منطبقٌ ومنسجمٌ مع الآية المحكمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ۝١١﴾ [سورة الشورى].

وهذا من المتشابه الذي يعلم معناه الرّاسخون، فالكلم الطّيب هو كلا إلـٰه إلا الله والعمل الصّالح يشمل كلّ عملٍ صالحٍ يتقرّب به إلى الله كنحو الصلاة والصدقة وصلة الرحم، فالمعنى أن كلّ ذلك يصعد إلى الله أي يتقبّله، هذا ليس فيه أن الله له حيّز يتحيز فيه ويسكنه.

٥- **تأويل قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [سورة الصافات] وهو قول نبي الله إبراهيم أي إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي.

قال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في «**فتح الباري**»[1]: «فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء».

٦- **تأويل قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٣٥﴾[سورة النور] معنى هذه الآية أن الله تعالى هادي أهل السماوات والأرض لنور الإيمان، رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتابه «الأسماء والصفات»[2] وقال الحليمي الشافعي كما نقل عنه تلميذه الحافظ البيهقي في نفس الكتاب ما نصه: «وهو الهادي لا يعلم العباد إلا ما علمهم ولا يدركون إلا ما يسّر لهم إدراكه فالحواس والعقل فطرته وخلقه وعطيته»، فالله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء، بل هو الذي خلق النّور، قال تعالى:﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ١﴾ [سورة الأنعام] أي خلق الظلمات والنور، فكيف يُمكن أن يكون نورًا كخلقه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وحكم من يعتقد أن الله تعالى نور أي ضوء التكفير قطعًا. وهذه الآية ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ١﴾ [سورة الأنعام] أصرح دليل على أن الله ليس حجمًا كثيفًا كالسماوات والأرض وليس

---

(١) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٢٤/٧).

(٢) **الأسماء والصفات**، البيهقي، (٨٥/٨٤).

حجمًا لطيفًا كالظلمات والنور، فمن اعتقد أن الله حجم كثيف أو لطيف فقد شبّه الله بخلقه والآية شاهدة على ذلك.

أكثر المشبهة يعتقدون أن الله حجم كثيف وبعضهم يعتقد أنه حجم لطيف حيث قالوا: «إنه نور يتلألأ»، فهذه الآية وحدها تكفي للرد على الفريقين.

وهناك العديد من العقائد الكفرية كاعتقاد أنّ الله تعالى ذو لون أو ذو شكل فليحذر الإنسان من ذلك جهده على أي حال. ويقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] فقوله في ءاخر الآية ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] يفسر أول الآية، ويبين لنا أن الله تعالى عنى بقوله:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] أنه أعطى الإيمان لأهل السماوات وهم الملائكة ولمن شاء من أهل الأرض من الإنس والجن. الإيمان هو نور الله هذا معنى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾[سورة النور] وبعضهم قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] أي منير السماوات والأرض».

وأما الحديث الذي رواه مسلم وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**نورٌ أنى أراه**»[1]. فقد نقل الحافظ العراقي أن أحمد استنكره، ولو صحّ لكان معناه منعني نور مخلوق من رؤية الله بعيني رأسي، والتقدير فاعل لفعل محذوف. ومن فسّر هذا الحديث بالنور الذي هو ضد الظلمة فقد كذّب هذه الآية ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنعام].

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة»[2]: «ألا ترى أنه قال في آخره ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النور] أنه لم يرد بالنور ما فهموا، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[سورة النور] دل أنه ليس على ما فهموه به أنه نور كسائر الأنوار التي عاينوها ويشاهدونها وهم المشبهة، وعلى هذا يُخرّج تأويل ابن عباس».

وقال الفقيه الحنفي الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتابه «**أسرار الشريعة**» ما نصه: «من اعتقد أن الله ضوءٌ ملأ السماوات والأرض فهو كافر وإن زعم أنه مسلم».

٧- **تأويل قوله تعالى**: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة آل عمران] قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه[3]: «قوله

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/ ١١١).

(٢) **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، (٥٦٤/٧).

(٣) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، (٦٠/٨).

تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴿١١٧﴾﴾[سورة المائدة]، ثم قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي متمم عمرك فحينئذ أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن».

ثم نقل الرازي عن بعض المفسرين أنهم قالوا[1]: «إن قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ يقتضي أنه رفعه حيًا، والواو لا تقتضي الترتيب، فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير والمعنى إني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرءان. والمراد بقوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾﴾ أي إلى محل كرامتي وجعل ذلك رفعًا إليه للتفخيم والتعظيم، ومثله قوله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الصافات]، أي إلى طاعة ربي، أي إلى حيث وَجَّهني ربي، إلى مكانٍ أمرني الله أن أذهب إليه، وإنما ذهب إبراهيم عليه الصلاة والسلام من العراق إلى بَرّ الشام لأنه عرفَ، بتعريف الله إياه، أن الشام مهبط الرحمات وأن أكثر الوحي يكونُ بالشام وأن أكثر الأنبياء كانوا بها، وقد يقول السلطان ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي، فكذا ههنا».

---

(١) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، (٨، ٦١).

يقول شيخ المجسمة والمشبهة أحمد بن تيمية الحراني في كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية»[1]: «قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران] وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إليه إلى السماء».

ويقول تلميذه الذي جمع كتبه وعقيدته المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة ابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «نونية ابن قيم» مع شرح الوهابي محمد خليل هراس عليها ما نصه[2]: «وإليه رفع المسيح حقيقة ولسوف ينزل كي يرى بعيان». هذا الوهابي المجسم محمد خليل هراس يقول شارحًا لهذا البيت مفتريًا على الله ودينه وأهل السنة والجماعة: «هذا من جملة كلام أهل السنة والجماعة في إثبات الفوقية لله عز وجل على الحقيقة حيث أخبر سبحانه أنه رفع عيسى عليه السلام إليه بجسده وروحه حيًا كما قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران] ».

وقال مثل ذلك ابن باز مفتي الوهابية مستشهدًا بهذه الآية بزعمه في إثبات الجهة لله تعالى، ذكر ذلك في موقعه الرسمي على الإنترنت.

---

(١) **بيان تلبيس الجهمية**، ابن تيمية الحراني، (٤/٤٥٧).

(٢) **نونية ابن القيّم**، ابن القيّم الجوزية (المجسم)، (ص/٧٠).

ومثل ذلك قال الوهابي محمد العريفي المجسم ناقلًا عن ابن باز كذلك في موقعه الرسمي على الإنترنت.

قال تابعهم عبد الهادي حسن وهبي[1] في كتابه المسمى «غاية البيان في إثبات علو الرحمن» ما نصه[2]: «وليس المراد بأن السماء تحصر الرب وتحويه كما تحوي الشمس والقمر وغيرهما فإن هذا لا يقوله مسلم ولا يعتقده عاقل».

فكيف يتفق هذا مع قول ابن القيم «إن الله رفع المسيح إليه حقيقة»؟ فهم متناقضون يُكَفِّر بعضهم بعضًا.

وقول ابن القيم ومن وافقه إن الله حقيقة في السماء الثانية، يؤدي إلى أن الله محصور بلا شك، وقد كَفَّرَ الإمام جعفر الصادق من يقول ذلك. قال الإمام جعفر رضي الله عنه: «من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان

---

(١) عبد الهادي حسن وهبي (المجسّم)، من دعاة الوهابية. يرأس الجمعية المسماة السراج المنير الإسلامية. من مشايخه: ابن باز، وابن عثيمين، وناصر الدين الألباني. من مصنفاته: المسمى الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، والمسمى الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمسمى غاية البيان في إثبات علو الرحمن. ولد سنة ١٣٧٨هـ، وما زال حيّا.

(٢) **المسمى غاية البيان في إثبات علو الرحمن**، عبد الهادي وهبي، (ص/٢٧).

من شيء لكان محدثًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا». رواه القشيري في الرسالة القشيرية[1].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾ [سورة الأنبياء].

فهل الله بزعمكم يكون طاويًا ومطويًا في آن واحد.

فلا مفر ولا مهرب للوهابية وأئمتها من الكفر والضلال إلا بأن يتركوا ما هم عليه ويرجعوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة من التنزيه والتوحيد.

(١) **الرسالة القشيرية**، القشيري، (ص/٤٦).

تأويل أهل السُّنّة لبعض الأحاديث التي يحتج المجسِّم بها لإثباتهِ فوقية المكان لله تعالى على زَعمِه

١- **تأويل حديث: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»** رواه مسلم[١] يحمل أيضًا على الملائكة بدليل الرواية الثانية الصحيحة التي رواها ابن حبان[٢] وغيره، والتي هي أشهر من هذه وهي: «لعنتها الملائكة حتى تصبح».

قال شارح البخاري أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني[٣]: «الذي نفسي بيده أي بتقديره وتدبيره».

وأما ما ورد عن مجاهد في تفسير المقام المحمود بأنه إجلاس الله للنبي معه على عرشه فليس فيه حجة قال بعض الحفاظ: أما رفع ذلك إلى النبي ﷺ فباطل، وكذا ما ورد عن عائشة، قال الحافظ ابن الجوزي[٤]: «قلت: هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ».

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم ، كتاب النكاح، (١٥٧/٤).

(٢) **صحيح ابن حبان**، ابن حبّان، (٩/ ٤٨٠).

(٣) **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، القسطلاني، (٢٨٧/٢).

(٤) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، حديث (٣٩).

وأما ما أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال أحد صغار التابعين أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بذلك أهل الجمع فلا حجة فيه أيضًا فإنه مرسل[1]، وكذلك ما أخرجه الطبري عن عبد الله بن سلام أن محمّدًا يوم القيامة على كرسي الرب بين يدي الرب.

قلنا: الجواب يكفي لعدم إثبات صورة لله بهذه المرويات أن الصفة عند العلماء لا تثبت بقول صحابي أو تابعي إنما تثبت الصفة لله بالكتاب والأحاديث المرفوعة الصحاح، فهذه القاعدة تريح من تكلف الجواب عن بعض ما يروى عن أفراد الصحابة والتابعين.

قال الشاعر:

اللهُ لـــيسَ يُشـــبِهُ العَـــوَالِمْ سُـــبْحانَهُ مِـــنْ كُلِ نَقْـــصٍ سَـــالِمْ

الوجـــهُ ثـــم العـــينُ واليـــدانِ قـــد نُسِـــبَتْ إليـــهِ في القُـــرءانِ

جَمِيعُهـــا مِـــنْ صِـــفَةِ الإنســـانِ اللفـــــظُ واحِـــــدٌ وَمَعْنَيـــــانِ

فَـــنزّهِ اللهَ عَـــنِ النُقصَـــانِ واســـمَعْ مَـــعِي مَقَالـــةَ العـــدْناني

(١) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (٨/ ٤٠٠).

يقــولُ نفـــسي بِيَـدِ الـرّحمنِ مِـــنْ قُـــوةِ التّســـليمِ والإيمـــانِ

مَعـنى اليـدِ التـدبيرُ والتقـديرُ وَمُحْكَـــــمِ الآيِ لذا يُشـــــيرُ

تـأتي بِمَعْـنى الحفْـظِ والعِنَايـهْ وَتَقْتَضـــي الإكـــرامَ والرّعَايـــهْ

٢- **أما تأويل الحديث** الذي رواه البخاريّ[١] رحمه الله: «عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا أمشي معه إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عمر، كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كَنَفَه، قال: فذكر صحيفته فيقرّره بذنوبه: هل تعرف؟ فيقول: ربّ أعرف، حتى يبلغ به ما شاء أن يبلغ، فيقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر فينادى على رؤوس الأشهاد، قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة هود]، قال ابن المبارك: **كنفه يعني ستره**».

وقال ابن حجر العسقلاني في «**الفتح**» ما نصه[٢]: «**يدنو المؤمن من ربه**: أي يقرب منه قربَ كرامةٍ وعلوَ منزلةٍ. قوله «**حتى يضع كنفه**» بفتح

---

(١) **خلق أفعال العباد**، البخاري، (ص/٧٨).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (١٠/ ٤٨٨).

الكاف والنون بعدها فاء أي جانبه. والكنف أيضًا السترُ وهو المراد هنا، والأول مجاز في حق الله تعالى كما يقال فلان في كنف فلان أي في حمايته وكلاءته».

٣- **تأويل حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**[١]:

قال الحافظ النووي في تفسير هذا الحديث ما نصه[٢]: «قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»، القرب ههنا من الله معناه: من رحمة ربه وفضله».

وقال الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي في شرح هذا الحديث ما نصه[٣]: «**أقرب ما** مبتدأ حذف خبره لسدّ الحال مسدّه **يكون العبد** أي الإنسان **من ربه وهو ساجد** أي أقرب ما يكون من رحمة ربه حاصل في حال كونه ساجدًا، **فأكثروا الدعاء** في السجود لأنها حالة غاية التذلل وكمال القرب».

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (٢/ ٤٩).

(٢) **شرح مسلم للنووي**، النووي، (٤/ ٢٠٠).

(٣) **التيسير بشرح الجامع الصغير**، المناوي، (١/ ٣٩١).

وقال أبو محمد محمود بدر الدين العيني ما نصه[1]: «قال ﷺ: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثِرُوا الدعاءَ**»[2]، معناه أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله».

وقال الحافظ السيوطي ما نصه[3]: « قوله ﷺ **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،** قال القرطبي: هذا أقرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة لأنه منزه عن المكان والمساحة والزمان. وقال البدر بن الصاحب في تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى وأن العبد في انخفاضه غاية الانخفاض يكون أقرب ما يكون إلى الله تعالى».

وقال القاضي أبو الفضل عياض المالكي ما نصه[4]: «قوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» معناه من رحمته وإجابته.

وقال ولي الدين أبو عبد الله محمد الخطيب العمري التبريزي ما نصه[5]: « قوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، فربما يتوهم قرب المسافة فندب «سجان ربي الأعلى»[6] دفعًا لذلك التوهم.

---

(١) **شرح سنن أبي داود**، العيني، (٤/ ٨٢).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٢/ ٤٩).

(٣) **شرح السيوطي لسنن النسائي**، السيوطي، (٢/ ٢٢٦).

(٤) **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي عياض، (٢/ ١٧٧).

(٥) **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المباركفوري، (٣/ ٣٩٨)، نقله عن التبريزي.

(٦) المراد بالأعلى علو العظمة والقدر وليس علو المكان.

٤- **تأويل حديث «يدنو أحدكم من ربه»:**

عن صفوان بن محرزٍ[١] أنّ رجلًا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النّجوى قال: «**يدنو أحدكم من ربّه حتّى يضع كنفه عليه** فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرّره ثمّ يقول إنّي سترت عليك في الدّنيا فأنا أغفرها لك اليوم»[٢].

قال ابن بطال في «**شرح صحيح البخاري**»[٣] ما نصه: «قال المهلب: أما قوله في حديث النجوى: «**يدنو أحدكم من ربه**» فقال ابن فورك: معناه يقرب من رحمته وكرامته ولطفه لاستحالة حمله على قرب المسافة والنهاية إذ لا يجوز ذلك على الله لأنه لا يحويه مكان، ولا يحيط به موضع، ولا تقع عليه الحدود، والعرب تقول: فلان قريب من فلان يريدون قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده».

---

(١) صفوان بن مُحْرِز، المازنيّ البصريّ العابد، أحد الأعلام. حدّث عن أبي موسى الأشعريّ، وعِمران بن الحُصَيْن، وابن عمر وغيرهم، وروى عنه جامع بن شدّاد، وقتادة، وثابت، ومحمّد بن واسع وآخرون. قال ابن سعد: ثقة، له فضل وورع. وقال غيره: كان واعظًا، قانتًا لله، قد اتخذ لنفسه خندقًا يبكي فيه. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، (٤/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، (٥/ ٢٢٥٤).

(٣) **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، (٩/ ٢٦٣).

وأما قوله: «**فيضع الجبار عليه كنفه**»، أقول وهذا اللفظ من رواية أخرى كما نقلها الحافظ ابن بطال فإنه يبين ما أشرنا اليه فى معنى الدنو أنه على تأويل قرب المنزلة والدرجة، وذلك أن لفظ الكنف إنما يستعمل فى مثل هذا المعنى، ألا ترى أنه يقال: أنا في كنف فلان إذا أراد أن يعرف إسباغ فضله عليه وتوقيره عنده.

قال الحافظ ابن الجوزي ما نصه[١]: «الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا تتبعض ولا يحويها مكان ولا يوصف بالتغير ولا بالانتقال».

٥- **تأويل حديث «نورٌ أنّى أراه»**:[٢]

عن أبي ذرٍّ قال سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربّك؟ قال: «**نورٌ أنّى أراه**».

وفي حديث أخر: فقال ﷺ: «**رأيت نورًا**»[٣].

ومعنى قوله ﷺ «**نورٌ أنَّى أراهُ**»[٤] أي نور من الأنوار المخلوقة حال دون أن أرى الله ببصري. وليس في قوله عليه السلام «**نورٌ أنَّى أراهُ**» وقوله «**رأيت نورًا**» نفي للرؤية بالفؤاد، بل هذان الحديثان فيهما نفي الرؤية

---

(١) **الباز الأشهب**، ابن الجوزي، (ص/٨٣ -٨٦).

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/ ١١١).

(٣) **المصدر نفسه**.

(٤) هذه من جملة الأحاديث التي انتقدها الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة رضي الله عنه، كما نقل ذلك الحافظ الزبيدي عن الحافظ العراقي عن الإمام أحمد. الزبيدي في كتاب **إتحاف السادة المتقين**، (٩/ ٥٨٠).

البصرية. والرؤية بالفؤاد هنا لا تعني العلمَ، بل معناها أن النبي ﷺ مكّنه الله من رؤيته بقلبه وهذا تخصيص من الله تعالى.

ولا يجوز أن يُتوهم من قوله ﷺ «نور» أنّ الله نور أي ضوء، فإن النور والظلمة مخلوقان، قال الله تعالى في سورة الأنعام﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [سورة الأنعام] أي خلقهما.

فلا يُتوهمْ أنه تعالى جسم نوراني ينبثّ منه أشعة نورانية كالشمس ولا يجوز أن يُتوهم ذلك أيضًا من قوله تعالى﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ۝٦٩﴾ [سورة الزمر] لأن معناه بحكم ربها، لأنه لا حكم لأحد يوم القيامة إلا لله، وفي تفسير ءاخر: نور مخلوق لله تشرق الأرض به يوم القيامة. وكذلك ما ورد عن أبي المعلّق الأنصاري[1] رضي الله عنه أن ملَكًا علمه ما يقوله المكروب ونحوه بعد أربع ركعات «يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالًا لما يريد، أسألك بعزتك التي لا تُرام وملكِكَ الذي لا يُضام وبنورِك الذي ملأ أركان عرشِكَ» إلخ لا يجوز أن يُتوهم منه أن لله نورًا متصلًا بذاته ينتشر حتى يملأ جوانب العرش، بل المعنى أن هناك نورًا عظيمًا خلقه الله يَعُم أركان العرش أضيف إلى الله تشريفًا لهذا النور كإضافة البيت إلى الله في قوله﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ۝١٢٥﴾ [سورة البقرة].

---

(١) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، (١٨٢/٤).

قال الشاعر:

إنَّ أبا ذَرٍ روَى عَنْ طه ... قَالَ لِطَه هَلْ رأيتَ اللهَ

قَالَ رَسُولُنا: رأيتُ نُورا ... وَلَمْ يُعَارِضْ مَا أتى في الشُّورى

أيْ حَالَ ضَوْءٌ دُونَ أنْ يَرَاهُ ... فَمَا اسْتَطَاعَتْ أنْ تَـرى عَيـنَاهُ

رُؤيَتُهُ بِعَيْنِهِ مَنْفِيّهْ ... صَحَّتْ بِقلْبِهِ بِلا كَيفِيّهْ

إنْ أُطْلِقَ النُّورُ على الجَلِيلِ ... لا بُدَّ عِنْدَها مِنَ التَّأويلِ

فَأوِّلِ النُّورَ بِمَعنى الهادي ... مَنْ قَالَ ضَوءٌ زَادَ في الإلحَادِ

نصَّ عَليهِ العَلَمُ النبراسُ ... أبوهُ عمُّ المصطفى العبّاسُ

٦- **تأويل حديث «فيَكْشف الحجاب»:**

قال رسول الله ﷺ عن رؤية أهل الجنة لله تعالى: «**فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»[1]. فالمحجوبون هم أهل الجنة إذ لا يليق بجلاله أن يحجبه حجاب والمؤمنون يرونه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ولا يكون الله في مكان.

---

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، (١/ ١١٢).

قال شارح مسلم محمد بن خليفة الوشتاني الأُبي[1]: «قوله: «**فيكشف الحجاب**» أي يزيل الموانع التي تمنع رؤيته سبحانه وتسميتها حجابًا استعارة والمحجوب بها الخلق كما تقدم، وقد تقدم معنى رفع الحجاب بتوسع قريبًا فانظره فإنه مفيد جدًا قوله: **فما اعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**، رؤيته سبحانه في الآخرة جائزة عقلًا وأجمع على وقوعها أهل السنة للآي ومتواتر الأحاديث».

قال الشاعر:

بَعْـــدَ دُخُـــولِ المـــؤمِنينَ الجَنَّـــهْ ... سَـــوفَ يَـــرَوْنَ رَبَّهـــم ذا المِنَّـــهْ

وفي الحَـــديثِ يُكشَـــفُ الحِجـــابُ ... يَـــرَوْنَ ربَّهـــم ولـــن يَرتَـــابُوا

الخَلْـــقُ هُـــمْ مَـــنْ حُجِبُـــوا بالمـــانِعْ ... وَلَـــيْسَ يُحجَـــبُ الإلهُ الصَّـــانِعْ

لا يَجِـــــدُونَ إذْ يَـــــرَوْنَ الرَّبّـــــا ... شـــيئًا إلى نُفُوسِـــهِمْ أَحَبّـــا[2].

---

(١) **إكمال المعلم**، الوشتاني الأبيّ، (١/ ٥٥٤).

(٢) ومن أراد الاستفاضة والاستفادة فليتمعن في كتابنا النفيس " معجم أهل التأويل" ففيه ما فيه من تأويلات أهل السنة والجماعة في الآيات والأحاديث التي قد يتخذها حجة له المجسم والجاهل والدين برىء مما يقول ذاك المجسم والجاهل.

الحكمُ بِكُفر المجسِّمة
عند علماء المذاهب الأربعة

يقول قاضي القضاة الحافظ تاج الدين السبكيّ[1]: «وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السّنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السّنة والجماعة أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرّأ الله المالكية فلم نر مالكيًّا إلا أشعريَّ العقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعرية هي ما تضمّنته عقيدة أبي جعفر الطحاويّ التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة».

الفصل الأول: تكفير الفقهاء الحنفِيّة للمجسم:

قال الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ) رضي الله عنه[2]: «من اعتقد حدوثَ صفة من صفات الله أو شكّ أو توقّف كَفَرَ».

---

(١) **معيد النعم ومبيد النقم**، تاج الدين السبكيّ، (ص/٧٥).

(٢) **كتاب الوصية**، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثريّ، (ص/٢).

وقال رضي الله عنه في كتابه «الفقه الأبسط» ما نصه[1]: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض».

وإنما كفَّر الإمامُ قائلَ هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصًّا بجهة وحيّز، وكلّ ما هو مختصّ بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدَث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى، بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله - وقد نقلنا ذلك - ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان». ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة البياضيّ الحنفيّ[2] والشيخ الكوثريّ[3] وغيرهما. وقد قال الإمام البياضي في كتابه إشارات المرام[4] الذي ألّفه لبيان وشرح كلام أبي حنيفة وما يستفاد منه من الإشارات ما نصّه: «**ومن وصفه تعالى بكونه جسمًا منهم أي موجود لا كالأجسام كبعض الكرامية، ومنهم من قال إنه على صورة شاب أمرد،**

---

(١) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، تحقيق الكوثري، (ص/١٢).

(٢) **إشارات المرام**، البياضيّ الحنفيّ، (ص/٢٠٠).

(٣) **التكملة**، الكوثريّ، (ص/١٨٠).

(٤) **إشارات المرام**، البياضيّ الحنفيّ، (ص/٢٠٠).

ومنهم من قال على صورة شيخ أشمط، وكلّ ذلك كفر وجهل بالربّ ونسبة للنقص الصريح إليه، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا».

وقد نقل عددٌ لا يحصى تكفيرَ الإمام أبي حنيفة لمن يقول[1]: «لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض!» وكذا مَن قال: «إنه - أي الله - على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض» منهم الإمام تقيّ الدين الحصنيّ[2] والإمام أحمد الرفاعيّ[3] وغيرهما، وذكروا أنه كفّره لأنّه جوّز للحَقّ مكانًا.

فوضح بعد هذا البيان الشّافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذًا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

وقال أيضًا ما نصه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر». وهذا إجماع كما بيّن ذلك الطحاوي في عقيدته ونقل الإمامُ الطحاويّ[4]

---

(١) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، (ص/٤٩).

(٢) **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقيّ الدين الحصنيّ، (ص/١٨).

(٣) **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعيّ، (ص/٢٤).

(٤) وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفيّ الذي هو من السلف الصالح أول رسالته المسماة العقيدة الطحاوية: هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهل السُنَّةِ والجماعة أي أن هذه هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في تنـزيه الله عن الـمكان والجهة والجسمية، وكلام الطحاويّ في غاية الأهمية فهو من علـماء الحديث ومن علـماء الفقه، وهذه العقيدة تدرّس في أنحاء

(ت ٣٢١هـ) رضي الله عنه تكفير من وصف الله بصفةٍ من صفات البشر في رسالته[١] التي هي ذكر بيان عقيدة أهل السّنة والجماعة على حسب ألفاظ أبي حنيفة والقاضي أبي يوسف ومحمّد بن الحسن ونصُّهُ: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر». وأظهرُ معاني البشر الجسمية.

قال الشيخ علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت ٤٢٠هـ) ما نصه[٢]: «أو ممن ينتحل الإسلام يعني إذا غلا في هواه حتى كفر ولكنه ينتسب إلى الإسلام مع ذلك كغلاة الروافض والمجسمة».

قال الشيخ لسان المتكلمين أبو المعين ميمون بن محمّد النسفي الحنفي (ت ٥٠٨هـ) ما نصه[٣]: «والله تعالى نفى المماثلة بين ذاته وبين غيره من الأشياء، فيكون القول بإثبات المكان له ردًّا لهذا النص المحكم أي قوله

الأرض في المعاهد والجامعات الإسلامية، يقول رضي الله عنه في رسالته ما نصّه: تعالى ـ أي الله ـ عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات السّتُّ كسائر المبتدعات.

(١) نقل الإمام أبو جعفر الطحاويّ الإجماعَ على تكفير المجسم في عقيدته المشهورة بالعقيدة الطحاوية.

(٢) **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، البخاري، (٤٦٩/٤).

(٣) **تبصرة الأدلة**، أبو المعين النسفي، (١٦٩/١).

تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى] الذي لا احتمال فيه لوَجْهٍ ما سوى ظاهره، ورادُّ النص كافر، عصمنا الله عن ذلك».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «ولأن من قال بالاستقرار على العرش أي في حق الله، فلا يخلو أن يقول بأنه مثل العرش أو العرش أكبر منه أو هو أكبر من العرش، وأيًّا كان فقائله كافر لأنه جعله محدودًا».

ووافق الشيخ ابن غانم (ت ٦٧٨هـ) كلام أبي حنيفة - وهو قوله في الفقه الأبسط: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض»، وذلك في كتاب «حلّ الرموز»، فقال ـ أي ابن غانم ـ ما نصه: «لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا، ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مُشَبِّه».

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ما نصه[2]: «وإن كفرناه كالقائلين بالتجسيم».

قال الشيخ نظام الهنديُّ (ت ٧٢٥هـ) ما نصه[3]: «ويكفرُ بإثبات المكان لله».

---

(١) **بحر الكلام**، أبو المعين النسفي، (ص/١٢٩).

(٢) **معراج المنهاج**، الجزري، (ص/٤٢٥).

(٣) **الفتاوى الهندية**، نظام الهندي وجماعة من علماء الهند، المجلد الثاني.

وفي كتاب «الفتاوى الهندية» للشيخ نظام الهندي وجماعة من علماء الهند[1] ما نصهم: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى. ولو قال: الله تعالى في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر وإن أراد به المكان يكفر».

قال علاء الدين البخاري في كتابه كشف الأسرار شرح أصول البزدويّ ما نصه[2]: «إن أبا حنيفة قال لجهم بن صفوان المجسّم: «اخرج عني يا كافر».

قال شجاع الدين هبة الله بن أحمد بن معلّي التركستاني (ت ٧٣٣هـ) في معرض أنواع الشرك ما نصه[3]: «وأما النوع الثالث، وهو الإشراك بالصورة والجسم وسائر صفات المحدثين، فهو كقول اليهود في الباري تعالى إنه على مثال صورة البشر واستقراره على العرش، وتابعهم على ذلك المشبهة والجعدية والمجسمة والكرامية، حتى وصفوه بالأعضاء والجوارح».

---

(١) **الفتاوى الهندية**، نظام الهندي وجماعة من علماء الهند، (١٢٥/٢). **البحر الرائق**، ابن نجيم، (١٢٩/٥).

(٢) **كشف الأسرار شرح أصول البزدويّ**، علاء الدين البخاريّ، (٢٢/١).

(٣) **شرح العقيدة الطحاوية**، التركستاني، (ص/٥٠).

قال الشيخ محمود بن أحمد بن مسعود القونوي النسفي (ت ٧٧٠هـ) في كتابه «القلائد»[١] عند قول الطحاوي «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب» ما نصه: «إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم».

قال الإمام الكمال بن الهمام محمّد بن عبد الواحد السيواسي (ت ٨٦١هـ) عند الكلام عن تقسيم البدعة إلى كفرية وغير كفرية ما نصُّه[٢]: «أمّا من كفر بها كمنكر العلم بالجزئيّات وزاعم التجسيم أو الجهة أو السكون أو الاتّصال بالعالم أو الانفصال عنه فلا يوصف عمله بقبول ولا رد لأنه أحقر من ذلك».

وقال أيضًا في «فتح القدير» ما نصه[٣]: «من قال الله جسمٌ لا كالأجسام كفر».

وقال أيضًا ما نصه[٤]: «ويكفر بمجرد الإطلاق أيضًا - أي إطلاق الجسم - بل هو أولى بالتكفير».

---

(١) **التبصير في الدين**، الأسفراييني، (ص/١٠٢).

(٢) **فيض القدير**، المناوي، (٧٢/١).

(٣) **شرح فتح القدير**، ابن همام، (٤٠٣/١).

(٤) **شرح فتح القدير**، ابن همام، (٣٧٦/١).

قال ابن أمير الحاج الحنفيّ (ت ٨٧٩هـ): «ولا تقبل شهادة المجسّمة لأنهم كَفَرَة».

وقد نصَّ المحقق ابن نجيم (ت ٩٧٠هـ) على أن من اعتقد أن الله تعالى له مكان أو يحل في جهة أو يشبه شيئًا من الحوادث يكفر[١]، وقال ما نصّه[٢]: «ويكفر بإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر».

وكذا قاله عز الدين بن أبي بكر بن جماعة[٣].

قال الإمام البيرغيوي (ت ٩٨١هـ) ما نصه[٤]: «من قال الله شاهدي في السماء كفر لأنه نسب المكان لله، والله بريء من المكان».

قال شيخ الإسلام أبو السعود أفندي (ت ٩٨٢هـ) في فتاويه ما نصه: «يلزم كفر من قول: الله حاضر وناظر في كل مكان».

قال الفقيه الحنفي ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) ما نصه[٥]: «فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادعى ادعاءً معينًا مشتملًا على إثبات المكان والهيئة

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/١٧٦، ١٧٧).

(٢) **البحر الرائق**، ابن نجيم، باب المرتدين، (١٢٩/٥).

(٣) **درج المعالي شرح بدء الأمالي**، بدر الدين ابن جماعة، (ص/٤٧).

(٤) Birgivi Basiyetnamesi, Bedir yay, s٥٢.

(٥) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، (ص/٢١٥).

والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافرًا لا محالة».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فهو كافر..، وكذا من قال بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمرّ عليه زمان ونحو ذلك كافر، حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «بل قال جمع منهم - أي من السلف - ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد] [3]».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «قال الإمام الرازي: إن المجسم ما عبد الله قط لأنه يعبد ما تصوره في وهمه من الصورة والله تعالى منزه عن ذلك».

وقال أيضًا في كتابه الرد على وحدة الوجود ما نصه: «فالمعطل يعبد عدما والمشبه يعبد صنمًا».

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/٢٧١).

(٢) **مرقاة المفاتيح**، ملا علي القاري، (٣/٣٠٠).

(٣) **المرقاة في شرح المشكاة**، ملا علي القاري، (٢/١٣٦، ١٣٧).

(٤) **الرد على من قال بوحدة الوجود**، القاري، (ص/٢٣).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وفي «شرح القونوي» قال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وقال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم».

قال الشيخ حسن كافي الأقحصاري البوسنوي (ت ١٠٢٤هـ) ما نصه[2]: «ومن لم يتق النفي الذي هو خلاف الشرع كنفي الصفات والرؤية، والتشبيه الذي هو خلاف الشرع والعقل، كتشبيه الله تعالى في الرؤية والصفات بالمخلوق، زل عن طريق الدين الحق، ولم يصب التنزيه الذي أوجبه الشرع والعقل».

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمّد العمادي الحنفي (ت ١٠٥١هـ) ما نصه[3]: «فإن قال الله في السماء، فإن قصد بها حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار[4] لا يكفر، وإن أراد المكان يكفر».

---

(١) **شرح الفقه الأكبر**، القاري، (ص/٥١).

(٢) **نور اليقين في أصول الدين**، الأقحصاري، (ص/١٥٦).

(٣) **نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد**، الحنفي، (ص/٥٧٤).

(٤) أي أنه أراد علو القدر والمكانة والشأن والعظمة وليس المكان والجهة كما جاء في حديث الجارية الذي رواه مسلم.

قال المحقق الفقيه عبد الرّحمـٰن بن محمّد بن سليمان الكليبوليّ المدعو بشيخيّ زاده الحنفيّ (ت ١٠٧٨هـ) ما نصّه[١]: «ويكفر بقوله: الله تعالى جلس للإنصاف أو قام به لأنّه وصف الله تعالى بالقيام والقعود، وبوصفه تعالى: بالفوق والتّحت».

قال الشيخ العلامة كمال الدين البَياضي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ) في شرح كلام الإمام أبي حنيفة ما نصه[٢]: «فقال أي أبو حنيفة: (فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر) لكونه قائلًا باختصاص البارئ بجهة وحيّز وكل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدَث بالضرورة، فهو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى (كذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض) لاستلزامه القول باختصاصه تعالى بالجهة والحيز والنقص الصريح في شأنه سيما في القول بالكون في الأرض ونفي العلوّ عنه تعالى بل نفي ذات الإلـٰه المنزه عن التحيز ومشابهة الأشياء. وفيه إشارات:

الأولى: أن القائل بالجسمية والجهة مُنكِر وجود موجود سوى الأشياء التي يمكن الإشارة إليها حسًّا، فمنهم منكرون لذات الإلـٰه المنزه عن ذلك، فلزمهم الكفر لا محالة. وإليه أشار بالحكم بالكفر.

---

(١) **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، عبد الرحمن الكليوبي، (٥٠٢/٢).

(٢) **إشارات المرام**، البياضي، (ص/٢٠٠).

الثانية: إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار - أي أبو حنيفة - بالحكم المذكور لمن أطلقه، واختاره الإمام الأشعري فقال في «النوادر» كما نقل عنه البياضي الحنفي في كتابه «إشارات المرام من عبارات الإمام»[1]: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به، كما في شرح الإرشاد لأبي قاسم الأنصاري.

الثالثة: يكفر بمجرد الإطلاق.

الرابعة: يلزم التكفير لو قال: إنه جسمٌ كالأجسام.

ومنهم من قال: على صورة شيخ أشمط، وكل ذلك كفرٌ وجهلٌ بالرب».

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيُّ (ت ٧١٠هـ) في تفسيره المشهور[2] عند تفسير قول تعالى ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف] ما نصه: «ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة».

قال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي (ت ١١٤٣هـ) ما نصه[3]: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر

---

(١) **إشارات المرام**، البياضي، (ص/١٦٨، ١٦٩).

(٢) **تفسير النسفي**، النسفي، (٢/٨٧).

(٣) **أسرار الشريعة**، عبد الغني النابلسي، (ص/١٩٠، ١٩١). **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، النابلسي، (ص/١٢٤).

إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب. وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه، كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسمٌ فوق العرش، أو يعتقدون أن له يدَين بمعنى الجارحتين، وأن له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الست، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أنَّ له الحلول في شيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه متحد بشيء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلَّةٌ منه، أو شيئًا منها. وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وقال والدي رحمه الله فإن قال الله في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار[2] لا يكفر وإن أراد المكان يكفر وإن لم يكن له نية[3] يكفر عند الأكثر كما في فصول العمادي وغيره لأنه ظاهر في التجسيم».

---

(١) **نهاية المراد في شرح هداية ابن العماد**، النابلسي، (ص/٥٧٤).

(٢) أي عالي القدر جدًّا مع تنزيهه عن المكان والجهة، فالمراد به علو المكانة وليس المكان.

(٣) أي أنه أطلق اللفظ من غير قيد وفهم التنزيه. أما إن فهم اللفظ على ظاهره وهو إثبات الجهة والمكان والحيز فهو كافرٌ عند الجميع.

وقال أيضًا ما نصه: «من زعم أن الله يسكن السماء، أو أنه جسم قاعد فوق العرش فهو كافر».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «الظاهرية المجسمة: والفرقة الثانية: ظاهرية يتمسكون بظواهر الكتاب والسنة في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وعلى لسان رسوله ﷺ ويفهمون ذلك ويؤمنون به على حسب المعنى الذي يتخيلونه في عقولهم من التجسيم والحلول والجوارح، ويصفون الله تعالى بجميع ذلك. وهؤلاء الفرقة لا شبهة في كفرهم حيث ينسبون إلى الله أوصاف المحدثات وينكرون ما ورد في الكتاب والسنة أيضًا من أوصاف التنزيه والتقديس. وسيأتي التعرض لهم إن شاء الله في باب الكفر والكشف عن قبائح عقائدهم».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «أما كفر اليهود فبالتشبيه لأنهم يعتقدوا التجسيم في حق الله تعالى والاستقرار على العرش وأنه تعالى في جهة العلو. والتشبيه يلزم منه التعطيل على ما ذكرنا لأن الإلـه الحق المنزه الذي خلقهم وخلق كفرهم به وخلق الاستقرار والعرش والجهات كلها يصير معدومًا في نظرهم لا أصل له بسبب إقبالهم على ذلك التشبيه الذين يزعمونه». ثم قال ما نصه[3]: «ويتفرع من كفر اليهود كفر المجسمة

---

(١) **أسرار الشريعة**، عبد الغني النابلسي، (ص/١٦٤، ١٦٥).

(٢) **أسرار الشريعة**، عبد الغني النابلسي، (ص/١٩٣).

(٣) **المصدر نفسه** ، (ص/١٩٤).

من الفرق الضالة، فقد اعتقدوا أن الله تعالى جسمٌ كالأجسام فيكون كفرهم بالتشبيه والتعطيل».

ثم قال ما نصه[1]: «أما كفر النصارى فبالتشبيه لأنهم يعتقدون ألوهية المسيح ويقولون: إنه ابن الله، ويقولون: ثالث ثلاثة، ويزعمون أن الرب أحد هذه الثلاثة: الأب والابن والروح القدس».

وقال أيضًا في كتابه «الفتح الرباني والفيض الرحماني» ما نصه[2]: «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام ترجع جميع أنواع الكفر إليها وهي التشبيه والتعطيل والتكذيب وهي أصول ثلاثة من أصول الكفر، لا يدخل الإنسان في مرتبة عوام المسلمين إلا بعد تبرئته منها ظاهرًا وباطنًا ومتى وجدَ عنده شيءٌ منها فليعلم أنه كافر وليس بمؤمن ولا يغره بالله الغرور.

التشبيه: هو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه كالذين يعتقدون أن الله تعالى جسم فوق العرش أو في جهة من الجهات الست أو أنه في مكان من الأماكن أو في جميع الأماكن، وجميع ذلك كفرٌ صريح والعياذ بالله تعالى، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه.

---

(١) **المصدر نفسه.**

(٢) **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، النابلسي، (ص/١٩٠، ١٩١).

وبيان ذلك: أن الله تعالى خلق العقل الإنساني وهو الذي يخلق فيه جميع تصوراته وتصديقاته. فإن أراد العقل أن يؤمن بربه فمتى تصور شيئًا من الأشياء التي ذكرناها فقد فاته الإيمان بربه بسبب ذلك التصور. فإن ذلك التصور خلقه الله تعالى له في عقله، ومن المحال أن يشبه الرب ذلك التصور المخلوق لأنه لو أشبهه لكن حادثًا مثله. والله تعالى واجب القدم وجميع ما سواه حادث».

قال الشيخ محمّد الخادمي (ت ١١٧٦هـ) ما نصه: «القول بأن الله تعالى ينظر إلينا من السماء أو يرانا من هناك كفر، وكذلك يكفر من وصف الله بالعضو أو نفى صفة من صفات الكمال لله تعالى، أو وصف الله بالحلول أو الاتحاد، أي قال: إن الله حال في العالم أو متحد معه، أو وصف الله تعالى بالمكان يكون كافرًا».

قال الحافظ الفقيه اللغوي مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ما نصه: «من جعل الله تعالى مقدّرًا بمقدار كفر».

وقال أيضًا عند شرح كلام الغزالي ما نصه[1]: «الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسمًا مماسًا للعرش: إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكانًا لم يخل من أن

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٧٥/ ٧٦).

يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذا متشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعًا كان هو مربعًا أو كان مثلثًا كان هو مثلثًا وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على المكان، ويشعر ذلك بأنه متجزئ وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه ربعه أو خمسه، وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد وتتطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على البارئ تعالى فتجويزه في حقه كفر من معتقده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون، وقبيح وصف البارئ بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسته جاز عليه مباينته».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث فإذًا العالم كله حادث، وعلى هذا إجماع المسلمين بل وكل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي».

ذكر ابن عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ) أن من نسب المكان لله يكون كافرا.

---

(١) **إتحاف السادة المتقين**، مرتضى الزبيدي، (٢/٩٤).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «والنجدية خالفوا أهل الحق في تنزيهه تعالى فإن مولاهم في كتابه المسمى «أيضًاح الحق» قد جعل مسألة تنزيه الله تعالى من الزمان والمكان والجهة من البدعات الحقيقية، وعدها مع القول بصدور العالم بالإيجاب وإثبات قدم العالم الذي هو كفر عند أهل السنة».

قال الشيخ فضل الرسول البدايوني (ت ١٢٨٩هـ) ما نصه [2]: «فائدة جليلة: جلُّ مسألة الألوهيات يبرهن عليها بالتنزيه عن النقص واستحالته، فمتى ادعى النجدية إمكان النقص خالفوا أهل الحق في جميعها. وكذا يستحيل - على الله - أن يكون جوهرًا وإلا كان متحركًا في حيزه، أو ساكنًا فيه لأنه لا ينفك عن أحدهما، وهما أي الحركة والسكون حادثان - وقد علم من استحالة كونه تعالى جوهرًا استحالة لزوم الجوهر عليه من التحيز، ولوازمه كالجهة، فإن سماه أحد جوهرًا وأثبت له لوازمه كفر - فإن سماه أحد جسمًا وأثبت له الافتقار والتركيب وسائر لوازم الجسمية كفر».

ذكر الشيخ العلامة المحدث الفقيه أبو المحاسن محمّد القاوقجي الطرابلسي اللبناني الحنفي (ت ١٣٠٥هـ) في كتابه «الاعتماد في

---

(١) **المعتقد المنتقد**، فضل الرسول البدايوني، (ص/٩١).

(٢) **المعتقد المنتقد**، فضل الرسول البدايوني، (ص/٨٧).

الاعتقاد»[1] قائلًا ما نصه: «ومن قال لا أعرِفُ الله في السماء هو أم في الأرض كفَر - لأنه جعل أحدَهما له مكانًا».

قال الشيخ أحمد ضياء الدين جوموش خانوي (ت ١٣١١هـ) في «جامع المتون» ما نصه: «ومن نسب المكان لله وقع في الكفر».

وقال أيضًا ما نصه: «من قال إن الله يجلس لمحاكمة خلقه أو يقوم أو أضاف إليه تعالى الوجود في جهة فوق أو تحت أو نحو ذلك يكون كافرًا».

قال الشيخ أحمد رضا القادري (ت ١٣٤٠هـ) ما نصه[2]: «فأما الحشوية فقد صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة، ومثل نصر وكهمش وأحمد الذين قالوا إن معبودهم صورة ذات أبعاض إما روحانية وإما جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكين وغير ذلك، وازدادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ، وأكثرها مقتبسة من اليهود فإن التشبيه طبيعةٌ فيهم». ثم قال: «وأما الكرامية أتباع أبي عبد الله محمّد بن كرام فقد بالغوا في التجسيم كما بالغ جهم في التعطيل، فزعموا أن معبودهم جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي يلاقي منها عرشه وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا.. وزعم ابن

---

(١) **الاعتماد في الاعتقاد**، القاوقجي، (ص/٥).

(٢) **الحجة الدامغة لشبهات المجسمة الزائغة**، حسين البدوي، (ص/١٩).

كرامٍ في كتابه هذا أن الله مماس لعرشه وأن العرش مكان له إلى أمثال ذلك من الهذيانات التي تدل على أن قائلها مغرق في الكفر».

قال الشيخ زاهد كوتكو (ت ١٤٠٩هـ) ما نصه[١]: «من قال لا مكان خال من الله أو إن الله ليس خاليًا من مكان كفر».

وقال أيضًا ما نصه[٢]: «إن المشبهة ينسبون للخالق ذي الجلال الأعضاء كالمخلوقات فلا تجوز الصلاة خلفهم، فهؤلاء خارجون من الإسلام، من نسب المكان لله أو قال إنه في السماء أيضًا خارج من الإسلام، وكذا يُحكم بالكفر على من اعتقد أن الحق تعالى مستقر على العرش، فويلٌ للوهابية».

ولم يَجِدْ علماءُ المذهب عن معتقد الإمام أبي حنيفة في تنـــزيه الله تعالى عن الجسم والهيئة والطول والعرض، ولو شذَّ منهم شاذّون ظلُّوا كنقطة في بحر من هم ينتسبون إليه وهؤلاء كمن فُتِنوا بمجسمة العصر الوهابية وبابن تيمية المجسم، ومنهم من كان في القرن السابع الهجريّ كابن أبي العزّ الحنفيّ الذي تَبِع ابن تيمية فشرح العقيدة الطحاوية على خلاف منهج أهل الحق عامة وأهل مذهبه خاصة، فقد حشا شرحَهُ وملأَهُ بضلالات ابن تيمية فإنه كان كالظلّ له.

---

(١) **عقيدة أهل السنة**، زاهد كوتكو، (ص/١٣٥).

(٢) **عقيدة أهل السنة**، زاهد كوتكو، (ص/١١١).

الفصل الثاني: تكفير الفقهاء المالكية للمجسم

ثبت تكفير المجسّمة عن الأئمة الثلاثة أبي حنيفة والشافعيّ وأحمد وثبت تكفيرهم كذلك عن الإمام أبي الحسن الأشعريّ والإمام أبي منصور الماتريديّ رضي الله عنهم، ومثل ذلك عن الإمام مالك رواه الإمام المجتهد ابن المنذر عنه قال[1]: «أرى أن يستتاب أهل الأهواء، فإن تابوا وإلا ضُرِبت أعناقهم». وأهل الأهواء هم الذين ابتدعوا في الاعتقاد كالمعتزلة والمشبّهة والمجسمة والجبرية إلى آخر فِرَقِهم، وهؤلاء ظهروا في القرون السابقة ولم ينقرضوا، بل إلى الآن ما زال أفراخ وأذناب هؤلاء يصولون ويجولون مشوّشين على عقائد المسلمين ودينهم وإن بأسماء ومسميّات مختلفة.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه (ت ٣٢٤هـ) ما نصه: «من اعتقد أنَّ الله جسمٌ فهو غير عارفٍ بربه وإنه كافرٌ به».

وقال أيضًا ما نصه: «من اعتقد أن البارئ تعالى أجزاء متصلة وأبعاض متلاصقة كفر به وجهل».

---

(١) **الإشراف على مذاهب العلماء**، ابن المنذر، (٧٣/٨).

وسئل الإمام أبو الحسن الأشعري كما في كتابه النوادر هل يعرف اللهَ تعالى عبدٌ يعتقد أن الله جسم؟ فقال[1]: «إن هذا القائل غير عارف بالله وإنه كافر به».

قال القاضي أبو بكرٍ الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في الإنصاف[2]: «فإن قالوا: أليس تقولون إن كلام الله مسموع بحاسة الآذان على الحقيقة؟ قلنا - وهو زعمهم الخبيث - بلى. فإن قالوا: فليس يجوز أن يكون مسموعًا على الحقيقة إلا ما كان صوتًا أو حرفًا.

فالجواب: أن هذا جهل عظيم، وذلك أن أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على أن الله تعالى يُرى بالأبصار على الحقيقة، ولا يجوز أن يرى على الحقيقة إلا ما كان جسمًا وجوهرًا وعرضًا. أفتقولون: إن الله تعالى جسم، وجوهر، وعرض؟

فإن قالوا: نعم.. فقد أقروا بصريح الكفر للتشبيه، وإن قالوا: يُرى وليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض ولا يُشَبَّه بشيءٍ من المرئيات. قلنا: فكذلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة، وليس بحروف ولا أصوات، ولا يُشَبَّه بشيء من المسموعات، كما أنه يرى على الحقيقة ولا تكييف لكلماته.

---

(١) **إشارات المرام**، البياضي، (ص/٢٠٠).

(٢) **الإنصاف**، الباقلاني، (ص/١٩١).

فاتقوا الله وقفوا عند حدوده، ولا تكونوا ممن قال فيهم: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [سورة البقرة]، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى]».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وقال أبو عثمان المغربي يومًا لخادمه محمّد المحبوب: لو قال لك قائل: أين معبودك؟ ماذا كنت تقول له؟ فقال: أقول حيث لم يزل ولا يزول. قال: فإن قال: فأين كان في الأزل؟ ماذا تقول؟ فقال: أقول حيث هو الآن. يعني: إنه كما كان ولا مكان». قال أبو عثمان: «كنت أعتقد شيئًا من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا: إني قد أسلمت جديدًا. وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] فقال: «الرحمٰن لم يزل ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمٰن استوى».

قال اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ما نصه: «ذكره عبد الرحمٰن قال ثنا عبد الله بن محمّد بن الفضل الصيداوي قال قال نعيم بن حماد من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه».

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/٦٥).

وقال أيضًا ما نصه: «ذكره عبد الرحمٰن قال ثنا أحمد بن سلمة قال سمعت إسحاق بن إبراهيم بن راهويه يقول من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم».

قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرحه على البخاري (ت ٤٤٩هـ) ما نصه[1]: «خلافًا لما تقوله المجسمة من أنه جسم لا كالأجسام واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول وذلك كله باطل وكفر من متأوله». وفيه تكفير لمن يقول الله جسم لا كالأجسام.

قال القاضي عياض المالكي (ت ٥٤٤هـ) ما نصه: «ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود، أو أجاز عليه البداء، أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف إليه الصاحبة والولد، وأجاز الحلول عليه، والانتقال والامتزاج من النصارى، أو وصفه بما لا يليق به، أو أضاف إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس والثنوية فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله وإن سموه به إذ ليس موصوفًا بصفات الإلـٰه الواجبة له. فإذن ما عرفوا الله سبحانه».

---

(١) **شرح البخاري**، ابن بطال المالكي، (٤٣٢/١٠).

قال القرطبي المالكي (ت ٦٧١هـ) في المجسمة في تفسيره[١] «الصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يُفعل بمن ارتد».

والإمام القرطبي في هذا الكلام يحاكي عقيدة أهل السنة والجماعة أتباع الإمام الأشعري الذي نصر السنة وقمع البدعة، ويؤكد ما قرره الإمام الجويني في الإرشاد[٢] قائلًا: «وكل أصل قاد إلى تقدير الإلـٰه أو تبعيضه فهو كفر صراح».

قال الشيخ عبد الله بن أبي جمرة (ت ٦٩٩هـ) ما نصه[٣]: «ومنهم المجسمة لأنهم يقولون بالجسم والحلول ومعتقد هذا لا يصح منه الإيمان. لأن من لا يعرف ربه كيف يصح منه الايمان به».

قال الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عرفة التونسي المالكي (ت ٨٠٣هـ) محتجًا بكلام الجويني ما نصه[٤]: «ففي الإرشاد: لو اختص بجهةٍ لزم جواز محاذاته الأجسام ومباينتها الملزومة للحدوث ومساواة محاذيه منها ونقصه عنه وزيادته، وذلك تقديرٌ للإله وهو كفرٌ..»، إلى أن قال[٥]:

---

(١) **الجامع لأحكام القرءان**، أبو عبد الله القرطبي، (١٤/٤).

(٢) **الإرشاد**، الجويني، (ص/٤٠).

(٣) **بهجة النفوس**، ابن أبي جمرة، (٣٤/١).

(٤) **المختصر الكلامي**، ابن عرفة الورغمي، (ص/٧٢٠).

(٥) **المصدر نفسه**، (ص/٧٢٣).

«تأمل ما تقدم من جعل - صاحب الإرشاد - القول بالجهة ملزومًا للكفر».

قال العلامة أحمد زروق المالكي (ت ٨٣٧هـ) في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ما نصه[١]: «قال أبو حامد: قالت الكرامية والمشبهة ومن قال بقولهم إنه تعالى فوق العرش وهو كفرٌ وخروجٌ عن الدين أعاذنا الله تعالى منه».

قال الشيخ أبو عبد الله محمّد بن يوسف السنوسي الحسني (ت ٨٩٥هـ) ما نصه[٢]: «وقال مرةً أبو الحسن الأشعري من اعتقد أن الله جسم فليس بعارف بربه وهو كافر».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «أما هؤلاء فلم يراعوا ضروريات العقول، ولا وقفوا من أول مرة عند شيء منها. نعوذ بالله من الخذلان، كاعتقادهم أن الباري تعالى جسمٌ مستو على العرش بالمماسة والاستقرار، ثم ينتقل كل ليلة جمعة عندما يبقى ثلث الليل وينزل عن مكانه إلى السماء، ثم يعود عند الفجر إلى مكانه وهو على صنفين:

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/١٨، ١٩).

(٢) **شرح المقدمات**، السنوسي، (ص/١٠٣).

(٣) **شرح العقيدة الكبرى**، السنوسي، (ص/٢٢٠، ٢٢١).

صنفٌ منهم قالوا بتحركه وتصويره وتشكيله على شكل الإنسان، وهؤلاء مساوون لليهود في هذا الاعتقاد.

وصنفٌ آخر منهم قالوا بتحيزه من غير شكلٍ، ولا جارحة، تعالى الله عن قولهم».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وبالجملة، فاعتقاد الحشوية تتألف من ضلالات ثلاث: من تهودٍ وتنصّرٍ واعتزال. فهم مع اليهود في اعتقاد الجسم في حق الإلـه. ومع النصارى في اعتقاد حلول الكلام في الأجسام وأنه لا يفارق مع ذلك الإلـه».

وقال أيضًا محتجًّا بكلام القاضي عياض ما نصه[2]: «وقال مرةً: من اعتقد أن الله جسمٌ أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطريق فليس عارفًا به هو كافر».

قال الشيخ محمّد عبد العظيم الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) في مناهل العرفان في علوم القرءان ما نصه[3]: «وقد كفّر العراقي وغيره مثبت الجهة لله تعالى، وهو واضح لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية ولا يتأتى غير هذا».

---

(١) **شرح العقيدة الكبرى**، السنوسي، (ص/٢٢٥).

(٢) **شرح المقدمات في علوم التوحيد**، السنوسي، (ص/٩٣).

(٣) **مناهل العرفان في علوم القرءان**، الزرقاني، (٦١/٢).

قال العالم العلامة شمس الدين الشيخ محمّد عرفه الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) في حاشيته على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير ما نصه[١]: «(قوله أو لفظ يقتضيه) أي يقتضي الكفر أي يدل عليه سواء كانت الدلالة التزامية كقوله الله جسم متحيز، فإن تحيزه يستلزم حدوثه لافتقاره للحيز والقول بذلك كفر».

قال الشيخ محمّد بن أحمد عليش المالكي (ت ١٢٩٩هـ) عند ذكر ما يوقع في الكفر والعياذ بالله في كتابه «منح الجليل شرح مختصر خليل» ما نصه[٢]: «وكاعتقاد جسمية الله وتحيّزه فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدِث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه».

قال شيخ الأزهر سليم البشري المالكي (ت ١٣٣٥هـ) ما نصه[٣]: «من اعتقد أنَّ الله جسمٌ أو أنه مماسٌّ للسطح الأعلى من العرش وبه قالت الكرَّاميَّة، واليهودُ وهؤلاء لا نزاع في كفرهم».

قال الشيخ محمود محمّد خطاب السبكي (ت ١٣٥٢هـ): «إن من اعتقد أنَّ الله في جهةٍ فهو كافرٌ».

---

(١) **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، أحمد الدردير، (٣٠١/٤).

(٢) **منح الجليل شرح مختصر خليل**، محمد عليش، (٢٠٥/٩، ٢٠٦).

(٣) **فرقان القرءان**، القضاعي، (ص/١٠٠).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «فهم كفرة - أي المشبهة - إن قالوا أن الله سبحانه وتعالى جسمٌ».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فقد اغترّ كثيرٌ من بسطاء العقول بقول وتأليف بعض المنسوبين إلى العلم المتضمن تشبيه الله تعالى بخلقه، واعتقدوا أنه جسمٌ يحل في الأمكنة، وله جهة وأنه تعالى جالس على العرش بذاته وكائن في السماء وغير ذلك من المكفرات».

وقال أيضًا في كتابه «إتحاف الكائنات» ناقلًا عن الصاوي ما نصه[3]: «فمن قال إن المراد به الجلوس فقد خالف السلف والخلف وخرق الإجماع وكفر بالله تعالى وحبط كل عمله». ذكر ذلك أثناء كلامه عن الذي يعتقد أن الله يجلس على عرشه.

وقال أيضًا ما نصه[4]: «وقد قام إجماع السلف والخلف على أن من اعتقد أن الله تعالى في جهة فهو كافر، كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني».

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٤٠).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٣٤).

(٣) **المصدر نفسه**، (ص/٥١).

(٤) **المصدر نفسه**.

نقل عبد الرحمٰن الجزيري (ت ١٣٦٠هـ) في كتابه «الفقه على المذاهب الأربعة»[١] تكفير المجسم.

قال الشيخ أبو حامد بن مرزوق (ت ١٣٩٠هـ) ما نصه[٢]: «وقوله بالجسمية والجهة والانتقال وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر، تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع والكفر البراح الصريح وخذل متبعيه وشتت شمل معتقديه».

قال الشيخ محمّد أمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف]: «ومن اعتقد أن وصف الله تعالى يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال».

قال الشّيخ السّيد إسماعيل بن مهدي الغرباني الحسنيّ (ت ١٤٠٠هـ) في باب الردّة ما نصّه: «ومنها اعتقاد حلول الله تعالى في مخلوقاته، أو في شيءٍ منها، فإنّه سبحانه وتعالى منزّهٌ عن أن يحلّ بشيءٍ، أو يحلّ فيه شيء، أو يحويه مكانٌ، أو يمرّ عليه زمان. وفي الحديث: «كان الله ولا شيء معه» أي قبل أن يخلق العرش والكرسيّ، والسّماوات والأرض، والأرواح والأجسام، والجواهر والأعراض وهو الآن على ما

---

(١) **الفقه على المذاهب الأربعة**، الجزيري، (٣٩٦/٥).

(٢) **براءة الأشعريين**، أبو حامد بن مرزوق، (٦١/٢).

عليه كان من عدم الافتقار لشيءٍ من مـخلوقاته، بل الكلّ مفتقرٌ إليه، والعرش وحملته مـحمولون على قدرته. ومنها اعتقاد أنّه تعالىٰ جسمٌ، يـحصر في جهةٍ، أو له أعضاءٌ حقيقيّة من يدٍ ورجلٍ وغير ذلك كأجسامنا، وهو سبحانه وتعالـى منزّهٌ عن أن يكون جسمًا ولو كان جسمًا لاعتراه ما يعتري الأجسام من التغيّر، وهو مـحالٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] ».

قال الشيخ محمّد التاويل (كان حيًّا سنة ١٤٠٩هـ) ما نصه[١]: «وأما المبتدع المتفق على كفره كالمجسمة وأشباههم، فإنه كغيره من الكفار لا توارث بينه وبين المسلمين».

الفصل الثالث: تكفير الفقهاء الشافعية للمجسم

قال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه (ت ٢٠٤هـ): «من قال أو اعتقد أنَّ الله جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ»[٢].

قال الطبري (ت ٣١٠هـ) ما نصه[٣]: «قال: ثنا عبد الله بن محمّد بن الفضل الصيداوي قال: قال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد

---

(١) **اللباب في شرح تحفة الطلاب**، محمد التاويل، (ص/٢٤).

(٢) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم، (ص/٥٥١).

(٣) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، الطبري، (ص/٢٩٠).

كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهًا».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «قال: ثنا أحمد بن سلمة قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن راهويه يقول: من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم لأنه وصف بصفاته، إنما هو استسلام لأمر الله ولما سنَّ رسول الله ﷺ».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «قال: وسمعت إسحاق يقول: علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة، بل هم المعطلة، ولو جاز أن يقال لهم هم مشبهة لاحتمل ذلك، وذلك أنهم يقولون: إن الرب - تبارك وتعالى - في كل مكان بكماله في أسفل الأرضين، وأعلى السموات، على معنى واحد، وكذبوا في ذلك ولزمهم الكفر».

قال الحافظ ابن المنذر (ت ٣١٨هـ) عند قول الإمام مالك رضي الله عنه في أهل الأهواء كلهم: «أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا» في كتابه «الإشراف»[3] ما نصه: «ومعناه أنهم كفار وهم المجسمة والجهمية

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/٢٩٠).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٢٩٠).

(٣) **الإشراف**، ابن المنذر، (٣/٢٦٠).

والخطابية والقدرية القائلين بخلق الأفعال وبخلق القرءان على معنى أن الله ليس له كلام إلا ما يخلقه في غيره فجعلوا القرءان مما يخلقه في غيره».

وأما ما رواه الربيع من أنَّ الشافعيَّ روى عن فلان وهو قدري فهو محمول على أنه لم يكن من القدرية الذين يعتقدون كفرياتهم لأن بعض القدرية لا يعتقد مقالاتهم الكفرية إنما يوافقهم في بعض الأمور فتحمل رواية الشافعي عن هذا الرجل على هذا الباب لأنه ثبت عن الربيع أنّ الشافعي كفَّر القدري فيحمل تكفيره على من يقول بمقالاتهم الكفرية، وروايته عن هذا الراوي الَّذي ذكره الربيع على أنه من الصنف الآخر أي من الذين لا يعلم فيهم الشافعي تلك المقالات الكفرية، وبهذا يتفق كلام الشافعي في التكفير وروايته عن بعضهم لأنه من المعروف بين أهل الأهواء أن بعضهم لا يعتقد جميع مقالات طائفته إنما يعتقد بعضها وينتسب إليهم. وقد ذكر أبو حامد الشافعيّ كفر القدرية كما حكاه صاحب البيان العمراني اليمني في كتابه البيان[1].

(١) حتى إنّ المعتزلي الخبيث الزمخشري وافق في هذه المسألة أهل الحق، فقد نص على أن من اعتقد أن الله تعالى جالس على العرش فقد شبهه تعالى بالحوادث، ولا ريب أن هذا كفرٌ بإجماع العقلاء، والأدهى اعتقاد أولئك المشبهة أنهم هم المؤمنون وأن من اعتقد تنزيه الله تعالى عن سمات الحوادث كافر، فلا حول ولا قوة إلا بالله. **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٤٨).

قال ابن فورك (ت ٤٠٦هـ) ما نصه[١]: «من قال بحدوثِ صفةٍ من صفات الله أو شكَّ أو توقَّف كفر».

قال الإمام الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادي الشافعي (ت ٤٢٩هـ) بعد أن نص على أن المشبهة يعبدون الوثن ما نصه[٢]: «وأما مجسمة خرسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس العرش».

وقال أيضًا في كتابه «الفرق بين الفرق»[٣] ما نصه: «والمشبهة كلها، فإنا نكفرهم كما يُكفّرون أهل السنة، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا، ولا الصلاة خلفهم». وكذلك قال في كتابه «أصول الدين»[٤] بتصرف.

وقال أيضًا في تفسير «الأسماء والصفات»[٥] ما نصه: «وأما أصحابنا فإن شيخنا أبا الحسن الأشعري وأكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل السنة والجماعة قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفرًا أو أدته إلى كفر كقول من يزعم أن معبوده صورة أو له حد أو نهاية، أو يجوز عليه الحركة والسكون أو أنه روح ينتقل في الأجساد، وأنه يجوز عليه الفناء أو على

---

(١) **مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري**، أبو بكر ابن فورك، (ص/٢٢٨).

(٢) **أصول الدين**، أبو منصور البغدادي، (ص/١٣٧).

(٣) **الفرق بين الفرق**، أبو منصور البغدادي، (ص/٣٥٧).

(٤) **أصول الدين**، أبو منصور البغدادي، (ص/٣٣٧).

(٥) **تفسير الأسماء والصفات**، أبو منصور البغدادي، (ص/١٨٨).

بعضه، أو قال إنه ذو أبعاض وأجزاء، وكقول المعتزلة بنفي علم الله عز وجل وقدرته وحياته وسمعه وبصره ورؤيته، وقولهم بحدوث إرادته وكلامه، وإثباتهم خالقِينَ كَثيرِين غير الله عز وجل لأن نفي قدرته يوجب إحالة كونه قادرًا عالِمًا، وإحالة الرؤية عليه يوجب إبطال وجوده، والقول بحدوث كلامه يوجب أن يكون كلامه من جنس كلام الناس، وأن يكون الناس قادرين على معارضة القرءان بمثله وذلك يُبطل إعجاز القرءان وكونه دليلًا على صدق نبينا ﷺ، وأن من أثبت خالقًا للخير والشر غير الله عز وجل فهو القدري الذي أخبر الرسول عليه السلام بأنهم مجوس هذه الأمة ونهى عن مناكحته والصلاة عليه، وذلك أن قول القدري يضاهي قول المجوس بل يزيد عليه كفرًا لأن المجوس إنما قالت بخالقين أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر، وقالت القدرية بخالقين كثيرين، وزعموا أن العباد يقدرون على ما لا يقدر الله عليه، وأن الله يريد كون الشيء فلا يكون ويَكْرَهُ[1] كَوْنَ الشيءِ فيكون، هذه صفة المقهور العاجز».

وقال أيضًا في «الفَرق بين الفِرق»[2]: «وقالوا ذلك في كل من أظهر أصول أهل السنة وإنما تبرؤوا من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ومن أهل

---

(١) أي لم يرده، وليس المراد هنا الكره الذي هو ضد المحبة.

(٢) **الفَرق بين الفِرق**، أبو منصور البغدادي، (ص/٣٦٠، ٣٦١).

الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام كالقدرية والمرجئة والرافضة والخوارج والجهمية والنجارية والمجسمة».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه وبنبوة محمّد ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرءان منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، كل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نُظر فإن كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرة أو الخطابية الذين يعتقدون إلـٰهية الأئمة أو إلـٰهية بعض الأئمة أو كان على مذاهب الحلول أو على بعض مذاهب أهل التناسخ أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في ءاخر الزمان أو أباح ما نص القرءان على تحريمه أو حرم ما أباحه القرءان نصًا لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الإسلام».

وقال رحمه الله تعالى أيضًا ما نصه[2]: «المسألة الحادية عشرة من هذا الفصل في حكم المجسمة والمشبهة كل من شبه ربه بصورة الإنسان من

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/١٣).

(٢) **أصول الدين**، أبو منصور البغدادي، (ص/٣٣٧).

البيانية والمغيرية والجواربية والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي فإنما يعبد إنسانًا مثله ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها وكذلك من زعم أن بعض الناس إلـه وادعى حلول روح الإلـه فيه على مذهب الحلولية كما قالته الخطابية في جعفر الصادق وكما قالته الرزامية في أبي مسلم صاحب دعوة بني العباس وكما قالته المبيضة في المقنع فهو عابد وثن وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم إن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه ولقولهم بأن الله تعالى محل للحوادث وإنما يرى الشيء برؤية تحدث فيه ويدرك ما يسمعه بإدراك يحدث فيه ولولا حدوث الإدراك فيه لم يكن مدركًا لصوت ولا لمرئي. وقد أفسدوا بإجازة حلول الحوادث في ذات الله تعالى لأنفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث وإذا لم يصح على أصولهم حدوث العالم لم يكن لهم طريق إلى معرفة صانع العالم وصاروا جاهلين به وكيف يحكم بإيمانهم وهم يقولون إنه ليس في قلب أحد منهم إيمان وكيف يكون مؤمنًا من يقول إن إيمانه كإيمان المنافقين الكفرة باعتقاد الكفر وسائر فرق الأمة يكفرونهم وهم يرون جميع فرق الأمة من أهل الجنة ويزعمون أن أهل الأهواء بعد العقاب يصيرون إلى الجنة ولا يدوم عقابهم وجميع مخالفيهم على أنهم من أهل النار فصاروا عن هذه الجهة شر الفرق عند الأئمة».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «أجمع أصحابنا على أن الذات الواحدة يصح أن تُعلم من وجه وتُجهل من وجه ءاخر بعلم وجهل متغايرين، كالدهري الذي يعلم وجود المصنوع بالضرورة وهو جاهل بحدوثه، إلا أن الجاهل بأن الله عز وجل قديم أزلي وبأنه واحد لا شبيه له، وبأنه يجوز رؤيته وبأنه قادر على جميع المقدورات وعالم بجميع المعلومات وسميع بصير بجميع المسموعات والمبصرات، والجاهل بوجود علمه وقدرته وبقائه وسمعه وبصره وإرادته وكلامه، والجاهل بأن هذه صفات له أزلية ونعوت أبدية، والجاهل بشيء يلزمه أن يعلمه من صفات ربه القائمة به، والجاهل بنوع من أحكام عدله في جميع أفعاله، والجاهل بنفوذ قضائه ومشيئته في كل مراده ونحو ذلك جاهل بالله عز وجل غير صحيح إيمانه به».

ثم قال «إن أصحابنا أكفروا أهل البدع في صفات البارئ عز وجل بإجماع الأمة وعلى إكفار من أنكر النبوات أو شك في عقائد الأنبياء، فما كان شكه في صفة من صفات بعض الناس يورثه الكفر فشكه في صفة لازمة لله تعالى أو جهله بها أولى بأن يوجب تكفيره».

وقال أيضًا ما نصه[2]: باب في بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها ما نصه: «زعم بعض الناس أن اسم ملة الإسلام واقع على كل مُقِرّ بنبوة محمد ﷺ وأن كل ما جاء به حق كائنًا قوله بعد ذلك ما كان،

---

(١) **تفسير الأسماء والصفات**، أبو منصور البغدادي، (ق/١٨٧).

(٢) **الفرق بين الفرق**، أبو منصور البغدادي، (ص/١٢، ١٣).

وهذا اختيار الكعبي في مقالاته. وزعمت الكرامية أن اسم أمة الإسلام واقع على كل من قال لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، سواء أخلص في ذلك أو اعتقد خلافه، وهذان الفريقان يلزمهما إدخال العيسوية من اليهودية، والشاذكانية منهم في ملة الإسلام لأنهم يقولون لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، ويزعمون أن محمّدًا كان مبعوثًا إلى العرب، وقد أقروا بأن ما جاء به حق.

والصحيح عندنا يعني أهل السنة والجماعة أن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم، وتوحيد صانعه، وقدمه، وأنه عادل حكيم، مع نفي التشبيه والتعطيل عنه، وأقر مع ذلك بنبوة جميع أنبيائه، وبصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى الكافة، وبتأييد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرءان منبع أحكام شريعته، وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة، وبوجوب الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت على الجملة، فكل من أقر بذلك فهو داخل في أهل ملة الإسلام، وينظر فيه بعد ذلك: فإن لم يخلط إيمانه ببدعة شنعاء تؤدي إلى الكفر فهو الموحد السني، وإن ضم إلى ذلك بدعة شنعاء نظر، فإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الجهمية أو المجسمة، فلا تجوز الصلاة عليه ولا الصلاة خلفه ولا تحل ذبيحته ولا تحل المرأة منهم لسني، ولا يصح نكاح السنية من أحد منهم».

وقال أيضًا ما نصه: «المشبهة مجسمة والمجسمة كفار».

وقال أيضًا ما نصه: «أصحابنا أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة من الخوارج والنجارية والجهمية والمشبهة».

فترى الإمام أبا منصور قد نصّ على أن السلف والخلف مجمعون على أن الله تعالى منزه عن الجوارح فمن اعتقد خلاف ذلك، فهو ضال مضل مارق من الدين[1].

قال أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) في رسالته ما نصه[2]: «سمعتُ الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول: سمعتُ أبا عثمان المغربي يقول: كنتُ أعتقدُ شيئًا من حديث الجهة، فلما قدِمتُ بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبتُ إلى أصحابنا بمكة: إني أسلمتُ الآن إسلامًا جديدًا»[3]. وهذا فيه دليلٌ على أن معتقد الجهة ليس بمؤمن عند الله.

قال الأسفراييني أبو المظفر (ت ٤٧١هـ) في كتابه «التبصير في الدين» بعد أن ذكر بعض أقوال المجسمة الهشامية ما نصه[4]: «والعقل بأوّل وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ»، ولكن المداهن يقول «بل هناك خلاف»!

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/١١١).

(٢) **الرسالة القشيرية**، القشيري، (ص/٥).

(٣) **روض الرياحين**، اليافعي، (ص/٤٩٠).

(٤) **التبصير في الدين**، أبو المظفر الأسفراييني، (ص/٤٠).

وقال أيضًا عند عدّ ضلالات المشبهة الكرامية المجسمين ما نصه[1]: «ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحدٌ من الأئمة لعلمهم بافتضاحه هو قولهم بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمبصرات». ومن هنا يُعلم من أين أخذ ابن تيمية عقيدته.

وقال أيضًا في التبصير في الدين ما نصه[2]: «ومن جملة المشبهة المقنعية وهم مبيضة ما وراء النهر يدعون إلـٰهية المقنع ومن جملتهم الهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافضي الذي كان يقيس معبوده على الناس وكان يزعم أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه يتلألأ كما تتلألأ النقرة البيضاء من كل جانب.

ومن جملتهم الهشامية وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي الذي كان يزعم أن معبوده على صورة إنسان ولكن نصفه الأسفل مصمت ونصفه الأعلى مجوف وله شعر أسود على رأسه وأن قلبه منبع بالحكمة نبع الماء من العيون.

---

(١) **التبصير في الدين**، أبو المظفر الأسفراييني، (ص/٩٨).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/١٢٠، ١٢١).

ومن جملتهم اليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمـٰن القمي الذي كان يقول حملة عرش الرحمـٰن يحملونه وإن كان هو أقوى منهم كما أن رجل الكركي تحمل بدنه وإن كان بدنه أقوى من رجله.

وداود الجواربي من جملة المشبهة يثبت لمعبوده جميع أعضاء الإنسان وكان يقول أعفوني عن الفرج واللحية، والكرامية من جملة المشبهة لقولهم بأنه جسم وله حد ونهاية وأنه محل الحوادث وأنه مماس للعرش ملاق له فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات وأما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين أثبتوا إرادة حادثة كإرادات الإنسان قالوا إنها من جنس إرادتهم وشبهوا كلامه بكلام الخلق وقالوا إنه عرض حال في جسم وكذلك الكرامية شبهوا في الصفات فقالوا إن إرادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وإرادتهم.

والزرارية من الروافض أتباع زرارة بن أعين زعموا أن حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره كحياة الخلق وعلمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وزعموا أنها كلها حادثة مثل صفات الأجسام.

والشيطانية من الروافض زعموا أن الله تعالى لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون، وإن علمه محدث كعلوم العباد ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم ولم يبق له في ذلك شبهة فاستغنى بذكرها عن إقامة الحجة عليها».

وقال[1]: «وأما الهشامية فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين وهم الأصل في التشبيه وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد وقالوا عزير ابن الله وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

قال إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) في البرهان في «أصول الفقه» ما نصه[2]: «وكم للحشوية المشبهة من خبط يناقض حقيقة التوحيد وشفاء الغليل في ذلك يظهر في باب التأويلات إن شاء الله عز وجل».

وقال أيضًا في «العقيدة النظامية» ما نصه: «فذهبت طوائف إلى وصف الرب بما يتقدس في جلاله عنه، من التحيز في جهة حتى انتهى غلاة إلى التشكيل والتمثيل تعالى الله عن قول الزائغين، والذي دعاهم إلى ذلك طلبهم ربهم من المحسوسات وما يتشكل في الأوهام ويتقدر في مجاري الوساوس، وخواطر الهواجس، وهذا حيد[3] بالكلية عن صفات الإلـٰهية، وأي فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية».

وقال أيضًا[4]: «إن سميتم البارئ جسمًا وأثبتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر، فإنّ مبناها على قبولها

---

(١) **التبصير في الدين**، أبو المظفر الأسفراييني، (ص/٤١).

(٢) **البرهان في أصول الفقه**، الجويني، (١٥١/١).

(٣) أي ابتعد عن التنزيه ووقع في التشبيه.

(٤) **الإرشاد إلى قواطع الأدلة**، الجويني، (ص/٦١).

للتأليف والمماسة والمباينة - أي الانفصال - وإما تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع، وكلاهما خروج عن الدين، وانسلال عن ربقة المسلمين».

قال الإمام المتولي الشافعي (ت ٤٧٨هـ) وهو من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي كما نقل عنه النووي في «روضة الطالبين»[١] ما نصه: «من اعتقد قِدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالِمًا وقادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا».

وقال أيضًا ما نصه في كتابه «الغنية في أصول الدين» ما نصه[٢]: «مسألةٌ: الباري سبحانه وتعالى قائمٌ بنفسه.. والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافًا للكرامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا إن لله جهة فوق.

وأطلق بعضهم القول بأنه - تعالى - جالس على العرش مستقر عليه تعالى الله عن قولهم:

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (٦٤/١٠).

(٢) **الغنية في أصول الدين**، المتولي، (ص/٧٣، ٧٤).

والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديمًا لأنه أي الله قديم، أو يكون أي الله على زعمهم حادثًا كما أن المحل حادث، وكلاهما كفر.

والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا لكان لا يخلو إما أن يكون مثل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير والحد والنهاية وهو كفر.

والدليل عليه أنه لو كان في جهة وقدرنا شخصًا أعطاه الله قوة عظيمة واشتغل بقطع المسافة والصعود إلى فوق لا يخلو إما أن يصل إليه وقتًا ما أو لا يصل إليه، فإن قالوا لا يصل إليه فهو قول بنفي الصانع لأن كل موجودين بينهما مسافة معلومة واحدهما لا يزال يقطع تلك المسافة ولا يصل إليه يدل على أنه ليس بموجود، فإن قالوا يجوز أن يصل إليه ويحاذيه فيجوز أن يماسَّه أيضًا يلزم من ذلك كفران:

أحدهما: قدم العالم لأنَّا نستدل على حدوث العالم بالافتراق والاجتماع.

والثاني: إثبات الولد والزوجة».

وأقدم من هؤلاء جميعهم الإمام الأشعري أبو الحسن وهو شافعي المذهب، قال رحمه الله تعالى في كتابه «النوادر» كما نقل عنه البياضي الحنفي في

كتابه «إشارات المرام من عبارات الإمام»[1]: «من قال إن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به».

قال الفقيه أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في «المستصفى» ما نصه[2]: «أما إذا كفر ببدعته فعند ذلك لا يعتبر خلافه وإن كان يصلي إلى القبلة ويعتقد نفسه مسلمًا لأن الأمة ليست عبارة عن المصلين إلى القبلة بل عن المؤمنين وهو كافر وإن كان لا يدري أنه كافر».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «ومن أطلق القعود على الله وقال إنه لم يُرِدْ صفات الأجسام، قال شيئًا لم تَرِدْ به اللغة فيكون باطلًا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له، فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «فأما الخارجون عن ملة الإسلام ففريقان: أحدهما دهرية ينكرون الصانع فلا يتكلمون في نفي التشبيه عنه إنما يتكلمون في إثباته. والفريق الثاني مقرون بالصانع، ولكنهم مختلفون، فمنهم من يقول بإثبات صانعين هما النور والظلمة، ومنهم من يقول إنه لا يشبه شيئًا من العالم ويفرط في نفي الصفات حتى يدخل في باب التعطيل. وفيهم المفرط في إثبات الصفات والجوارح له تعالى حتى يدخل في باب التشبيه بينه

---

(١) **إشارات المرام من عبارات الإمام**، البياضي، (ص/١٦٨).

(٢) **المستصفى**، الغزالي، (ص/٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٧٣).

(٤) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/١٨٠، ١٨١).

وبين خلقه كاليهود الذين زعموا أن معبودهم على صورة الإنسان في الأعضاء والجوارح والحد والنهاية، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».

فهؤلاء الفرق كما قال فيهم أبو حامدٍ فرقٌ خارجة عن دين الإسلام.

وقال أيضًا ما نصه[1]: «إن القائل بأن الله سبحانه جسمٌ وعابد الوثن والشمس واحدٌ».

وقال أيضًا في بيان من يجب تكفيره من الفرق ما نصه[2]: «المعتزلة والمشبهة».

قال الولي الصالح بلا خلاف الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه (ت ٥٧٨هـ): «صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، فإن ذلك من أصول الكفر».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «ضل المشبهة الذين شبهوا الله بالخلق لأنهم لم يجاوزوا عالم الأجسام فلا جرَم أنهم حجبوا بظواهر الصور واغتروا بظهور الأثر وعموا عما بطن بما ظهر، كما عميَ من قصر نظره على الألوان والأشكال».

---

(١) **الاقتصاد في الاعتقاد**، الغزالي، (ص/١٣٩).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٣٠٥).

(٣) **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعي، (ص/٨٨).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «إن كنت من المحجوبين بظلمات الجسمية، المقيدين بقيود العادة، والموقوفين مع تقليد الآباء والمعلمين الذين لم يستضيئوا بنور اليقين، فلا تعرف قط لوحًا إلا من خشب، ولا قلمًا إلا من قصب، ولا يدًا إلا من لحم وعصب، ولا كاتبًا إلا جسمًا مصورًا، فلا تطمع في فهم شيء مما أشرنا إليه، فإنك لست من أهله، إذ قد سلكت مذهب المحجوبين الذين غلبت عليهم ظلمة الأجسام، فلم يعرفوا غير الأجسام وتوابع الأجسام، ودخلت تحت ظل الجسم ذي الأبعاد الثلاثة وهي الطول والعرض والسَّمْك، فهي ثلاث شعب مظلمة لأنك حصرت جميع المعلومات تحت الحس، وأنكرت ما وراء الشاهد مما لا يدخل تحت الكمية والمقدار ولا ينقسم بالمساحات والأقطار. فانتبه أيها المغرور بظاهر الصور، فإنك من الله سبحانه على غرر، وما انطلقت إليه من ظاهر التشبيه والتجسيم يوم يُستظلُّ بمنته من عذاب الله سبحانه، إذا سألك عن معتقدك لا يُظلك من عذابه، ولا ينجيك من لهب ناره، إذ قد جهلت حكمة الله ولم تتدبر آيات الله بل اتخذتها هزوًا، ولم تؤمن بالغيب بل كذبت بما لم تحط بعلمه، وأوقفت حقائق الأشياء على علمك الناقص وتخيلك الفاسد ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة يونس] وأنت محجوب بالأجسام عن مبدع الأجسام».

---

(١) المصدر نفسه، (ص/٩٧).

قال المفسر الرازيُّ (ت ٦٠٦هـ) ما نصه[١]: «إنَّ اعتقاد أنَّ الله جالسٌ على العرش أو كائنٌ في السماء فيه تشبيه الله بخلقه وهو كفرٌ».

وقال أيضًا في تفسيره ما نصه[٢]: «أما الإيمان بوجوده، فهو أن يعلم أن وراء المتحيزات موجودًا خالقًا لها، وعلى هذا التقدير فالمجسم لا يكون مقرًا بوجود الإلـٰه تعالى لأنه لا يثبت ما وراء المتحيزات شيئًا ءاخر فيكون اختلافه معنا في إثبات ذات الله تعالى أما الفلاسفة والمعتزلة فإنهم مقرون بإثبات موجود سوى المتحيزات مُوجد لها، فيكون الخلاف معهم لا في الذات بل في الصفات».

وقال أيضًا[٣]: «وأقول: أما قوله: المجسمة قد افتروا على الله الكذب، فهو حق. وأما قوله: إن هذا افتراء على الله في صفاته، فليس بصحيح. لأن كون الذات جسمًا ومتحيزًا ليس بصفة، بل هو نفس الذات المخصوصة، فمن زعم - وهو الصحيح - أن إلـٰه العالم ليس بجسم، كان معناه أنه يقول: جميع الأجسام والمتحيزات محدثة، ولها بأسرها خالق هو موجود ليس بمتحيز، والمجسم ينفي هذه الذات، فكان الخلاف بين الموحد والمجسم ليس في الصفة بل في نفس الذات لأن الموحد يثبت هذه الذات والمجسم ينفيها».

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/١٠١).

(٢) **التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي، (١٠٨/٧).

(٣) **المصدر نفسه**، (٦٩/١٣/٧) و(٢٤/١٦/٨).

وقال أيضًا ما نصه: «والجواب: أن الدليل على أن من قال إن الإلـٰه جسم فهو منكر للإلـٰه تعالى، وذلك لأن إلـٰه العالم موجود ليس بجسم ولا حال في الجسم، فإذا أنكر المجسم هذا الموجود فقد أنكر ذات الإلـٰه تعالى، فالخلاف بين المجسم والموحد ليس في الصفة، بل في الذات، فصح في المجسم أنه لا يؤمن بالله أما المسائل التي حكيتموها فهي اختلافات في الصفة، فظهر الفرق.

وأما إلزام مذهب الحلولية والحروفية، فنحن نكفرهم قطعًا، فإنه تعالى كفَّر النصارى بسبب أنهم اعتقدوا حلول كلمة (الله) في عيسى وهؤلاء اعتقدوا حلول كلمة (الله) في ألسنة جميع من قرأ القرءان، وفي جميع الأجسام التي كُتب فيها القراءن، فإذا كان القول بالحلول في حق الذات الواحدة يوجب التكفير، فلأن يكون القول بالحلول في حق جميع الأشخاص والأجسام موجبًا للقول بالتكفير كان أولى. والصفة الثانية: من صفاتهم أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر».

قال العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) في رسالته التي أسماها «الملحة في اعتقاد أهل الحق» ما نصه[1]: «وقال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة ءال عمران] ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه».

(١) **رسائل في التوحيد**، ابن عبد السلام، (ص/١٨).

نقل الحافظ النَّوويُّ (ت ٦٧٦هـ) عن الإمام المتوليّ الشافعيّ (ت ٤٧٨هـ) وأقرّه[١]: «أنَّ من وصف الله بالاتصال والانفصال كان كافرًا».

وقال أيضًا في «المجموع» ما نصه[٢]: «قد ذكرنا أن من يكفر ببدعته لا تصح الصلاة وراءه ومن لا يكفر تصح فممن يكفر من يجسم تجسيمًا صريحًا ومن ينكر العلم بالجزئيات».

وقال الحافظ النوويّ كذلك[٣]: «وأما التفصيل فقال المتولّي: من اعتقد قِدَم العالم أو حدوث الصانع أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالِمًا قادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا[٤]».

وقال أيضًا في شرحه على صحيح مسلم ما نصه: «قال القاضي عياض رحمه الله: «هذا يدل على أنهم ليسوا بعارفين الله تعالى، وهو مذهب حذاق المتكلمين في اليهود والنصارى أنهم غير عارفين الله تعالى؛ وإن كانوا يعبدونه، ويظهرون معرفته لدلالة السمع عندهم على هذا، وإن كان العقل لا يمنع أن يعرف الله تعالى من كذّب رسولا».

---

(١) **روضة الطالبين**، النووي، (١٥/١٠).

(٢) **المجموع**، النووي، (٢٥٣/٤).

(٣) **روضة الطالبين**، النوويّ، (٦٤/١٠).

(٤) إذ الاتصال والانفصال من صفات الأجسام.

قال القاضي نجم الدين نصر الله بن العز البغدادي ما نصه[1]: «فقد ازددت علمًا بذكر هذه النصوص والبراهين بكفر من يعتقد أن الله عز وجل جالس على العرش أو متصل به أو بغيره من الحوادث، نسأله عز وجل أن يوفقنا لحسن الاعتقاد».

قال تاج الدين أبو عبد الله محمّد بن الحسين الأرموي (ت ٧١٥هـ) ما نصه[2]: «الكافر الموافق في القبلة كالمجسمة». فهو بقوله هذا يكفّر المجسمة.

ذكر الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي (ت ٧٢٥هـ) في كتابه «نجم المهتدي»[3] نقلًا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين[4] أن القاضي حسين حكى عن نص الشافعي رضي الله عنه تكفير من يعتقد أن الله جالس على العرش».

---

(١) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٦٣).

(٢) **الحاصل من المحصول**، الأرموي، (٦٠/٣).

(٣) **نجم المهتدي**، ابن المعلم، (ق/٢٨٧).

(٤) **كفاية النبيه في شرح التنبيه**، ابن الرفعة، (٢٤/٤).

وقال ابن المعلّم القرشيّ في سرد مسائل يكفر معتقدها[1]: «وهذا مُنْتَظَمٌ مَن كفرُهُ مُجمعٌ عليه، ومَن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان[2] وبأنه - تعالى - لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومَن لا يؤمن بالقدر، وكذا مَن يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين عن نصّ الشافعيّ».

وقال كذلك[3]: «ثبت أن الشافعيّ قال: من قال الله جالس على العرش كافر».

وقال أيضًا في كتابه «نجم المهتدي» ما نصه: «والذي يعبد جسمًا على عرش كبير ويجعل جسمه كقبر أبي قبيس سبعة أشبار بشبره كما حكي عن هشام الرافضي أو كلامًا ءاخر تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فقد عبد غير الله فهو كافر، وقال إن قسمًا من القائلين بالتحيز بالجهة أطلقوا الجسمية ومنعوا التأليف والتركيب وقالوا: «عنيت بكونه جسمًا وجوده وهؤلاء كفروا».

---

(١) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، (ص/٥٥١). وكذلك نقل ابن الرفعة هذا القول عن الشافعي. **كفاية النبيه شرح التنبيه**، ابن الرفعة، (٢٤/٤).

(٢) أي من قال بأن لله شفتين وأسنانًا ولهاة، وأن كلامه الأزليّ أصوات وحروف فهو كافر.

(٣) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، (ص/٥٥٥).

وقال أيضًا عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال[1]: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا أبالإحداث أم بالإنكار، فقال: بل بالإنكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء».

وقال في كتابه «نجم المهتدي» ما نصه[2]: «نقلًا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدين في كتابه «كفاية النبيه في شرح التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يُقتدى به».

قال الشيخ بدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ما نصه[3]: «قال الإمام القرطبي: قال شيخنا أبو العباس رحمه الله: متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبًا للتشكيك في القرءان وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرءان، أو طلبًا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية، حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسمٌ مجسمٌ وصورة مصورة ذات وجه وعينٍ ويدٍ وجنبٍ ورجل وأصبع، تعالى الله عن ذلك. أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وأيضًا ح معانيها، فهذان قسمان.

---

(١) **نجم المهتدي**، ابن المعلم، (ص/٥٨٨).

(٢) **نجم المهتدي**، ابن المعلم، (ص/٥٥١).

(٣) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، (ص/٦١).

الأول: لا شك في كفرهم، وأن حكم الله فيهم القتل[1] من غير استتابة[2].

الثاني: الصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عبادة الأصنام، والصور، ويستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كما يُفعل بمن ارتد». والصحيح أنهم يستتابون فإن تابوا توبة شرعية قُبل منهم وصحت توبتهم بأن يتخلوا عن الكفر ويعتقدوا الإسلام ويتشهدوا.

قال ابن جهبل الشافعي (ت ٧٣٣هـ) ما نصه: «وهذا ينظم من كفره مجمع عليه ومن كفرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه تعالى لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لا يؤمن بالقدر. وكذا من يعتقد بأن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي».

نص المفسر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) على أن الله عز وجل يستحيل عليه الانتقال والحلول، فمن اعتقد أنه تعالى حالٌّ في السماء أو العرش، فهو ضالٌّ مضل، كافر، قد بطل كل عمله[3].

قال أبو حيان في تفسير البحر المحيط ما نصه: «وارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر: التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام، وتفضيل أنفسهم،

---

(١) هذا للخلفاء والسلاطين والحكام، وليس لآحاد الناس.

(٢) اختلف العلماء في وجوب الاستتابة قبل القتل، فمنهم من قال بوجوبها، ومنهم من قال بندبها. والاستتابة هي طلب الرجوع للإسلام.

(٣) **إتحاف الكائنات**، محمود خطاب السبكي، (ص/٤٨).

حيث نسبوا أرفع الجنسين لهم وغيره لله تعالى؛ واستهانتهم بمن هو مكرم عند الله، حيث أنثوهم، وهم الملائكة».

ذكر الفقيه يوسف الأردبيلي الشافعي (ت ٧٩٩هـ) ما نصه[١]: «إن من أثبت لله الاتصال أو الانفصال فهو كافر».

قال سراج الدين بن الملقن الشافعي (ت ٨٠٤هـ) في كتابه «التوضيح» ما نصه[٢]: «فإنه يكفر من يقول عن الله جسم لا كالأجسام».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «استدلاله من هذه الآية والحديث على أن لله صفة سماها عينًا ليست هو ولا غيره، وليست كالجوارح المعقولة بيننا؛ لقيام الدليل على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء. خلافًا لما تقوله المجسمة من أنه جسمٌ لا كالأجسام، واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين، ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول، وذلك كله باطل وكفر من متأوله».

---

(١) **الأنوار لأعمال الأبرار**، الأردبيلي، (٤٨١/٢).

(٢) **التوضيح**، ابن الملقن، (٢٥٦/٣٣).

(٣) **المصدر نفسه**.

قال الإمام أبو زرعة العراقي (ت ٨٢٦هـ) في «النكت على المختصرات الثلاث»[١] ما نصه: «وفي شرح المهذب جزم بتكفير المجسمة ومنكري العلم بالجزئيات».

ونقل الحافظ العراقي[٢] شيخ الحفاظ عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة والأشعري والباقلاني تكفير من نسب إلى الله الجهة، وقال المحدث محمّد زاهد الكوثري في مقالاته[٣]: «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفرٌ عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في شرح المشكاة لعلي القاري».

قال تقي الدين الحصني الشافعي (ت ٨٢٩هـ) في كتابه «كفاية الأخيار»[٤]: «إلَّا أنَّ النوويّ جزم في صفة الصلاة من شرح المهذّب بتكفير المجسّمة، قلت: وهو الصَّواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه - أي قول من قال بالجسميّة - مخالفة صريح القرءان، قاتلَ الله المجسّمةَ والمعطّلةَ ما أجرأهم على مخالفة من: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وفي هذه الآية ردّ على الفرقتين».

---

(١) **النكت على المختصرات الثلاث**، أبو زرعة، (ص/٣٤٣).

(٢) **شرح المشكاة**، القاري، (٣/٣٠٠).

(٣) **مقالات الكوثري**، الكوثري، (ص/٣٢١).

(٤) **كفاية الأخيار**، الحصني، (٢/٣٨٢).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «وقد بالغ في الكفر من ألحق صفة الحق بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «وقال بعض أئمة الحنابلة المنزهين من أثبت لله تعالى الصفات بمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خبر تقدس الله عز وجل عما يقولون علوًا كبيرًا».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «ومنهم - أي ومن المشبهة - ابن حامد والقاضي تلميذه وابن الزاغوني، وهؤلاء من ينتمي إلى الإمام ويتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مما ذكرت بعضه وبالغوا الافتراء إما لجهلهم وإما لضغينة في قلوبهم كالمغيرة بن سعيد وأبي محمّد الكرامي لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه ويهود في التجسيم».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «وكان الشيخ زين الدين ابن رجب ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور

---

(١) **دفع شبه من شبه وتمرد**، الحصني، (ص/٢٩٤).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٢٩٢).

(٣) **المصدر نفسه**، (ص/٢٥٨).

(٤) **دفع شبه من شبه وتمرد**، الحصني، (ص/٤٠١).

السبكي - يعني في تكفيره - والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ وبغض الشيخين وبإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ولهم دواهي أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحدة، فنسأل الله تعالى العافية ودوامها، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف] هم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فإن المشبهة أثبتوا لله ما لم يأذن فيه بل نهى عنه وهي زيغة سامرية ويهودية».

وقال أيضًا ما نصه[3]: «من شبّهه - أي شبّه الله - أو كيّفه كفر».

وقال أيضًا ما نصه[4]: «هذا مذهب أهل الحق والسنة والأثر، ودليلهم جليٌّ واضحٌ من شبّهه - أي شبّه الله - أو مثل أو جسم فهو مع السامرة واليهود من حزبهم يوم تظهر المخبآت وتبلى السرائر وتبين الفضائح وإن قيل عنه

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/١٦١).

(٢) **المصدر نفسه**(ص/٣٢٤).

(٣) **المصدر نفسه**، (ص/٣٢٧).

(٤) **دفع شبه من شبه وتمرد**، الحصني، (ص/٣٢٧).

في الدنيا أنه ولي وصالح. هلك الهالكون بآرائهم لأنه عمل غير صالح، وفاز المنزهون فيا لها من صفقة رابحة».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «والمشبهة والمجسمة أهل الزيغ كفارٌ، فمن شبّه أو عطّل فمأواه النار».

وقال أيضًا ما نصه: «الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة».

قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في «الفتح»[2]: «واستدل به أبو علي الفارسي في «التذكرة» على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله المصورون أي الذين يعتقدون أن لله صورة. وتعقّب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ: «إن الذين يصنعون هذه الصورة يعذبون» وبحديث عائشة الذي بعد بابين بلفظ: «إنّ أصحاب هذه الصور يعذبون» وغير ذلك، ولو سَلِمَ له استدلاله لم يرد عليه الإشكال المقدم ذكره».

وقال أيضًا ما نصه: «وأما أهل السنّة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل، ومن ثم قال الجنيد فيما حكاه أبو القاسم القشيري «التوحيد إفراد القديم من المحدث» وقال أبو القاسم التميمي في كتاب «الحُجّة»:

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/٣٣٠).

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، (٣٩٧/١٠).

التوحيد مصدر وحّد يُوحِّد، ومعنى وحّدت الله اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، وقيل معنى وحدته علمته واحدًا، وقيل: سلبت عنه الكيفيّة والكميّة فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره».

وقال أيضًا في «تهذيب التهذيب» ما نصه: «وقال داود بن الحسين البيهقي بلغني أن الحلواني قال لا أكفر من وقف في القرءان قال داود فسألت سلمة بن شبيب عن الحلواني فقال: يرمى في الحش من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر».

قال شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣هـ) شارحًا عبارة: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة»، ما نصه[1]: «أقول هذا كلام قد اشتهر بين الناس، ونقل عن الأئمة مثل الشافعي وأبي حنيفة، وليس على إطلاقه؛ إذ المجسم كافر، وإن صام وصلى - أي صورةً ـ والحاصل: أن كل ما كان وجوده معتبرًا في حصول الإيمان نافيه كافر، وإن قال بالتوحيد وصام وصلى». وهو كلام قوي منبه على ما تجده متفرقًا في مجموع ما سبق ويأتي في هذه المسألة. وليعلم أن قائل هذا الكلام هو ممن تولى تعليم السلطان محمّد الفاتح، وولي القضاء في أيامه.

---

(١) **الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع**، الكوراني، (ص/٦٥٦).

قال الحافظ عبد الرحمٰن جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) في «الأشباه والنظائر» في كتاب «الردة» ما نصه[١]: قاعدة قال الشافعي: لا يكفر أحد من أهل القبلة واستثنى من ذلك: المجسم ومنكر علم الجزئيات وقال بعضهم: المبتدعة أقسام: الأول: ما نكفره قطعًا كقاذف عائشة رضي الله عنها ومنكر علم الجزئيات وحشر الأجساد والمجسمة والقائل بقدم العالم».

وقال أيضًا: «المجسم كافرٌ قطعًا». يعني بلا خلاف ولا تردد ولا توقف جزمًا.

قال الإمام محمّد بن الحسن البدخشي (ت ٩٢٢هـ) ما نصه[٢]: «فإن الكافر يصلي إلى قبلتنا - أي صورة الصلاة - كالمجسم وغيره».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «أي أن يكون من المصلين صلاتنا الموحدين العادين أنفسهم من متابعي نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فلا يقبل خبر من لم يكن كذلك سواء علم من دينه الاحتراز عن الكذب أو لا ولم يقل الإسلام كما هو مشهور لئلا يخرج كالمجسمة أي الكافر الموافق للقبلة».

---

(١) **الأشباه والنظائر**، السيوطي، (٤٨٨/١).

(٢) **شرح البدخشي مناهج العقول**، البدخشي، (٣٣٦/٢).

(٣) **المصدر نفسه**، (٣٣٤/٢).

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ) في كتابه «المنهج القويم في مسائل التعليم» وهو شرح لمقدمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي ما نصه[١]: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك[٢]».

وقال الحصني[٣]: «وقد تقدم أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والتنقل والتغير لأن ذلك من صفات الحدث، فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق وذلك كفرٌ صريح لمخالفة القرءان».

وقال ابن حجر بعد كلامٍ في التنزيه ما نصه[٤]: «وهذا كما ترى ظاهرٌ في تكفير القائلين بالجهة».

قال الشّيخ عبد الرّؤوف بن تاج العارفين المناويّ القاهريّ الأزهريّ (ت ١٠٣١هـ) ما نصّه[٥]: «والبدعة كما قال في «القاموس»: الحديث في الدين

---

(١) **المنهج القويم في مسائل التعليم**، الهيتمي، (ص/٢٥٤).

(٢) ومعنى حقيقون بذلك أي جديرون بالتكفير وتكفيرهم ليس افتراءً عليهم بل لأنهم مجسمة وخالفوا المعتقد الإسلاميّ السليم فقد خرجوا عن الحق والإسلام وكفروا.

(٣) **دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد**، الحصني، (١٣/١).

(٤) **الأعلام بقواطع الإسلام**، ابن حجر الهيتمي، (ص/٢٥).

(٥) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، (٧٣/١).

بعد الإكمال وما استحدث بعد النّبي ﷺ من الأهواء. وقال غيره: اسم من ابتدع الشّيء اخترعه وأحدثه ثـمّ غلبت على ما لـم يشهد الشّرع لـحسنه وعلى ما خالف أصول أهل السّنّة والـجماعة في العقائد وذلك هو المراد بالحديث لإيراده في حيز التّحذير منها والذّم لـها والتّوبيخ عليها وأمّا ما يـحمده العقل ولا تأباه أصول الشّريعة فحسنٌ والكلام كلّه في مبتدعٍ لا يكفر ببدعته أمّا من كفر بـها كمنكر العلم بالـجزئيّات وزاعم التّجسيم أو الـجهة أو الكون أو الاتصال بالعالـم أو الانفصال عنه» اهـ.

قال أبو النجيب عبد القاهر السهروردي في كتابه آداب المريدين (ت ١٠٩٧هـ) ما نصه: «خلافًا للكرامية والمشبهة ومن قال بقولهم بأنه فوق العرش، فهو كفرٌ وخروج عن الدين أعاذنا الله تعالى منه».

وقال أيضًا: «وفي الخلاصة أن المشبه إذا قال: له تعالى يد ورجل كما للعباد فهو كافر».

ثم قال: «الرابعة الرد على من أنكر إكفار المشبه مطلقًا ذهابًا إلى أن القائل بأنه جسم غالط فيه غير كافر لأنه لا يطرد قوله بموجبه كما اختاره الباقلاني كما في شرح الإرشاد، واختاره الآمدي في الأبكار، فقال في خاتمته: إنما يلزم التكفير أن لو قال إنه جسم كالأجسام، وليس كذلك

بل ناقض كلامه[1] في فصل التنزيه منه من المدائح حيث قال فيه: من وصفه تعالى بكونه جسمًا، منهم من قال إنه جسم أي موجود لا كالأجسام، كبعض الكرامية، ومنهم من قال على صورة شيخ أشمط، وكل ذلك كفر وجهل بالرب ونسبة للنقص الصريح إليه، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا».

قال عبد الله بن حسين بن طاهر (ت ١٢٧٢هـ) ما نصه[2]: «أو من نسب له تعالى صفة يجب تنزيهه عنها إجماعًا مما يدل العقل على أنه نقص في حقه تعالى كالجسم»[3]. أي يكفر من نسب إليه تعالى شيئًا مما يدل العقل على استحالته عليه مما هو نقص في حق الإلـٰه، كالجسم، والأعضاء، والمكان، والحجم، والأجزاء، والجهة، والشكل، واللون، والاحتياج، والعواطف، والحدوث، والموت، والتضرر، والانتفاع، والعجز، والروح.

---

(١) يعني الآمدِيَّ.

(٢) **سلم التوفيق إلى محبة الله** على التحقيق، عبد الله بن حسين، (ص/٦٨).

(٣) وقد قال أحد محققي كتاب سلم التوفيق في تفسير عبارة الشيخ عبد الله بن حسين في حاشيته ما نصه: أي يكفر من نسب إليه تعالى شيئًا مما يدل العقل على استحالته عليه مما هو نقصٌ في حق الإلـٰه، كالجسم والأعضاء والمكان والحجم والأجزاء والجهة والشكل واللون والاحتياج والعواطف والحدوث والموت والتضرر والانتفاع والعجز والروح. سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق، عبد الله بن حسين، (ص/٦٨).

قال الشيخ محمّد محفوظ بن عبد الله الترمسي (ت ١٣٣٨هـ) في شرح منظومة علم الأثر للسيوطي ما نصه[١]: «وكافر ببدعة وهو المجسم.. هذا ما نقل عن النووي».

قال الشيخ محمّد ياسين الفاداني (ت ١٤١٠هـ) ما نصه[٢]: «حتى من كان من لوازم بدعته أنه كافر عندنا وإن كان من أهل قبلتنا - كالمجسمة والمشبهة والحلولية -».

وقال في كتابه «بغية المشتاق» ما نصّه[٣]: «وشمل أيضًا من نكفره ببدعته كالمجسمة، فلا يعتبر بخلاف، وإن كان يصلي إلى القبلة - صورةً -، ويعتقد نفسه مسلمًا».

قال الشيخ أحمد جابر جبران المكي اليمني (ت ١٤٢٥هـ) المدرس بالقسم العالي بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة سابقًا وبالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي ما نصه[٤]: «فائدة في أن النفي والتشبيه من أمراض القلوب: النفي والتشبيه هما مرضان من أمراض القلوب، فإن أمراض القلوب نوعان: مرض شبهة ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرءان، قال تعالى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾

---

(١) **منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر**، الترمسي، (ص/١٢٩).

(٢) **بغية المشتاق في شرح اللمع**، الفاداني، (ص/٢٤٣).

(٣) **المصدر نفسه**، (ص/٢٨١).

(٤) **التعليقات السنية على متن العقيدة الطحاوية**، أحمد جبران، (ص/١٢٠).

[سورة الأحزاب] فهذا مرض شهوة، وقال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة التوبة] فهذا مرض الشبهة، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذ مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته ـ بأن يهديه الله إلى الإسلام باعتقاده التنزيه ونفيه التشبيه ونطقه بالشهادتين والآية في ذلك صريحة، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وتشبيه الله بخلقه كفر».

قال الحافظ الفقيه المجتهد عبد الله بن محمّد الهرري[1] (ت ١٤٢٩هـ)

---

(١) وقد ذكر الدكتور عماد حسن مرزوق في رسالته التي سماها بيان حقيقة السلفية تحت فصلٍ يتعلّق بما للعلماء من آراء وردودٍ على عقيدة الوهابية المنتسبين للسلفية كذبًا وزورًا ما نصه: الشيخ عبد الله الهرري أحد العلماء المعاصرين الذي يمثلون العقيدة السنية الأشعرية، وقد وضع عدّة مصنفات تناول فيها عقائد الوهابية الحنابلة بالنقد، وقد خصّ ابن تيمية بكتاب مستقل عنوانه المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية أثبت في مقدمته تقاريظ بعض علماء أهل السنن للكتاب وهم الشيخ كمال الدين جعيط مفتي تونس، والأستاذ حبيب المساوي رئيس جامعة ومعهد ومدرسة الزيادة الإسلامي بجاكرتا، والأساتذة محمد عارف المصباحي ونصر الله القادري ومحمد فضل حسن القادري الأساتذة في

ما نصه[1]: «اعتقاد المسلمين سلفهم وخلفهم أن الله غنيّ عن العالمين، أي مستغنٍ عن كلّ ما سواه أزلًا وأبدًا فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شيء يحلّ به أو إلى جهة. ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيّز والجهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [سورة الشورى] فلو كان لله مكان لكان

المدرسة العربية فيض العلوم بالهند، والشيخ محمد أختر رضا القادري الأزهري مفتي عموم الهند، والشيخ محمد مهاجرين تلميذ الشيخ المحدث محمد ياسين الفاداني، وقد تتبع الهرري ابن تيمية فيما خالف فيه فرق أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والصوفية وهي: قوله بحوادث لا أول لها لم تزل مع الله، قوله بقيام الحوادث بذات الله، قوله بالجسمية، قوله إن الله يتكلم بحرف وصوت وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، قوله بالانتقال والحركة في حق الله تعالى، قوله بنسبة الحد لذات الله تعالى، قوله بالجلوس في حق الله تعالى.. ثم أثبت الهرري في آخر كتابه بيانًا بالمصنفات التي ردّت على العقيدة الحنبلية الوهابية، وقد بلغت تلك المصنفات ما يتجاوز مائة وخمسين مصنفًا كلها لعلماء أهل السنة بما يوضح موقف أهل السنة من العقيدة الحنبلية ـ الوهابية ـ التي يدعو إليها اليوم الوهابية باسم السلفية. والخلاصة أن عقيدة الحنابلة الوهابية كإثبات الوجه واليد والجهة لله، وتحريم السفر بنية زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونحو ذلك من العقائد التي تعرض اليوم من قبل أدعياء السلفية على أنها عقيدة أهل السنة والسلف الصالح قد اعتبرها علماء أهل السنة عقيدة مخالفة لأهل السنة ووصفوا معتنقيها بأنهم مجسمة ومشبهة وحشوية يريدون أن يفسدوا عقائد المسلمين. المسمى بيان حقيقة السّلفية، عماد مرزوق، (ص/٤١ ـ ٤٣).

(١) **القول الفصل المنجي في الرد على حسن قاطرجي**، الهرري، (ص/١٩).

له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق ومن كان كذلك كان محدثًا محتاجًا لمن حدّه بهذا الطول وبهذا العرض وهذا العمق، قال الإمام الطحاوي: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، فتبين من هذا أن نسبة الجهة والتحيز والمكان لله تعالى كفرٌ وتكذيبٌ للقرءان الكريم وللأحاديث ولصريح العقل».

قال الشيخ أحمد بالعيت الوقراوي (كان حيًا سنة ١٤٣٦هـ) ما نصه[١]: «قد ثبت عند أهل العلم أن فرعون هو إمام المجسمة المشؤومة وإن القائلين بأن الله تعالى في السماء لم يأتوا بشيء جديد وإنما يرددون ويقولون بما قاله فرعون قبلهم كما حكى الله تعالى عن إمام المجسمة فرعون الذي ظن أن رب موسى عليه الصلاة والسلام في السماء - والعياذ بالله، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [سورة غافر] ـ».

وقال أيضًا ما نصه[٢]: «التجسيم - في حق الله - نقصٌ، فمن قال: الله جسمٌ لا كالأجسام، فهو كالقائل: الله موصوف بنقص لا كالنقص، فما هذه السخافة معشر المتأخرين».

---

(١) **مختصر التيسير في تحكيم أهل التفسير**، أحمد الوقراوي، (ص/١٩).

(٢) **درج المعالي شرح بدء الأمالي**، ابن جماعة، (ص/١٣٩).

وقال أيضًا ما نصه[1]: «فكيف تجرأ بعض المتأخرين بإعادة الوثنية والتسامح فيها باسم الإسلام، لا والله العظيم لا يكون، هلّا شمّروا عن سواعدهم وحاربوا التجسيم وصححوا عقائد الناس».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «فهؤلاء الذين تسامحوا في عدم تكفير المجسم وكبرت كلمة تخرج من أفواههم جعلوا الجهل أحسن من العلم». والعياذ بالله من هذا الكفر.

وقال أيضًا ما نصه في تحقيق كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي في الحاشية ما نصه[3]: «بل قال جمع منهم - أي من السلف - ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد] ».

قال العلامة الشيخ المحدث الفقيه عبد الله الهرري المعروف بالحبشي (ت ١٤٢٩هـ) رحمه الله ما نصه[4]: «وحكم من يقول: "إنّ الله تعالى في كل مكان أو في جميع الأماكن" التكفيرُ إذا كان يفهم من هذه العبارة أنَّ الله بذاته منبثٌّ أو حالٌّ في الأماكن، أما إذا كان يفهم من هذه العبارة أنه

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/١٤٠).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/١٤١).

(٣) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، (ص/٢٦١).

(٤) **الصراط المستقيم**، الهرري، (ص/٢٦).

تعالى مسيطر على كل شيءٍ وعالمٌ بكل شيء فلا يكفر. وهذا قصدُ كثير ممن يلهج بهاتين الكلمتين، ويجب النهي عنهما في كل حال».

وقال أيضًا[1]: «ويكفر من يعتقد التحيُّز لله تعالى، أو يعتقد أن الله شيءٌ كالهواء أو كالنور يملأ مكانًا أو غرفة أو مسجدًا، ونسمّي المساجد بيوت الله لا لأن الله يسكنها بل لأنها أماكن يُعْبَدُ الله فيها.

وكذلك يكفر من يقول "الله يسكن قلوب أوليائه" إن كان يفهم الحلولَ. وليس المقصود بالمعراج وصول الرسول إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه ويكفر من اعتقد ذلك، إنما القصدُ من المعراج هو تشريف الرسول ﷺ باطلاعه على عجائب في العالم العلويّ، وتعظيمُ مكانته ورؤيتُه للذات المقدس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكانٍ». ومثله قال الشيخ تقي الدين الحصني رحمهما الله.

وقال أيضًا في «إظهار العقيدة السُنّيّة» ما نصه: «إن كان يفهم من هذه العبارة - أي قول بعضهم: إن الله في كل مكان - تحيز الذات القديم الأزلي المقدس في الأماكن كلها فهو كافر من أكفر الكفار لأنه إذا كان الذي يعتقد أن الله متحيز بمكان واحد كالعرش كافرا لأنه أثبت لله المشابهة لخلقه وذلك لأن فوق العرش كتابًا كتب الله فيه إن رحمتي تغلب غضبي

---

(١) المصدر نفسه، (ص/٢٦).

- رواه البخاري وابن حبان - فلو كان الله متحيزًا فوق العرش لكان ذلك الكتاب مثلًا لله».

وأما المجسمة فهم الذين يعتقدون أن الله جسم وهم في هذا العصر الوهابية ومن وافقهم في هذا. وقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه «النوادر»: «المجسم جاهل بربه فهو كافر به».

وإليكم أيها القرَّاء بمعنى ما أملاه شيخنا الشيخ عبد الله الهرري في بعض مجالسه العامة: «قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم» رواه الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما بهذا اللفظ، معنى «أجعلك في نحورهم» أي أتحصن بك وأحتمي فتحول بيني وبينهم. ويقال للمشبهة: هذا الحديث يهدم دينكم وعقيدتكم أن الله بذاته في جهة فوق بزعمكم لأن الظاهر يلزم منه أن يكون الله بذاته في نحور الأعداء وهذا كفرٌ وحلولٌ كبيرٌ، فإن بقيتم على مذهبكم في الأخذ بظاهر الروايات فهذا واحدٌ منها، وهو مرويٌّ بأسانيد صحيحة، وتكونون فريسةً وغنيمةً لأهل الحلول قاتلهم الله لأنهم يقولون بحلول الله تعالى في قلوبهم والعياذ بالله تعالى من هذا الكفر الفظيع، فسيقولون لكم: من أذن لكم أن تجعلوه في النحر دون القلب وبينهما شبرٌ أو أقل؟ وإن قلتم هو ليس على ظاهره قلنا لماذا؟ ألأنه أوهم التشبيه؟ فالقاعدة نفسها، والنسبة بين القولين التوافق والاشتراك في الجسمية والمسافة، فمن تزعمونه الإلـه عندكم على العرش بذاته هو الذي جعلوه

بذاته في القلب والنحر والعياذ بالله، فتصريحكم بالمماسة كعقيدة الحلوليين،إن قلتم بغير مماسة فهل عندكم بينهما مسافة متناهيةٌ أم غير متناهية، فإن كانت متناهية عندكم فذلك هو «الوثن» بعينه، وإن قلتم بمسافة غير متناهية فقد جعلتموه عدمًا، وكل هذه الأقوال كفرٌ لا جاء بها سلف متّبعٌ ولا خلفٌ منتفع، لكن الحق لا بد من قوله، فإنكم تفارقون الحلوليين في التجزئة، فأولئك الملاعين عندهم الله متجزئ في قلب فلان جزء وفي قلب فلان جزء، أما أنتم فقد جعلتم هذا الصنم كاملًا بل مجموعًا لا ينقصه شيء إلا الفرج واللحية حتى يصير تمامًا مثل زيدٍ وعمرٍو، قاتل الله كفر المجسمة والحلولية والمعطلة، ورضي الله تعالى عن سيدنا أبي حنيفة وسيدنا أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، فقد سلُّوا سيوف التوحيد والتنزيه ولم تزل بحمد الله الأكف البيضاء تضربُ بها، أدام الله عزها ءامين».د

وأختم بما قاله الإمام الشافعيّ رضي الله عنه جامعًا ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكرُه فهو مشبّه، وإنِ اطمأنَّ إلى العدم الصّرف فهو معطِل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّد». رواه البيهقيّ وغيره[1] وقد تقدَّم.

وأما ما ترويه المشبهة عن الإمام الشافعيّ مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشاري وابن كادش، أما ابن كادش فهو أبو العز بن

(١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، (ص/١٥٢).

كادش أحمد بن عبيد الله (ت ت ٥٢٦هـ) من أصحاب العشاري اعترف بالوضع، راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال[١] وحكم مثله عند أهل النقد معروف. وأما العشاري فهو أبو طالب محمّد بن عليّ العشاري (ت ٤٥٢هـ) مغفل، وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا وكل ذلك بإثبات الذهبيّ نفسه في كتاب الميزان[٢] وغيره[٣]، وكذا ما ينسب للشافعيّ - وصية الشافعيّ - فهو رواية أبي الحسن الهكاريّ المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل[٤]، فليحذر تمويهات المجسّمة

---

(١) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الذهبيّ، (٢٥٩/١).

(٢) قال الذهبيّ في ترجمته: أدخلوا عليه أشياء فحدّث بها بسلامة باطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة للشافعيّ ـ وذكر بعض الأباطيل عنه ثم قال ـ فقبّح الله من وضَعَه، والعَتَبُ إنما على محدّثي بغداد كيف تركوا العشاريّ يروي هذه الأباطيل. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، (٢٦٧/٦).

(٣) **لسان الميزان**، ابن حجر، (٣٠٢/٥).

(٤) قال أبو الوفا الحلبيّ الطرابلسيّ في **الكشف الحثيث عمن رُمِيَ بوضع الحديث** (١٨٤/١)،**لسان الميزان** ، ابن حجر العسقلانيّ في (٤٨٣/٥) ، والذهبيّ (المجسم) في **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** (١١٢/٣) ، وكذلك قال في **المغني في الضعفاء** (٤٤٣/٢) : عليّ بن أحمد أبو الحسن الهكاريّ قال ابن النجار متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد وقال ابن عساكر لم يكن موثّقًا. وقال ابن الدمياطيّ في **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** (١٣٦/١) : وكان الغالب على حديثه ـ أي على الهكاريّ ـ الغرائب والمنكرات، ولم يكن حديثه يشبه حديث أهل الصدق، وفي

فإن دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلًا. فقد كان كل علماء الشافعية المعتبرين على تنـزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقات من الأجسام الكثيفة واللطيفة. ولو تخبَّط بعض من ينتسب إليهم في متاهات الجهل، فمردّ هذا إلى عدم ثبات عقيدة التنـزيه في قلوبهم حسبما كان يعلّمها الإمام الشافعيّ رضي الله عنه وكبار علماء مذهبه كما سبق النقل عنهم.

الفصل الرابع: تكفير الفقهاء الحنابلة للمجسم

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت ٢٤١هـ): «من قال الله جسمٌ لا كالأجسام فهو كافر».

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في «صيد الخاطر»[1]: «وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى الكفر فإن المجسمة دخلوا في

حديثه متون موضوعة مركبة على أسانيد صحيحة، وقيل: إنه كان يضع الحديث بأصبهان، قدم بغداد، وحدَّث بها. قال أبو القاسم بن عساكر: علي بن أحمد الهكاريّ لم يكن موثّقًا، بلغني أن ابن الخاضبة قصده لما قدم بغداد، فذكر له أنه سمع من شيخ استنكر سماعه منه، فسأله عن تاريخ سماعه منه، فذكر تاريخًا متأخّرًا عن وفاة ذلك الشيخ، فقال ابن الخاضبة: هذا الشيخ يزعم أنه سمع منه بعد موته بمدة، وتركه وقام.

(١) **صيد الخاطر**، ابن الجوزي، (ص/٢٦٧ ـ ٢٦٨).

ذلك لأنهم حملوا أوصافه على ما يعقلون».

وقال أيضًا ما نصه[1]: «فإياك أن تقيس شيئًا من أفعاله على أفعال الخلق أو شيئًا من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى، فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأى الاستواء اعتمادًا والنـزول نقلة، ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قوما إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة».

وقال أيضًا ما نصه[2]: «ولقد عجبت لرجل أندلسي يقال له ابن عبد البر وهو مجسم[3] صنف كتاب التمهيد، فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا، فقال: هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى - وهذا كفرٌ والعياذ بالله ـ، وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل لأن هذا استسلف من حسّه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه، فأين هؤلاء واتباع الأثر».

---

(١) **المصدر نفسه**، (ص/٢٧٢).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٦٠).

(٣) يقول ابن عبد البر (المجسم) في كتابه المسمى **التمهيد** ما نصه: ولكنا نقول استوى من لا مكان إلى مكان. والعياذ بالله من هذا الكفر القبيح. التمهيد، ابن عبد البر، (١٣٦/٧).

قال الشيخ ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ما نصه[١]: «السمع والبصر والعلم والحياة فإنها لا تكون في حقنا إلا من أدوات، فالسمع من المخراق، والبصر من حدقة، والعلم من قلب، والحياة في جسم، فإن قلتم إنها في حق الباري كذلك فقد جسمتم وشبهتم وكفرتم».

قال محمّد بن بدر الدين ابن بلبان الدمشقي الحنبلي (ت ١٠٨٣هـ) في كتابه «مختصر الإفادات»[٢] ما نصه: «ولا يشبه شيئًا ولا يُشبهه شيء، فمن شبَّهه بشيءٍ من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تضرب له الأمثال».

وقال أيضًا ما نصه[٣]: «من اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فهو كافر فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن[٤] من خلقه، فالله كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان».

---

(١) **المسمى تحريم النظر في كتب الكلام**، ابن قدامة، (ص/٦٤).

(٢) **مختصر الإفادات**، ابن بلبان، (ص/٤٩).

(٣) **المصدر نفسه**، (ص/٤٨٩).

(٤) يُنَبَّه لمراد من قال من الأئمة عن الله: إنه بائن من الأشياء ومن قال منهم إنه تعالى غير مباين فإنه ليس فيهما خلاف حقيقيّ، بل مراد من قال بائن أنه لا يشبهها ولا يماسّها، ومراد من قال ليس مباينًا نفي المباينة الحسية المسافية. فمن نقل كلام من قال منهم: إنه بائن وحمله على نسبة المباينة المسافية والمحاذاة إلى الله تعالى كما

وقال أيضًا ما نصه[1]: «ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض لا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر».

وقال أيضًا ما نصه: «إنّ من وصف الله بالمكان والجهة فهو مشبه مجسم لله لا يعرف ما يجب للخالق».

وقال الشيخ ابن حجر الهيتميّ[2] في التحذير من ابن تيمية المجسّم وتلميذه ابن القيّم تحت عنوان «مطلب في عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه»: «وسئل - أي الهيتميّ -: في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على شريف علمكم، هل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدهم؟

فأجاب بقوله: عقيدة إمام السّنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوَّأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السّنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا عن الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات

يقول ابن تيمية فقد باين الصواب وكفر وضلَّ، وقوَّلَ أئمة أهل الحقّ ما لم يقولوه. فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

(١) **مختصر الإفادات**، ابن بلبان، (ص/٤٨٩).

(٢) **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتميّ، (١/٤٨٠، ٤٨١).

النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق. وما اشتهر به جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برّأه الله منها. وقد بيّن الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزيّ من أئمة مذهبه المبرّئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة أن كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان، وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه، فاعلم ذلك فإنه مهم. وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود وتعدَّوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة فظنّوا بذلك أنهم على هدى من ربهم، وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ المقت والخسران وأنهى الكذب والبهتان، فخذل الله متبعهم، وطهّر الأرض من أمثالهم».

وقال أبو الفضل التميميّ رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها[1] كما تقدم: «وأنكر أحمد على من قال بالجسم أي في حقّ الله وقال إن الأسماء أي أسماء الأشياء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم أي الجسم لذي طول وعرض وسَمك وتركيب وصورة وتأليف، والله

(١) **اعتقاد الإمام المبجّل**، أبو الفضل التميميّ، (٢٩٨/١).

سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كلّه أي منـزّه عن ذلك كلّه ولم يجئ ذلك في الشريعة أي ولم يَرِدْ إطلاق الجسم على الله في الشرع فبطل إطلاق ذلك على الله شرعًا ولغةً». ونقله عنه الحافظ البيهقيّ في مناقب أحمد[1] وغيرُه[2].

ويقول التميميّ في الكتاب عينه[3]: «والله تعالى لم يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان أي الإمام أحمد ينكر على من يقول إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة».

تنبيهٌ: على كلّ من اعتقد أنّ الله جسمٌ وأنه متحيزٌ في مكانٍ، أو أنه دنا من الرسول بذاته، أو أنه جالس على العرش الرجوع عن هذا والنطق بالشهادتين لأنه يكون بذلك قد شبّه الله بخلقه وكذّب القرءان قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [سورة الشورى] وقال أبو جعفرٍ الطحاويّ السّلفي: تعالى (يعني الله) عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات.

ومعنى تعالى: تنزه الله.

---

(١) **عقيدة الإمام أحمد**، البيهقي، (ص/١١١).

(٢) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، (ص/٣٣).

(٣) **اعتقاد الإمام المبجّل**، أبو الفضل التميميّ، (٢٩٧/١).

عن الحدود: الحدّ هو الحجم فالله لا يوصف بأنه حجم لا حجم كبير ولا حجم صغير.

والغايات: النهايات، وهذا من صفات الأجسام والله منزّهٌ عنها، والأركان:الجوانب وهذا أيضًا من صفات الخلق، والأعضاء:الأجزاء الكبيرة كالرأس واليد الجارحة والرِّجل الجارحة فكلُّ ذلك الله منَزَّه عنه، والأدوات: الأجزاء الصغيرة كاللسان والأضراس والأسنان.

وهذا تنزيه صريح صرَّح به إمام من أئمة السلف، أئمة أهل السنة والجماعة: الإمام أبو جعفر الطحاويّ الذي كان أدرك جزءًا من القرن الرابع وعشرات من السنين من القرن الثالث الهجريّ في عقيدته التي هي عقيدة أهل السنة أي الذين هم على ما عليه الرسول والجماعة أي الذين هم مع جمهور الأمة العاملون بحديث الرسول[1]: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»، ويكون من خالف ذلك شاذًّا ومن شذ شذ في النار».

---

(١) **سنن الترمذيّ**، الترمذي (٤/٤٦٥)، وتمام لفظه: **أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة، من سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن.**

تبرئة الصوفية الصادقين مما يخالف عقيدة أهل السُنّة والجماعة

نقول في بيان عقيدة مولانا القطب شاه نقشبند وكل الأقطاب والصوفية الصادقين فإن الشيخ عبد الغني النابلسي يقول[1]: «أشارَ إليَّ مَن إشارته تُنهِضُ للسالك، وإرادته صادرةٌ عن إرادة القدير المالك، المحفوظة بالعناية في البداية والنهاية، الشيخ أبو سعيد النقشبندي البلخي أمده الله بالمدد الدائم، وجعله في الدارين به قائم، أن أشرح الرسالة المعربة من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية المنسوبة الجمع والترتيب إلى العارف الكامل والعالم العامل الشيخ تاج الدين النقشبندي نوَّر الله ضريحه وقدَّس في برزخه روحه الّتي صنّفها في بيان آداب الطريقة الطاهرة النقشبندية المؤسسة **على قواعد أهل السنَّة والجماعة...** »، حتى قال[2]: «قال رضي الله عنه: اعلم وفّقنا الله تعالى وإياك أنَّ **معتقد السّادة النقشبندية قدَّس الله تعالى أسرارهم هو معتقد أهل السنة والجماعة**».

وقال الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي في كتابه

---

(١) **مفاتيح المعية في دستور الطريقة النقشبندية**، عبد الغني النابلسي، (ص/٢٧، ٢٨).

(٢) **المصدر نفسه**، (ص/٣١).

ما نصه[1]: «اعلم أنَّ للوصول عند فريق هذا الطريق شروطًا وأصولًا، أما الشروط فأربعة: الأول **تصحيح الاعتقاد، وهو اعتقاد ما عليه سادات أهل السنة والجماعة الأشعرية والماتريدية** ثبتنا الله على اتباعهم».

ومن هؤلاء العلماء العارفين شيوخ الطريقة النقشبندية في مدينة حمص الذين جمعوا بين الفقة والتصوف الحقيقي وهم: الشيخ العارف أحمد الطوزقلي التركماني النقشبندي الحنفي نزيل حمص، ثم خليفته الشيخ محمد سليم خلف الجندي إمام الجامع الكبير بحمص، ثم خلفه ابن الشيخ محمد أبو النصر بن الشيخ سليم خلف الجندي، فهؤلاء الشيوخ الثلاثة شهد لهم كلٌّ من عاصرهم بالعلم والصلاح والتقى، والزهد في الدنيا، والتجرد من حظوظ النفس، كما شهد لهم - جيل بعد جيل - بالكرامات العظيمة التي بلغت مبلغ التواتر الحسيّ والمعنوي، لذا هرع إليهم العلماء والفضلاء من كلّ أنحاء سوريا ليأخذوا عنهم الطريقة النقشبندية التي تحث سالكيها على الالتزام بالشرع والبعد عن الشطحات الصوفية، ومما يؤكد ذلك ماجاء في إجازة الشيخ الطوزقلي للشيخ سليم خلف رحمهما الله ما نصه: «وأوصيه بالتمسك بالكتاب والسنة، **والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية**».

فالشَّاه نقشبند رضي الله عنه وكلُّ النَّقشبندية الصَّادقين المتَّبعين محمّدًا

(١) **السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية**، عبد المجيد النقشبندي الخاني، (ص/٨).

بهاء الدين حقَّ الاتّباع كانوا على عقيدة التوحيد، عقيدة الأشاعرة والماتريدية، عقيدةِ أن الله تعالى واحد لا شريك له، فرد صمد، قديم لا ابتداء لوجوده، عالم لا تخفى عليه خافية، قادر على تكوين ما سبقت به إرادته، فعال لما يريد لا يعجزه عن ذلك شيء ولا تخلف لمراده وهو سبحانه مدبّر كل شيء، حي لا كحياتنا، متعال عن النقص والسوء، موصوف بكل كمال يليق به، منزّه عن كل نقص في حقه، مسمّى بكل ما سمّى به نفسه، لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدّالة على حدثهم، لم يزل سابقًا متقدمًا للمحدثات موجودًا قبل كل شيء، لا قديم غيره ولا إلٰه سواه.

ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرّك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزداد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السّنات، ولا تداوله الأوقات، ولا تعيّنه الإشارات، لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسّة ولا العُزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار.

وفِعلُه تعالى من غير مباشرة، وتفهيمه من غير ملاقاة، وهدايته من غير إيماء، لا تَنَازَعه الهِمَم، ولا تخالطه الأفكار، ليس لذاته تكييف، ولا

لفعله تكليف.

لا تحيط به العيون[1]، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته، ولا تتبدّل أسماؤه، لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك، هو الأوّل الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظّاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، موجود بلا كيف ولا مكان وهو بكل شيء عليم، علمه ليس كعلمنا، يعلم الأشياء قبل حدوثها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى]، سمعه وبصره ليس كأسماع وأبصار الورى فهم يسمعون بالأذن والصماخ وتموج الهواء ويبصرون بالحدقة وانعكاس الصور في الضوء والنور والله سبحانه منزه عن ذلك كله، يسمع الأصوات بسمع أزلي أبدي ليس بسمع حادث عند حدوث الأصوات ويرى برؤية أزلية ليست حادثة عند وجود المبصرات.

وكلامه قديم أزلي لا ابتداء له كسائر صفاته لأن الذات الأزلي لا يقوم به صفة حادثة وما كان كذلك لا يكون حرفًا وصوتًا ولغة ولا يُبتَدَأُ

(١) أجمع العلماء على أنَّ الله تعالى لا يُرى في الدُّنيا.

ولا يُختَتَم، فمن تكلّم بالحروف فهو معلول ومَن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر.

وكلام الله أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد وقصص وأمثال، والله لم يزل ءامرًا ناهيًا مخبِرًا واعدًا موعِدًا حامدًا ذامًّا. فالقرءان والتوراة والإنجيل والزّبور وسائر الكتب السماوية إن قصد بها الكلام الذاتي فهي أزلية ليست بحرف ولا صوت، وإن قصد بها اللفظ المنزّل الذي بعضه بلغة العرب وبعضه بالعبرانية وبعضه بالسُّريانية فهو حادث مخلوق لله لكنها ليست من تصنيف ملك ولا بشر فهي عبارات عن الكلام الذاتي الذي لا يوصف بأنه عربي ولا بأنه عبراني ولا بأنه سرياني، وكلٌّ يطلق عليه كلام الله، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله أي الثابتة له سبحانه يقال لها كلام الله، واللفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله.

وتقريب ذلك أنّ لفظ الجلالة (الله) عبارة عن ذات أزلي قديم أبدي، فإذا قلنا (نعبد الله) فذلك الذات هو المقصود، وإذا كُتِبَ هذا اللفظ فقيل: ما هذا؟ يقال (الله) بمعنى أنّ هذه الحروف تدلُّ على ذلك الذات الأزلي الأبدي لا بمعنى أنّ هذه الحروف هي الذات الذي نعبده، فتبيّن من ذلك كله أنّ القرءان له إطلاقان أي له معنيان:

الأول: إطلاقه على الكلام الذاتي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربيةٍ ولا غيرها.

والثّاني: إطلاقه على اللفظ المنزّل الذي يقرؤه المؤمنون.

ويدل على أنَّ اعتقاد النقشبندية الصادقين ما مرَّ هو ما قاله الشيخ محمد أمين الكردي الإربيلي، خليفة مولانا عمر ضياء الدين الحسيني الحسني في كتابه «تنوير القلوب»[1] في تعداد صفات الله تعالى: «**وأما المخالفة للحوادث فمعناها أنه تعالى ليس مماثلًا لشيء من الحوادث في الحدوث ولوازمه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فليس جسمًا وليس قائمًا بجسمٍ أو محاذيًا له، وليس فوق شيء ولا تحته ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا يوصف بحركة ولا سكون، وليس بذي أجزاء، فليس له يد ولا عين ولا أذن ولا غير ذلك مما هو من سمات الحدوث، وما ورد من ذلك ونحوه في الكتاب أو السنة فمصروفٌ عن ظاهره الذي يتبادر إلى العامة، وليس علمه تعالى مكتسبًا عن دليل أو ناشئًا عن ضرورة، ولا يطرأ عليه سهو أو غفلة أو جهل كعلمنا، وليست قدرته محتاجة إلى آلة أو معاونة، وليست حياته كحياتنا، وليس سمعه وبصره وكلامه بجارحة أو مقابلة للمبصرات، وليس كلامه بصوت ولا حرف عارض للصوت، ولا يطرأ عليه السكوت، وليست أفعاله تعالى بجارحة ولا بممازجة لشيء من الأشياء. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا**».

وبعد وفاة الشيخ الإربيلي رءاه أحد خلفائه من علماء الأزهر في الرؤيا يقول له الشيخ: «اجتهدوا في تعليم النَّاس صفة مخالفته تعالى للحوادث». **وأقرَّوا - أي السادة النقشبندية - بأن القرءان فيه ءايات محكمات وفيه**

---

(١) **تنوير القلوب**، محمد أمين الكردي، (ص/٨٤، ٨٥).

ءايات متشابهات، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [سورة ءال عمران].

والمحكمات هي التي دِلالتها على المراد واضحة، والمتشابهةُ هي التي دِلالتها على المراد غيرُ واضحة، وقد ذمّ الله تعالى الذين يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أي الزّيغ أي ابتغاء الإيقاع في الأمر المحظور وهو التشبيه، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل الأهواء كالمعتزلة والوهّابية وأمثالهم.

وقد سمّى الله تعالى المحكمات أمَّ الكتاب أي أمَّ القرءان لأنّها الأصل الذي تُردُّ إليها المتشابهات، مثل قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [سورة مريم] أي مِثلًا أي ليس له مثيلٌ ولا شبيه وكقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ [سورة الشورى].

ثمّ المتشابه قسمان: أحدهما ما لا يعلمه إلا الله كوجبة القيامة، والثاني يعلمه الرّاسخون في العلم كمعنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] فإنّ الراسخين فسّروه بالقهر.

وقالوا: إنّ كلّ ما ورد في القرءان الكريم أو في الحديث الشريف مما ظاهره

يوهم التشبيه لله تعالى بخلقه فهو قطعًا ليس على الظاهر وإنّما له معنًى يليق بالله سبحانه وتعالى ثم سلكوا في ذلك مسلكين فغلب على السلف منهم تأويل هذه الآيات والأحاديث تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أنّ لها معانيَ تليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين كآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] وحديث النّزول الذي فيه: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[1] بأن يقولوا: **بلا كيف** أو **على ما يليق بالله**، أي من غير أن يكون بهيئة، من غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والجوارح والطّول والعرض والعمق والمساحة والحركة والسكون والانفعال ممّا هو صفة حادثة وهو كما قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه: «**ءامنتُ بما جاء عن الله على مُرادِ الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله**» يعني رضي الله عنه لا على ما تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيّة الجسميّة التي لا تجوز في حقّ الله تعالى.

وأما الخلف فغلب عليهم التأويل التفصيلي وذلك بتعيين معانٍ لهذه الآيات والأحاديث المتشابهة مما تقتضيه لغة العرب ويليق بجلال الله سبحانه وتعالى فقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (٥٣/٢).

ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] قهر العرش، ومعنى قهر الله للعرش الذي هو أعظم المخلوقات أنّ العرش تحت تصرّف الله، هو خلَقَه وهو يحفظه، يحفظ عليه وجوده، ولولا حفظ الله تعالى له لَهَوى إلى الأسفل فتحطّم، فالله تعالى هو أوجده ثم هو حفظه وأبقاه. وفائدة تخصيص العرش بالذّكر لأنّه أعظم مخلوقات الله تعالى حجمًا فيُعلم شمول ما دونه من باب الأولى. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**إنّ الله خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتّخذه مكانًا لذاته**».

وليعلم أنّه يجب الحذر من هؤلاء الذين يجيزون على الله القعود على العرش والاستقرار عليه مفسرين لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] بالجلوس أو المحاذاة من فوق وهؤلاء هم الوهّابية وقبلهم أناسٌ كانوا يعتقدون ذلك ففسّروا الآية بالجلوس مدّعين أنّه لا يعقل موجود إلا في مكان وحجتهم داحضة لأنه ليس من شرط الوجود التحيّز في المكان، أليس الله كان موجودًا قبل المكان والزمان وكلِّ ما سواه بشهادة حديث: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**»[1]؟! فالمكان غيرُ الله والجهات والحجم غيرُ الله فإذا صحَّ وجوده تعالى شرعًا وعقلًا قبل المكان والجهات بلا مكان ولا جهة فكيف يستحيل على زعم هؤلاء وجوده تعالى بلا مكان بعد خلق المكان والجهات؟!.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١٠٥/٤).

ومصيبة هؤلاء أنّهم قاسوا الخالق على المخلوق، قالوا: كما لا يعقل وجود إنسان أو مَلَك أو غيرِ ذلك من الأجسام بلا مكان يستحيل وجود الله بلا مكان، فهلكوا.

ومن سخافة عقولهم أنهم قالوا: إنّ جهة فوق تليق بالله وجهة تحت نقص على الله فلذلك لا نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة فوق بل نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة تحت، فالجواب: أنّ جهة فوق مسكن الملائكة، وكذلك مدار النّجوم والشمس والقمر جهة فوق وليس هؤلاء أفضل من الأنبياء الذين منشؤهم في جهة تحت وحياتهم في جهة تحت إلى أن يموتوا فيدفنوا فيها، والأنبياء أفضل من الملائكة لأنّ الله أمر الملائكة بالسجود لآدم تحيّةً فسجدوا له والمسجود له أفضل من السّاجد فبطل قولهم: إنّ جهة فوق كمال لله وجهة التحت نقص على الله، لأنّ الله لا يتشرّف بشيء من خلقه، فلا يتشرّف بالعرش، ولا بالسّماء ولا بالجهات، ومن زعم ذلك جعل الله محتاجًا لغيره والاحتياج مستحيل على الله بل التحيّز في جهة فوق أو غيرها نقص على الله لأنّه يلزم من التحيّز أن يكون له حدٌّ ومقدار والمقدار للمخلوق قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [سورة الرعد] العرش له مقدار والذرّة لها مقدار وكذلك ما بينهما من الأحجام والأجسام المختلفة.

ثمّ إنّ الملِك والسلطان قد يكونان يسكنان في بطن الوادي وحرّاسُهما

يكونون في الأعالي، فهذا القياس الذي تعتبره الوهابية هو قياس فاسد لا يلتفت إليه إلا من هو ضعيف العقل فاسد الفهم، فعقيدة الصوفية هي كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير قدّس الله سرّه: «**غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان**»، وقال رضي الله عنه: «**إيّاكم والتمسّك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنّة فإنّ ذلك من أصول الكفر**».

والفوقيّة بمعنى القهر دون المكان والجهة جاءت في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام] وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل].

وأما حديث النّزول السّابق الذكر فأحسن ما يقال في ذلك هو نزول المَلَكِ بأمر الله فينادي مبلّغًا عن الله تلك الكلمات: «**مَن ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له مَن ذا الذي يسألني فأُعطِيَه**» فيمكثُ المَلَكُ في السّماء الدّنيا من الثُّلُثِ الأخير من الليل إلى الفجر.

وقالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر]: إنّ الكلم الطيب كلا إلٰه إلا الله والعمل الصالح كل ذلك يصعد إلى محل كرامته وهو السّماء والمعنى أنّ الله تعالى يتقبّله، فالسّماء محلّ كرامة الله أي المكان الذي هو مشرّف عند الله لأنّها مسكن الملائكة وقِبلة دعاء الداعين كما أنّ الكعبة قبلة المصلّين.

وقالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [سورة الملك] المراد بمن في السّماء الملائكة فإنّ الله يسلطهم على الكفّار إذا أراد أن يُحِلَّ عليهم عقوبته في الدّنيا، ومثل ذلك حديث: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[1] فإن المراد به الملائكة كما ذكر الحافظ العراقي.

وقالوا في تفسير قوله عزّ وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾[سورة فصلت] وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [سورة النساء] إنّ الله أحاط بكل شيء علمًا، محيط علمًا بالكائنات التي تحدث إلى ما لا نهاية له، حتى ما يحدث في الدّار الآخرة التي لا انقطاع لها، يعلم ذلك جملةً وتفصيلًا، وعلى معنى الإحاطة بالعلم فسّرت المعيّة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ٤﴾ [سورة الحديد] أي عالم بنا أينما كنّا.

وعلى معنى العلم أيضًا يحمل حديث: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»[2]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [سورة ق].

ومعنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ٨٨﴾ [سورة القصص]

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، (٣٢٣/٤)، رقم الحديث: ١٩٢٤.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، (٢٠٧٧/٤)، رقم الحديث: ٢٧٠٤.

إلا ملكَه أي إلا سلطانه فملك الله أزلي أبدي لا يفنى وملك غيره يفنى، مُلك الملوك الكفار كنمرود وفرعون الذين أعطاهم الله تبارك وتعالى هذا الملك الذي هو غير أبدي يفنى وملك أحباب الله كسليمان وذي القرنين يفنى، أما ملك الله فهو صفة من صفاته.

وقال بعضهم: ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ إلا ما أريد به وجهه، أي الأعمال الصالحة تبقى قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ٧٦﴾ [سورة مريم].

ويأتي الوجه بمعنى الذات كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [سورة الرحمن] فالعالم وما فيه يفنى والله باق لا يفنى ولا يَبيد.

كما يأتي بمعنى الطاعة كحديث: «**أقربُ ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها**» أي أقرب ما تكون المرأة من طاعة الله إذا لزمت بيتها ولم تخرج منه لغير ضرورة.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ١١٥﴾ [سورة البقرة] فمعناه فأينما توجهوا وجوهكم في صلاة النفل في السفر فثَمَّ قِبلة الله، أي فتلك الوِجهة التي توجهتم إليها هي قِبلة لكم.

وقالوا في تفسير قوله تعالى في سفينة نوح عليه السّلام: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ٣٧﴾ [سورة هود] و﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ١٤﴾[سورة القمر]، وفي حقّ سيدنا

موسى عليه السّلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [سورة طه] معناه الحفظ والرعاية.

وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ٤٧﴾ [سورة الذاريات] اليد تأتي بمعنى القدرة والقدرة هي القوة وتأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ١٠﴾ [سورة الفتح] أي عهد الله فوق عهودهم أي ثبت عليهم عهد الله لأنّ معاهدتهم للرسول تحت شجرة الرضوان في الحديبية على أن لا يفرّوا معاهدة لله تبارك وتعالى لأنّ الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بهذه المبايعة.

وقالوا في قوله تعالى في حقّ سيّدنا ءادم عليه السّلام: ﴿مِن رُّوحِي ٢٩﴾ [سورة الحجر]: وفي حقّ سيدنا عيسى عليه السّلام: ﴿رُوحَنَا ١٧﴾ [سورة مريم]: إنّ الله خالق الرّوح والجسد فليس روحًا ولا جسدًا ومع ذلك أضاف الله تعالى روح ءادم وعيسى عليهما السّلام إلى نفسه على معنى الملك والتّشريف لا للجُزئية والتبعيض وذلك للدّلالة على شرفهما عند الله تعالى، وعلى معنى التشريف يحمل أيضًا قوله تعالى عن الكعبة ﴿بَيۡتِيَ ١٢٥﴾ [سورة البقرة] وعن ناقة سيّدنا صالح عليه السلام ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ ٧٣﴾ [سورة الأعراف].

وأوّلوا النّور الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٣٥﴾ [سورة النور] بنور الهداية ومعناه أنّ الله تعالى هادي أهل السماوات وهم

الملائكة والمؤمنين من أهل الأرض من إنس وجنّ إلى نور الإيمان والذي في ءاخر الآية: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النور] يفسّر ما في أوّلها: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة النور]، فالله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء بل هو الذي خلق النّور قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [سورة الأنعام] أي خلق الظلمات والنّور فكيف يمكن أن يكون نورًا كخلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأجمعوا على أنّ الله تعالى يُرى بالأبصار في الآخرة يراه أهل الجنّة وهم في الجنّة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة أي أنّه تعالى لا يكون في جهة ولا مكان إنّما هم في مكانهم في الجنّة. وأنّه يراه المؤمنون دون الكافرين لأنّ ذلك كرامةٌ من الله تعالى لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [سورة يونس] وجوّزوا الرّؤية بالعقل وأوجبوها بالسّمع وإنّما جاز في العقل لأنّه موجود وكلّ موجود فجائز رؤيته إذا وضع الله تعالى فينا الرّؤية له، ولو لم تكن الرّؤية جائزة عليه لكان سؤال موسى عليه السّلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [سورة الأعراف] جهلًا وكُفرًا، ولـمّا علّق الله الرّؤية باستقرار الجبل بقوله: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾ [سورة الأعراف] وكان ممكنًا في العقل استقراره لو أقرَّه الله وجب أن تكون الرّؤية المعلّقة به جائزةً في العقل ممكنةً. فإذا ثبت جوازه في العقل، ثمّ جاء السّمع بوجوبه بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا

نَاظِرَةٌ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة] وقال النّبيّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»[1] والأخبار في هذا مشهورة متواترة، وجب القول به والإيمان والتصديق له.

وأجمعوا على أنّ الله أرسل أنبياء ورسلًا أوّلهم ءادم عليه السّلام أبو البشر وخاتمهم محمّد ﷺ من لا نبي بعده، دينهم واحد هو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴿١٩﴾﴾ [سورة ءال عمران] وشرائعهم مختلفة، جمّلهم الله بأحسن الصّفات ومن تلك الصفات:

الصدق فلا يكذبون وأمّا الحديث الذي فيه: «**كذب إبراهيم ثلاث كذبات**» فقالوا فيه: إنّ إبراهيم عليه السّلام قال ما صوْرته صورة الكذب لكنّه صدقٌ من حيث الحقيقة فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الصافات] ليس فيه كذب بل معناه إني سقيم من عبادتكم لما لا يستحقّ العبادة، وقوله عن زوجته سارة «**إنها أختي**» ليخلصها من كيد الملك الظالم الجبّار صدق في الحقيقة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات]، وأسند فعل تكسير الأصنام الصغار إلى الصّنم الكبير لأنه السبب الكبير في كفرهم وطغيانهم فقال:﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنبياء].

والأمانة فلا يخونون، فما ينسب إلى سيدنا داوود عليه السّلام في بعض

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (١١٥/١)، رقم الحديث: ٥٥٤.

الروايات المكذوبة من أنّه عشق امرأة قائد جيشه فأرسله إلى معركة خاسرة ليموت هناك ويأخذ امرأته فهذا لا يقبله أيّ مسلم.

والفطانة أي شدّة الذكاء فليس فيهم غبي بليد الذهن.

والشجاعة فليس فيهم جبان فرسول الله ﷺ لم يهاجر من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة هربًا من المشركين بل تنفيذًا لأمر الله تعالى وتأسيسًا لدولة الإسلام، وموسى عليه السّلام لم يهرب من فرعون.

وعصمهم **من الكفر** أي هم محفوظون من الكفر قبل أن يوحى إليهم بالنّبوّة وبعد ذلك أيضًا، وأمّا قول إبراهيم عليه السّلام عن الكوكب حين رءاه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [سورة الأنعام] فهو على تقدير الاستفهام الإنكاري فكأنّه قال: أهذا ربّي كما تزعمون، ثمّ لـمّا غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام] أي لا يصلح أن يكون هذا ربًّا فكيف تعتقدون ذلك، وكذلك فعل حين رأى القمر والشمس، وليس كما قال بعض أدعياء العلم في كتاب له: «إنّ إبراهيم كان تائهًا لا يعرف ربًّا له»، سبحانك اللّهُمَّ هذا بهتانٌ عظيم.

والكبائر فيوسف عليه السّلام لم يَهُمّ بالزّنا من امرأة العزيز، حاشاه أن يفعل ذلك، وإنما معنى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ [سورة يوسف] أنّ امرأة العزيز همّت بالفاحشة ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [سورة يوسف] أنّ يوسف عليه السّلام همّ بضربها وبدفعها.

وصغائر الخسّة أي إنّ الله عصمهم من التلبّس بالذنوب الصغيرة التي

فيها خِسّة ودناءة كسرقة حبّة عنب فإنّ هذه صغيرة لكنّها تدلّ على دناءة نفس.

ولا يجوز في حقّهم الأمراض التي تنفّر النّاس منهم فيجب الحذر من القصّة المكذوبة التي فيها أنّ سيّدنا أيّوب عليه السّلام صار يخرج منه الدّود ويقع على الأرض فيردّه إلى جسده ويقول (كُلي من رزقك يا مخلوقة الله)[1].

ولا سبق اللسان في الشّرعيّات والعاديّات أي أن يقولوا كلامًا لم يقصدوا قوله لأنّه لو حصل منهم ذلك لارتفعت الثقة في صحّة ما يقولونه.

وأجمعوا على وجوب الإيمان بالملائكة أي بوجودهم وأنهم عباد مكرمون وهم أجسام نورانية لطيفة ألطف من الهواء ليسوا ذكورًا ولا إناثًا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإبليس ليس منهم ولا كان طاووس الملائكة بل إن جبريل عليه السّلام هو رئيسهم وأفضلهم، وما ينسب إلى الملكين الكريمين هاروت وماروت من الأفعال الشنيعة فهو كذب وافتراء لا صحة له وهو مناقض لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [سورة التحريم].

وأجمعوا أنّ الله تعالى خالق لأفعال العباد كلّها كما أنّه خالق لأعيانهم،

---

(١) **تنوير القلوب**، محمد أمين الكردي، (ص/٨٦، ٨٩).

وأنّ كلّ ما يفعلونه من خير وشرّ اضطراري واختياري فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا ولا مخلوقين قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد] فلمّا كانت أفعالهم أشياء وجب أن يكون الله خالقَها ولو كانت الأفعال غيرَ مخلوقة لكان الله عزّ وجلّ خالق بعض الأشياء دون جميعها ولكان قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ كذبًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأجمعوا أنّ الوعيد المطلق في الكفّار والمنافقين، والوعد المطلق في المؤمنين والمحسنين.

وقالوا إنّ الله يغفر الكبائر والصّغائر لمن شاء من عباده المؤمنين المتجنّبين للكفر بنوعَيه الإشراكِ بالله تعالى الذي هو عبادة غيره والكفر الذي ليس فيه إشراكٌ كتكذيب الرّسول والاستخفاف بالله تعالى أو برسوله مع توحيد الله تعالى وتنزيهه. ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء] فالكفر بجميع أنواعه هو الذّنب الذي لا يغفره الله لمن استمرّ عليه إلى الموت وهو أقسام ثلاثة:

كفر اعتقادي ومكانه القلب كنفي صفة من صفات الله الواجبة له إجماعًا كنفي وجوده سبحانه أو تشبيهه بشيء من خلقه كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «**ومن وصَف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر**».

وكفر فعلي كإلقاء المصحف في القاذورات أو أوراق العلوم الشّرعيّة، أو ورقة عليها اسم من أسماء الله تعالى مع العلم بوجود الاسم فيها استخفافًا.

وكفر قولي كمن ينسب الجسم إلى الله وكمن يشتم الله تعالى أو أنبياءه أو ملائكته، وكرمي المسلم بالكفر بلا سبب شرعي فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**»[1] فقد حذّرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث من أن نقول لمسلمٍ: يا كافرُ أو يا عدوَّ الله وأنّ من قال له ذلك بلا سبب شرعي فإنّه يعود عليه وبال هذه الكلمة.

هذا هو معتقد أهل السُّنة والجماعة، ومعتقد السّادة النقشبندية، ختم الله لنا على هذه العقيدة، عقيدة الرسول والصحابة والتابعين. آمين.

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، (٢٦/٨).

نصيحة شرعيّة واجبة

يجب على كل من اعتقد أو قال أنَّ الله جسمٌ أو أنَّه يجلس على العرش أو أنَّه يسكن السماء أو أنَّه روحٌ أو له روح أو يشبه الأرواح أو أنَّه ضوءٌ ملأ السماوات والأرض أو أنَّ اللهَ حلَّ في جملة العالم أو في شيء منه أو أنَّ الرسول اجتمع في المعراج في السماء بربّه أو دخل خلف السِّتار فرأى الله أو رآه يصلّي والملائكة خلفه أو أنَّ النبيَّ انتهى إلى مكانٍ فيه الله أو أنَّ النبيَّ اقترب من الله في السماواتِ كالحاجب من الحاجب أو صار بينه وبين الله كالذِّراعين قاب قوسين من المسافة أو **شبَّه الله بشيء من مخلوقاته** ولو بصفةٍ واحدةٍ فهو كافرٌ كما نقل الإجماع على ذلك الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى فقال في عقيدته المشهورة: "ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر"، ويجب عليه أن يرجع عن هذا الكفر وأن يعتقد أنَّ الله ليس كمثله شيء موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهةٍ ولا مكان وأنَّه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته على الإطلاق بالمرَّة ولا بصفةٍ من الصِّفات ويتشهَّد ليدخل في الإسلام بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس بقول: أستغفر الله.

خاتمة الرِّسالة

ففي الختام نذكركم عباد الله بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [سورة الانفطار] فالأبرار واحدهم برّ، وهو من يفعل البر (بكسر الباء) ويتقي الله في كل أفعاله، والفجار واحدهم فاجر، وهو التارك لما شرعه الله لعباده، فمن هنا اعلم أن الناس على قسمين مؤمن يدخل الجنة وكافر مخلد في النار فالمؤمن هو من وحَّد الله واعتقد العقيدة الحقَّة المنجية واعتقد أن الله موجود أبدًا وأزلًا بلا مكان وجهة وأنه لا يشبهنا وتجنب كل الكفريات والكافر الفاجر هو من حاد عنها وانجر للعقائد الفاسدة فكان كتابنا هذا كالسيف البتَّار الصارم تجاه أهل الأهواء الذين خالفوا الدين بنسبتهم المكان إلى الله فأضفينا النور الساطع على إحدى أقوى حججهم لإثبات جهة فوق للبارئ بزعمهم قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩﴾ [سورة النجم] وبإضفائنا هذا أطفأنا شبههم الواهية في عيون الخاصة والعامة فلا ترى بعد ذلك عاقلًا موحدًا ينجر لترَّهاتهم السخيفة الركيكة الضعيفة إلا من أقفل الله قلبه وختمه وجعل فيه الغشاوة والضلالة وأعمى بصره فلا يعي بعد ذلك الصواب من الباطل أجارنا الله وإياكم من هذا وأبعدنا عن الغفلة وأدخلنا الله الجنة مع الأولين الأبرار والحمد لله رب العالمين.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ٧٤﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ٦٠﴾ تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل هو في شيء لأنه ليس كمثله شيء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمّدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ ويقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ١٦٣﴾ وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَنَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله**»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بدّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٢٧٧﴾ فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٩﴾، وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه**»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ١٥﴾ أي لم

يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ۝٣﴾، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد ألَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق،

ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء،

ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ۝١٠﴾ أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ماسواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ ۝٣﴾

البقاء: أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله ﴿وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾.

القدرة: وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شيء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ١١﴾

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى. ﴿ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

الكلام: أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢٥٥﴾

العلم: أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا

والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من كلِّ مخلوقاته بالمرة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر

علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام - يعني أصول العقيدة - فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللّٰهُمَّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

الفهرست

التَّوطِئَة: المِيزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان ٣

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم بِقَلَمِ النّاشِر ٩

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ٣٢

مِن ءاثارِ الشَّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم ٣٣

المقَدِّمة ٤٠

سبب نزول الآيَتَين ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ ٤٢

تعريف الحدِّ والجسم ٤٥

تعريف الكَيْف ٥٥

تعريف المكان والجهة ١١٠

الدُّنُوّ والتَّدَلِّي في لغة العرب ١١٥

القَاب والقَوس في لغة العرب ١٢٣

اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعةِ في معنَى الآية الكريمة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ١٢٩

الدليل العقلي على تنزيه الله عن المكان والجهة ١٣٧

مُعجزة المِعْراجُ ١٣٩

المقصود مِنَ المعراج ١٤٢

فائدة جليلة ١٤٣

من عجائبِ ما رأى الرسولُ ﷺ في المعراج ١٤٤
تفاصيل بعضِ ما رأى النبيّ ١٥٢
ماذا حصل بعد رجوع الرسولِ ﷺ مِنَ المعراجِ ١٥٨
عقيدة الصوفية في مُتشابِهات النصّيّة ١٥٩
الأحاديث الواردة في معنى الآية ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ ١٦٥
فائدة في كيفية نزول جبريل بالوحي ١٧٢
ما جاء في بعض الآثار عن جبريل عليه السَّلامُ ١٨١
أقوال وتفاسير وشروح علماء السلف والخلف في معنى الآية: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ ١٨٦
الوجوب المؤكَّد في التحذير من الأباطيل والافتراءات التي تُفترَى على ديننا الحنيف في قصة المعراج ٢٣٢
تأويل أهل السُّنّة لبعض الآيات التي يحتج المجسِّم بها لإثباتهِ فوقية المكان لله تعالى على زَعمِه ٢٣٥
تأويل أهل السُّنّة لبعض الأحاديث التي يحتج المجسِّم بها لإثباتهِ فوقية المكان لله تعالى على زَعمِه ٢٤٧
الحكمُ بِكُفر المجسِّمة عند علماء المذاهب الأربعة ٢٥٧
- الفصل الأول: تكفير الفقهاء الحنفِيّة للمجسم ٢٥٧
- الفصل الثاني: تكفير الفقهاء المالكية للمجسم ٢٧٧
- الفصل الثالث: تكفير الفقهاء الشافعية للمجسم ٢٨٧

- الفصل الرابع: تكفير الفقهاء الحنابلة للمجسم ٣٣١
تبرئة الصوفية الصادقين مما يخالف عقيدة أهل السُنّة والجماعة.....٣٣٨
نصيحة شرعيّة واجبة ٣٥٨
خاتمة الرِّسالة ٣٥٩
بيانُ أهمِيّة عِلم التَّوحِيد ٣٦٠
الفهرست ٣٧٠